

آفاق عودة
الحضارة الإسلامية

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

خليل، عماد الدين
آفاق عودة الحضارة الإسلامية / أ.د. عماد الدين خليل ، أ.د. عبد الحليم
عويس - ط ١ - القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٩.
٢٢٤ ص، ٢٤ سم.
تدمك ٨ ٣٠٠ ٣١٦ ٩٧٧
١ - الحضارة الإسلامية
أ - عويس، عبد الحليم (مؤلف مشارك)
ب - العنوان
٩٥٣

حقوق الطبع: محفوظة

الناشر: دار النشر للجامعات

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٣٤٩٦

الترقيم الدولي: I.S.B.N: 977 - 316 - 300 - 8

الكوود: ٢/٢٧٢

تحذير: لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل (المعروفة منها حتى الآن أو ما يستجد مستقبلاً) سواء بالتصوير أو بالتسجيل على أشرطة أو أنصاف أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن كتابي من الناشر.



دار النشر للجامعات

ص.ب (١٣٠) محمد فريد القاهرة ١١٥١٨
ت: ٢٩٣٤٧٩٧٩ - ٢٩٣/١٧٥٣ ف: ٩٤٠٠٩٤

E-mail: darannshr@link.net

آفاق عودة الحضارة الإسلامية

أ.د. عماد الدين خليل أ.د. عبد الحلیم عويس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(بين يدي الكتاب)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد.

فلم تعد ظروفنا - نحن المسلمين - منذ مطلع القرن الخامس عشر الهجري، الحادي والعشرين الميلادي تسمح بذلك الترف العقلي، والتناول غير الموضوعي الذي غلب على جانب كبير من خطابنا الفكري، بصورة تعكس انفصالاً حاداً عن الهم الإسلامي العام.

وحسبنا أن عددًا كبيرًا من المحسوبين علينا والمتسبين إلى تراثنا وحضارتنا قد انسلخوا من هذه الحضارة، فأصبحوا يعيشون فيها وهم ناقمون عليها، ساعرون إلى تذويب هويتها في الحضارة الأوروأمريكية... وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

ويكفينا أننا رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وحضارة الإسلام الإنسانية طريقًا ننتمي إليه ونطوره، ونعيش فيه وله، ونتفاعل من خلاله مع الآخرين تفاعل الأنداد والأكفاء، لا تفاعل المهزمين والعبيد...

يكفينا أن نحمل على ظهورنا عبء هؤلاء النسلخين عن حضارتنا؛ لتتجه في كتابتنا - نحن الذين رضينا بالانتماء والهوية الذاتية وآمنّا بأننا بديل حضاري لا يُقضي الآخرين، ولكن نتعلم منهم ونمحص ما عندهم - إلى الواقع دون تجاهل للذاكرة الماضي ودروسه، ودون تغافل عن تحديات المستقبل وآفاقه...

ولا بد لنا من أن نعيش القلق المبدع الذي يسمح لنا بصناعة الأمل وباختزال تجربتنا الفريدة وتقديمها كخماثر للمستقبل.. ولا بد لنا أن نرسم خريطة للتحديات الراهنة، محددين كيفية الانبعاث الحضاري الإسلامي في ضوء هذه التحديات... ولا سيما أن عصرنا لا يسمح بتجاهل ما عند الآخرين، ولا بوضع رءوسنا في الرمال كالنعام...

إن المستقبل يدعونا إلى وقفة صريحة مع ما يمليه علينا من مسؤوليات تجاه أنفسنا
وتجاه الإنسانية...

ومعروف أن لدينا الكثير مما يمكن أن نستعين به ونقدمه في معترك الصراع
الحضاري، ولتحقيق ذلك لدينا آليات يجب أن نعيد النظر فيها... إن موقفنا من اللغات
الأجنبية التي ستمكننا من تحقيق الحوار الحضاري العالمي يجب أن يتغير، فامتلاك اللغة
شرط للقدرة على الحوار، وخطابنا الديني يحتاج منا أن نربطه - ونحن نخطب
المسلمين والعالم - بالوسطية الإسلامية، وبالقيم الإنسانية والحضارية ليس في أوقات
السلم فحسب بل في الحروب والصراعات أيضًا.

وهناك الكثير مما ينبغي أن يشار إليه، لكن طبيعة هذه التوطئة لا تتحمل ذلك،
وحسبنا أن نقول: إن هذا الكتاب يحمل إجابات عن بعض أسئلة الانبعاث الحضاري
الإسلامي وأساليب التعامل مع الإنسانية في عصر العولمة وصدام الحضارات.

والله من وراء القصد

المؤلفان

القسم الأول

الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل

حضارة الإسلام .. التجربة الفريدة وخصائص المستقبل

أربعة عشر قرناً...

وأول ما يبده الفكر والوجدان أن يمضي على ظهور الإسلام أربعة عشر قرناً ونيف... لم يضعف ولم ينحرف ولم يضل الطريق.. بل يزداد قوة ومضياً وعطاء وكثرة أتباع.. دين لا يمكن أن يقضي عليه خصومه أو يوقفوا حركته في عشر سنين أو عشرين - كما يتوهمون - تلك أمانيتهم وظنونهم.. فبشئت من أمان وخسئت من ظنون!!

أربعة عشر قرناً وأمة هذا الدين تجابه التحديات الخطيرة.. فتستجيب لها، وتخرج منها ظافرة مرفوعة الرأس.. عالية الراية.. قامت فوق القامات، وأهدافها فوق الأهداف.

مشركو الوثنية بقيادة رجال الملأ من قريش... اليهود.. المنافقون.. مرتدو الوثنية بقيادة أدعياء النبوة والزعامات الكاذبة.. نظم الطواغيت في بلاد كسرى وقبصر.. الصليبيون.. المغول.. المستعمرون القدماء.. والمستعمرون الجدد.. موجات إثر موجات، ينكسر عنقها الشرس اللجوج على صخرة هذا الدين فترتد زبداً وغشاً.. ولا يبقى إلا عطاء هذا الدين الذي يتفع الناس.. أربعة عشر قرناً.. وهم يقاتلون هذا الدين في محاولة مديدة متواصلة لرد أبنائه عنه.. لا يرضون له أن يمضي إلى غايته التي رسمها له الله سبحانه، ولا لأبنائه أن يختاروا لهم طريقاً غير طريقهم..

أربعة عشر قرناً ونداءات القرآن الكريم تحذر وتنذر.. فما من لحظة سيلقى فيها السلاح ويكف الخصوم عن البغي والكيك:

﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ آلِهِمْ فَأُولَئِكَ أُمُّ الْكَيْدِ وَالْكَبَرِ﴾ [الصف: ٨].

والله متم نوره ولو كره الكافرون!!

فلتقر عين أتباع هذا الدين ولترغم أنوف خصومه.. فإن النصر لن يكون إلا لهذا الدين!!

تلك معادلة واضحة يقولها الله.. ويؤكدها التاريخ.. وتؤكدها أربعة عشر قرناً من الصراع الذي لا يرحم، والنتيجة الواحدة التي لا تتغير أو تتبدل مهما عظمت التضحيات وعلى الثمن وطال السرى - أن ينتصر الإسلام ويعلمو.. وأن ينتشر نوره في الآفاق!!

* * *

هل ثمة من دين أو مذهب اجتاز رحلة الأربعة عشر قرناً، أو حتى القرنين، دون أن تتشعب به المسالك وتنحرف الطرق وتضل الأهداف؟! عشرات الأديان والمذاهب.. قطعت خطوات قصيرة في الزمان والمكان.. وما لبثت أن تعرضت لأكثر من محنة، فلم تصمد لها، فتمزقت وتفتت وانحرفت عن الطريق.. وعشرات غيرها أشبعها الوضاعون والكهنة والمرزقة دجلاً وشعوذة وترهات، لتحقيق مصلحة أو بلوغ حاجة.. قبل أن تقطع بعضاً من الطريق الطويل..

والإسلام هو الإسلام.. وكتابه هو الكتاب.. ومسته هي السنة.. وهدي خلفائه ورجالاته هو الهدي.. ليس ثمة إسلامان ولا كتابان ولا سنتان.. ليس إلا إسلام واحد وكتاب واحد وسنة واحدة.

يمضي على ذلك أربعة عشر قرناً.. أو أربعة عشر ألفاً من السنين!! فالأمر سواء.. فليطمئن أتباع هذا الدين الذين زاد عددهم على الألف مليون مسلم.. وليخسأ الخصوم الذين يتصورون، أو يسمونهم من وراء ستار، في ساعة حلم شيطاني.. أن بمقدور قوة في الأرض أن تسحق هذا الدين.. أن توقف حركته.. ليطمئن الأتباع.. وليخسأ الخصوم.. فالله متم نوره ولو كره الكافرون!!

* * *

إن هذا الدين يحمل عوامل ديمومته واستمراره وهذا أمر سديهي في دام الله سبحانه قد أراد له أن يكون الدين الأخير. بمعنى هذا أنه سبحانه قد أمدده بعناصر القوة والشمس والحيوية والمديناميكية، مما يجعله قديرًا على التواصل مع أجيال البشرية المتعاقبة جيلا بعد جيل. وسواء مر على ظهور الإسلام قرن واحد أم أربعة عشر قرناً، أم مائة وأربعون قرناً فإن هذا الدين سيظل يحمل ما سحبه الله سبحانه من قوة وحيوية قدير، على الصمود حيثما يجب أن يكون الصمود، بصيراً بمطالب الحياة الشرية في كل مكان وزمان متمكناً من الامتداد والانتشار هاهنا وهناك.

إنه دين العطرة الذي يتعامل مع الإنسان على أنه إنسان، معجونة في تكوينه قوى الروح والمادة والطبيعة والعب. والشات والحركة والعراير والأشواق والفاني المحدود بالأزلي الخالد.

وسعامل مع الطبيعة والعالم كشفاً عن سسها وبواميسها التي أودعها الله فيها، وسعيًا من أجل تحقيق الوفاق المرجحي بين الإنسان والعالم.

ويتعامل مع التاريخ على أنه حركة متجددة لا تعرف حرائًا ولا سكوتًا. إنه المنظور الإلهي المعجز الذي يعرف كيف تتعامل بهذا الدين مع الإنسان، والطبعة، والتاريخ، وانه لن يخشى أبداً على دين يعرف كيف يمد جاحيه لكي يعطي مطالب هذه الأقطاب جميعاً.

في دام الله قد صمم هذا الدين و (أكمله) على يدي رسوله الكريم، يكون دين الشرية الأخير بمعنى هذا أنه قد أريد له أن يظل نقيًا ما تنفس إنسان على وجه السبيطة دائماً بطلعت الشمس من مشرقها. حالداً ما دامت السماوات والأرض!! ولن تخشى عليه!!

* * *

قدرة فذة على مواجهة التحديات،

وعبر الأربعة عشر قرناً التي انقضت أثبت هذا الدين قدره فده على قلوب
التحديات وهضمها وتثلها، سلماً وحرباً

لقد جُوبِهَ هذا الدين منذ فجره المبكر برده شرسة قسوة. واستجاب لها وخرج
مها أكثر صلابه وتوحداً، وانطلق إلى العام غير غابغ بدير كسرى وفيصر، . فلم تم به
الامتصار عليها عبر فترة رمية قياسية تثير التامل والإعجاب عرف كيف يمتنع
صنره لتراث الأمم والشعوب ومعطياتها الحصارية . عرف كيف يتعامل معها وفق
معايره الوصحة الحاسمه، فياً أحد ما يمكن أحده ويرقص ما يوحب رفضه . إنه ما
ها في ساحات السلم والعطاء، كم هو هناك في ساحات الحرب والشهادة . فدير على
الاستجابة للتحديات، غير هارب منها أو ماكص عنها إنه دين التقدم والحركة
والاقتحام . ولن يتردد إراء شيء أبداً . سدياً أو حرباً . وعلام التردد وهو يملك من
عوامل القوة والأصالة والشمول ما يجعله قديراً على أن يصهر كل ما يعترض طريقه
بالار التي تحرق والسور الذي بصي؟!

وطيبة القرون الدالية وهو يعرض لتحديات قوى كانت في كثير من الأحيان
تفوقه عدة وعدداً ولكنه كان دائماً المستجيب لتحدياتها، المتقدم لمجابهتها . والمستصر
عليها في نهاية الأمر . وليس ثمة من لا يعرف الذي فعله هذا الدين وأتباعه إزاء
هجمات الصليبيين وعزوت الممور رذ الأولى على أعقابها واحتوى الثانية فإذا
بالعالم القاهر يتقبل الاتيء بدين الذي تصور أنه عنه ويخضع له ويطيع! وهي
تجربه ندرحه تكاد تكون (ندرة) بين التجارب . ن يخضع العالم للمعلوب!! ولكنها
في حقيقة الأمر ليست بادرة فإن السر يكمن في عقيدة هذا الدين

* * *

واليوم، وهو بطل على قربه الخامس عشر، يجد نفسه محاصراً بألف تحد وتحد . إن
الاستعمار الجديد والماديه الملحد بصفاق الخلق عليه بالعرى الفكرى والتحرير
الأخلاقي والتدمير الاجتماعي والاستراف الاقتصادي والصراع الإستراتيجي

والصهيوية - التي فاقت أشد العصريات في «تاريخ صلف ووحشية وأمانية وعمرور» -
تصنع كافة إمكاناتها حساً إلى حب مع هذين الخصمين لسحق هذا الدين وإبادة أتباعه،
أو إصعافها وشلها على الأقل .

وغير هؤلاء وهؤلاء عشرات من مثاب من الصعوط والحديدات ترى هن
سقم للإسلام هذه المرة أن يخرج من المعركة الطاحنة طافراً منصوراً؟

نعم! والله لمن (الدينيات) في عمر هذا الدين دي الأربعة عشر قرناً أن يخرج
طافراً منصوراً حيثما وجد نفسه في وضع (المنحدي) طول الوقت أم قصر فالعرة -
كما هو معروف - بتأنيج الأمور وأحرياتها، لا ببيدائتها لاوي حيث تعيم إرفيه وتتقطع
أنفس ذوي النفس القصير لقد اردد للإسلام مرور انقرون قدرة على الرد وتراكم
في الخبرات، مما سيهه ولا شك فعليه أكثر في المجاهدة والاقتحام .

إنه بملك اليوم (حرة) أربعة عشر قرناً من المعن والصرع والتجربة والعناء
والمقاومة والاحسار ولن يذهب هذه الخثرة عش مجرد أن تصدق الية، ويصح
العرم، ويخلص الإيمان..

ترى . أيمن القول بأن الإسلام يوم أن يستقبل قرنه لتاسع عشر أو العشرين من
عمره المديد، سيكون أكثر قدرة على الاسجاة للحديدات والنفوق عليها؟!

* * *

وعمر سيرته الخافدة ذات الأربعة عشر قرناً كان للإسلام قديراً ألدًا على
التجدد والانتعاش، وكلما ادلم حطب ودرت الفتنة قرنها، وكاد اليأس أن يأخذ
بتلايب النفوس والأرواح.. برز رجل أو امتعت حركة.. فما يلت هذا الدين أن يجد
من يطلق به إلى آفاق جديدة.. فيرداد قوة . وتمكك.. وأصالة.. وعطاء.. حتى لقد
أصبح من المسلم به أنه على رأس كل قرن هجري مسجي من يقوه الدور الموعود
رحلاً أو جماعه أو حركة . فمضي بالوكب المذوك إلى مواقع جديدة متجاوزاً به
المرققات والعقبات والأشواك!! إنه دين يحمل في تركيبه المعجز القدرة الأبدية الخلافة

على الحدود والانعاش بل إن هالك ما هو أصعب من هذه الظاهرة في تاريخ هذا الدين وتركيبه ذلك أنه حيثما حصر المعركة، أو انحسر وتراجع في جهة من الجهات، تحرك في جهات أخرى لكي يحقق أكثر من نصر ويعوض عما حصره هناك ويكون في نهاية السحب هو الفائز في حساب الخسائر والأرباح!

إن الأربعة عشر قرناً التي تشكل عمر هذا الدين عينة بالشواهد على هاتين الخصيصتين اللتين تميزان هذا الدين فيما تميز به من معالم وسياج القدرة على التجدد والانعاش والقدرة على التعويض وبه ما من دين أو مذهب في التاريخ امتدح هذين المدينتين بأسعه والديمومة والعمق التي امتكنهما بها هذا الدين العظيم.

وس يعني الكلام هنا عن مائة (شاهد) التاريخ نفسه

خبرة الماضي:

وبحسب نوع في القرن الخامس عشر الهجري باتجاه الملبار وحسبائة مديون عددًا من المسلمين. نذكر الدعوة في أيام عهده الأولى. ومن الأفراد القلائل المصطفهدين . المطردس وتذكر الرحل الأول الذي صنع المعجزة. وتذكر وعد الله بانصر اسبن ﴿يَا نَصْرُ رَسُولِ اللَّهِ أَمْوًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ تَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [عامر ٥١]

إذن فقد صدق الله وعده.. ولن تكون أكاديب الأرض كلها بقدرة على أن تعكس صدق هذا لدين وقدرته لأبدية على الانتصار.

لقد درعت يد رسول الله، وروع معك أصحابك وناصوك بإحسان عبر عشرات السنين ومئاتها بحرثون الأرض ويلقون البدور ويررعون وكانت أبصارهم وعقولهم معلقة بالله ما من كبيرة ولا صغيرة، لا وهم يتحركون بها من حلال رؤيتهم الإلهية التي ترى وجود الإنسان في العالم امتدادًا لإرادة الله وقدره، وكانوا يريدون إعادة صياغة العالم وقلب تربت العنة التي غطت على مساحاته قلبها من الأعماق، ويظهر التربة الحديدية التربة النقية؛ لكي تكون الثمار نظيفة قربة معطاء ﴿كَرِّعَ أَخْرَجَ شَقَّتُهُ قَتَارَهُ، فَأَسْعَلَطَ فَأَسْمَوْنَ عَلَى سَوْقِهِ، يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيُعِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح ٢٩].

وقد كان الحصاد عظيمًا حقًا ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَحَرَفٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿١٤﴾ تَوَفَّيْنَا أَمْكُلَهَا كُلِّ جَنٍّ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴿١٥﴾ [إبراهيم]

ورغم أن العالم احتار أن ينقلب عن صوتك لمؤثر أن يمرق عن صراطك المستقيم رغم أنه أعاد قلب لثمة -ثابة- لكي يعطي جعرة لقرات كلها باليمن والفساد فلا يتبقى ثمة ما هو بطيف طاهر رغم هذا وذاك فإن طائفة من أمتك ستظل تواصل لطرب، وسيظل أملها معلقًا بالله أن تعيد صياغة العلم ثابة وثالثة ورابعة إلى أن يتحقق النصر الموعود. وهو لا بد أن ﴿قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿١٦﴾ هَذَا بَيِّنٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران]

إنما نحن نوع في القرن الخامس عشر المبارك يودد الله، تذكر أنه ما من قرن تصرم من هذه القرون الأربعة عشر، كان أتباع محمد عليه السلام به عاجزين عن الحركة. عن أن يعملوا شيئًا به ما من قرن إلا وترر منهم حائمة ترفع الراية، وتتحرك برباب الهد وبقية الوضيء لكي تثبت مواقع هذا الدين وتمدها إلى الأفق.

* * *

لقد كانت رحنة الأربعة عشر قرن مسيرة صعبة قسيفة، باهظة الثمن كثيرة التكليف. لكي كانت في لوقت به كثيرة العطاء. وبه ليس ثمة حراء كبير دون جهد كبير. ولقد بدل أساء هذا الدين، عبر كل قرن، الكثير والكثير جهدا وعرق ودم ودموعا، فدم يذهب هذا كله عينا. لقد أتى ثاره، وملا الدنيا عطاء سحبا

الندوة التي كانت تتحرك في طرقات مكة حائمة وجلة، أصبحت تقوى كلمها بمواحة عروش كسرى وفيصر فسمطها وبها الصلوات التي كسب هدم سرا في دار مزوية في أنحاء أم القرى. صارت همام عن شواطئ الأطلسي ونجوم الصين يطمح أصحابها أن يجتروا البحر والتحوم لكي لا تبقى مساحة في العام لا تقام فيها صلاة ولا يذكر فيها اسم الله المستعصمون في الأرض الذين كانوا يطردون

ويضطهدون ويعدسون ويجلسون عدو قادة العالم وساسته وحكمه كتاب الله الذي
كان يُحكم بالقتل على قدرته أصبح دستور الدنيا ومرشدها.

لقد كانت مسيرة بهظة الكاليف حقاً، ولكن الخراء كان كبيراً!

* * *

به ما من أمة في الأرض تعرضت عبر مسرتها التاريخية لما تعرض له أتء هذا
الدين لقد تكاسب عليهم قري العالم كله، منفردة حيا ومجموعة أحيانا، وفيها
لخلف وتسارع وتساخر وفي بيها حتى إذا كان الأمر قالاً لهذا الدين فيها تأتلف
بقدره قادر لكي تصرب عن فوس واحد مد معركة الأحراب حيث تجمع اليهود
والوثنية العربية واليدو والمنافقون . وحتى الثلث الأول من القرن الخامس عشر الذي
أدى بانقضاء، حيث تتجمع معسكرات الصهيونية والمادية والصليبية والامستعير
الحديد. كان الإسلام هو هدف الخصوم والزرة التي تجدهم فيها

ولكنه كان دائما هدفا صعب، وكانت دائي بورة مُديدة الحمر تعرف كيف تحرق
الأيدي التي تمتد إليها لكي تطفئ سر جهها الوهاج

واليوم . وقد انقضى من القرن الخامس عشر الحجري ثلاثة عقود متدكر
طواير الخصوم والأعداء خشود المهاجرين والعرة والمستعمرين

وبها حقاً لطواير وخشود كتيمة لا نكد نعيم أولها من أحرها ونكسا كسا - رغم
هذا التوصل الرسمي الشر من تصرب لإسلام واستئصال شأفه المسلمين - كان عاك
المتصربين، وتلك مه من الله بحب ألا يعفل عن شكرها حظه واحدة

إن هذا الدين يحمل سر نفائه المعحر وديمومه العدة، ولن تستطيع قوة في الأرض
أن تمحو كيمته من الوجود لقد حدث عبر الأربعة عشر قرن الماضية أن هربت كل
الخشود والطواير التي سعت لاعتيان هذا الدين، وبقي الإسلام صامداً متعزداً مصب
لتحقيق كلمته في العالم

* * *

إن رحلة الأربعة عشر قرناً تمثل رصيداً كبيراً من تجارب الخطأ والصواب والواجب عليه كمسلمين أن نراجع أنفسنا وبعيد المطر في معطيات مسيرة الطويلة وبقيها فإننا سنتعلم الكثير والكثير. وهل ثمة أكثر حبرة من التاريخ؟ هل ثمة أكثر عطاء ومسحاً من هذا الزمان لمتزحدي العمر الطويل والذي يمكن بدراسته وفهمه أن يستخلص أبعاد التجربة ويكشف مؤشرات العمل والحركة عبر القرون الخماس عشر الذي يعيشه؟^{١٢} إن أمة لا ترحع إلى نفسها لكي تنفد ذاتها، أمة غير حذيرة بالحية، وإن أمة لا تلتصق إلى ماضيها في هبة كل شوط من الرحلة التاريخية الطويلة، أمة غير قادرة على المضي في المشوار إلى غايته..

إن الخمر والعقبات والمندريس في طريق المستقبل كثيرة. ويريدنا كثرة أمة تكالت عليها الأمم، فإن لم تستمد من تاريخها إلهادي والدليل فقد يحشى عليها ماتاً به الرسول معلم عليه السلام. أن تعدو في مستقبلها التقدم فصحة يرداد الملوك عليها. إن هذا لقرون ولا شئ قرن الصراع الدولي الخامس في ميادين العقيدة والإستراتيجية.. والإرهاصات واضحة بية قد أحدثت نطل برأسها منذ العقد الأخير من القرن الرابع عشر. والخارطة العالمية لمواقع الأمم والشعوب ستزداد أنواعاً عمقاً وعمراً. ولن يكون لنا حذر في أن تتميز، نحن الآخرين، ولا امتصاص هذا اللون أو ذلك وأصبح بحث عن مواقع الأمة الإسلامية في العلم فلا نكاد نجد لها أثراً. ثمة طلاب مهنه للأصغر دات اليمين وللأحر دات الشمال. وقد مسحنا دينا الصبغة التي تميز بين الأمم وتمسحنا أهويه واللون على حرائط العالم ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة]

إن هجمات القوى المصددة للإسلام، كمن يبدؤ من المقدمات، ستزداد عمقاً وشراسة مع الأيام. وقد تداعت علينا، متممة أو غير مصحقة، معسكرات انادية والصلبية والصهيوية والإمبريالية، ومن يدري فلعلها قد اعترمت أمراً أكثر بكثير وأخطر بكثير من كل تخمينات وتوقعات. فلنكن على حذر ولنجعل من هذا القرن قرن لتغير النعم للدفاع عن ادات بمواجهة الإهراء المحتمل، ولتعميق ملامح الشخصية بمواجهة عمليات الطمس والتشويه.

إن (تويني)، مؤرخ الحصارات المعروف، يقول: إنه من بين بضع وعشرين حصاراً بشرية شهدتها التاريخ، لم يتبق غير سبع، ستة منها - ومن ضمنها حصار الإسلام - مهددة اليوم بالاسلاع والتلاشي في كيان الحصار العربية - وسواء صح هذا الذي استنتجه الرجل، بعد رحلة ستمراته ذات الثلاثين عاماً، أم لا، فإن الذي يحدث على مستوى الواقع هو أن حصاراً، أو بقايا حصاراً، بتعبير أدق، مهددة فعلاً بالتفكك والتلاشي والارول - ولا بدري إن كان هذا القول سيكون قرب الاختصار أم البلاد الحديد؟.

وسيكون القرار الأخير بأيدينا - إنه قد مضى إلى غير رجعة رمن الإسقاط والحروب، يوم كنا نتحد من الاستعمار مشجعين على كل مرائمها ومتاعبها، وكأنا لم نكر نحن نقابل للاستعمار - كما يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي رحمه الله - قد مكنا للاستعمار في هوسات وبلاد

إنه قد آب الأوان لكي يصحح المسار فنعترف باخطأ مهم، عظيم من أجل أن بعد أنفس للمجاهدة الهائلة الخصمة على كل أخفاتها. وحسبك يمكن أن سد كل نغرة قد يتسلل منها الخصم في مشارف حدودنا الشاسعة أو تحوم بهوسات اصطناعة

مفاتيح التغيير:

ولمفاتيح التي يجب إيادها هذا الدين للممكن من المجاهدة ولتحقق بالانتصار واضحة بينة، إنها على رجة الحديد مصاحاب لا ثالث لها التعبير الدقيق على مستوى النفس، والإعداد البدائي على مستوى الجماعة. وإيها تعبير الرسول المعلم عليه السلام جهادان جهاد أكبر ضد هوى النفس واهوائاتها لتحريرها وتمكينها من التزام الصراط - وجهاد أصغر ضد الخصوم والأعداء على مدى العالم كله لتحريره من الطاغوت وتمكينه من التزام الصراط..

وقد فاه القرآن الكريم بوضوح لا مريد عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُعِزُّ مَا يُفْؤِمُ حَتَّى يَمِيزُوا مَا بَيْنَهُمْ﴾ [الرعد ١١]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعِزًّا لِقَوْمٍ أَنْصَبَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُمِيزُوا مَا بَيْنَهُمْ﴾ [الأنعام ١٥٣] وفي مقبل عمسه العبر الداني هذه ألزم بأن يعمل على التحقق بالاستعداد اللام للمجاهد الآخر القتل على ارضية العالم لتفيد كلمة الله في الأرض.

وقاه بوضوح لا مريد عليه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنعام ٦٠].

وئمة سورة نكملها سميت سورة الحديد، وهذه دلالة ولا ريب وقرأ إحدى آيات ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَرْسَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَرْسَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَبْذُرُهُ رُشْدًا وَمَنْ يَبْذُرُهُ غَيْرَ ذَلِكَ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد ٣٥] فإذا ما تحمل مؤشرا واصححا على مدى اعتماد حام الحديد وهو واحد من أخطر خامات الأرض، لأعراض التسليح إن الدولة التي تمك حام الحديد تستطيع - كما هو معروف - أن ترهب أعداءها بما يتيحها هذا الخام من معدرة على التسليح الثقيل، ويستطيع - أيضا - أن تحطو حطواب وسعة لكي تنم في مصاف الدول الصناعية العظمى التي يشكل الحديد العمود الفقري لصاعنها.

وتذكر هها آيات من سورة سأ يرد هها ذكر الحديد ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا فُضِّلَ عَلَيْهِ أَلْفَ أَوْسٍ مَعَهُ وَالْقَلْبَ وَالْطِّيزَ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدُ﴾ [سورة الحديد ١٠-١١] أن أعمل سبيقت وقدر في التمرير وأعملوا صنيحا إني بما تعملون بصير ﴿١١﴾ [سورة الحديد ١٠-١١] مذكر نعمة الله على نبيه وعبد داود بتسليح الحديد له أو بتعليمه كيف يسيل الحديد وهي بصدد الحديث عن البناء والإعمار والتصنيع، وتذكر - أيضا - دا القريب وهو يمادي الجماعة المصطفة ﴿أَتَقْوِي رُحْمَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الضَّعِيفِ قَالِ اسْعَوْا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ بَارًا قَالَ أَتَقْوِي أَفَرَّغَ عَلَيْهِ قِطْرٌ﴾ [سورة الحديد ١٦] فما استطعوا أن يظهره وما استطعوا فله هها ﴿١٧﴾ [الكهف ٩٦-٩٧].. ويلعب أنظارا، في آية سورة الحديد آفة الذكر، إلى ذلك التناحل العميق والارتباط الصميم

من إرسال الرسل وإنزال الكتب معهم وإقامة المزايا الدفينة بشر العدل بين الناس،
 وبين إرسال الحديد الذي يحمل في حياته بأس و لمنعة، ثم التأكيد على أن هذا كله إنما
 محيى لكي يعلم الله ﴿لَمَّا بَصُرَتْ رُسُلُهُ بِالْعَلِيِّ إِنَّ اللَّهَ لَبَظٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد ٢٥] . وهكذا،
 فإن المسلم في هذا العالم لن تحميه وتصرفه إلا يده المؤمنة التي تعرف كيف تبحث عن
 الحديد وتصوغه من أجل الحماية والنصر، وهو، بمجرد أن يتحلى عن موقفه ليعمل
 هذا ويحار مواقع الفرار والانظر الاتكالي معونة الله، فإنه يساقض مع نفسه وعقيدته،
 وسيهرم لا محال ما دام قد أشاح عن هذه الخفتق الفرائدة التي تكاد تصرح بأعلى صرة
 أنه بدور الاعتماد الواعي المستول البصير بمصادر القوة والباس ولن يكون هناك نصر
 أو حبة للموازين المعادلة التي جاءت الأديان لتنفيذها في الأرض حتى ولو حسن
 المؤمنون أنفسهم في المساحد السيئ الطوال يكون ويتصرفون

نقد جربا أن تتسول السلاح من الشرق والغرب، وأن يتدلل لها ويمنحها
 الكثير من الحقوق والامتيازات والأموال قدم يستطع أن يحقق الانتصار المرجى
 لأن الكلمة النهائية في استخدام أكديس السلاح امشاة طلت بأيديهم، ولأن القدرة
 على مواصلة استخدام هذه الأكديس طلت بأيديهم أيضا

أفلم يحس الوقت لكي تتعلم من الخطأ الذي مارساه مرة ومرتين وثلاث .
 وعشرين، وأن تحدد ولو مرة واحدة حدود أمم مشا تمكس أسوأها بالاعتماد على
 أنفسهم - من تحقيق وجودهم في العالم؟

إنهما مفتاحان للنصر لا ثالث لهما . فهل يكون هذا القرن بديه حاده للدحور
 بواسطتهما من الأبواب التي طلت موصدة في وجوها عشرات السنين ومثاتها؟

وثمة م يوحى بالأمل، فإن كسور الحصاره لمادية المعاصره وشروحيها سترداد
 اتساع وعمق عبر الأيام والسنين . إن معدتها المكشمة أحدث تتصح أكثر فأكثر في
 العقود الأخيرة، وهي لا ريب سأسحد طريقها وفق متوالية حسنة، وربما هندسية،
 لكي تتصاعف على مستوى الكم والنوع على السواء

والذي يؤكد هذه هم العرييون أنفسهم، سوء مهم الذين انشقوا على هذه
 الحصرة وبدأوا يوجهون إليها نقداً، أم الذين يعيشونها يوماً بيوم فيقدمون
 سلوكهم وتجاربهم مثلاً جيداً على الأزمة المصيبة التي تأخذ بحافهم وهؤلاء وأولئك
 ليسوا أمانت عاديين أو هملاً ولكنهم من قادة الفكر ورءوس المجتمعات العربية،
 وأقولهم يجب أن تؤخذ على محمل الجد . بهم رجال من مستوى إشجار وتوبيي
 وكولن ولسون ورمبارد شو وكامي ومعماري وماسينيون وارويل وكوسنبر
 وجيوروجيو ولبونولديس وفير حراند وعروود شتين وسوليفان . مؤرخون
 وأدباء وعلماء وفلاسفة، وقد قضوا على بعض شهاداتهم وحلماً دلائل في غير هذا
 المكان فلا داعي لإعادة القول فيها . والمهم هو أن (الشهادات) التي تدين الحاصرة
 العداية المعاصرة سر داد تنوعاً واتساعاً عبر السنين القادمة، وسجعل إدانة هذه
 الحصاره أكثر عنفاً ووضوحاً.

وفي مقابل هذه الشهادات والإدانات ثمة الكثير مما قاله العرييون أنفسهم عن
 مستقبل الإسلام . وهي أقوال يتوجب عيب ألا بحملها على العمل الخد الكامل، لأن
 القوم - هناك - يتمنون ويتباؤن هروباً من الأزمة التي تأخذ بحافهم . ولأن أقوالاً
 كهذه قد تحدرنا عما نعانيه فعلاً، ونعلق أحلامنا وأمناعنا وأمنياتنا يوم الموعود الذي
 تنسى به العربون . ولن يصح اليوم الموعود إلا عقولاً وسواعداً . ومن ثم فإن أهم
 ما يمكن أن يعيده من شهاداتهم تلك هي تأكيد حقيقة أن العالم يعاني - فعلاً - أزمة
 قسبية وأنه بحاجة - فعلاً - إلى قرب النجاة قبل أن يموت أو ينتحر عرفاً.

ولسألة كما هو واضح ليست في إيجاد السبيل، فهي هو ذا ساطع نيز كالشمس
 والقمر.. ولكنهم - لأكثر من سبب - لا يعرفونه تماماً ولا يقدرونه تماماً . وذن فإن
 المطلوب في العقود القادمة هو تحقيق القدرة على اتوصيل

إن الاستعداد للتفصيل سيراداً اتساعاً مع الأيام والفراغ متاح عن معطيات
 حاصرة لا تعرف الله والإنسان سيراداً عمقاً والتاريخ يصعبه أحياناً توقيت دكي
 لإصابة لأهداف.. وما هي ذي الأهداف المواتية تدعوا، فليعد للأمر عدته، فإن

كسب رجل مثقف من علم العرب - رجل على مستوى حرمانوس أو ديبه أو ليوبولدفايس أو بوكاي - هو كسب كبير يرب في رصد الإسلام مرتين، مرة باسمه الرجل إلى هذا الدين، ومرة سوطيف قدراته لتوصيل اقتناعه وآرائه الخديده إلى سي جلدته بلعتهم نفسها واقتناعاتهم ذاتها..

❖ ❖ ❖

ومع الأمل الذي نعه فيه حاحه العالم المعاصر إينا ثمة إصاءات قرآنية تنقذ
في طيات المستعمل العاص كوميضات النجوم اساطعة في السماء البعيدة وقد غدا
الوميض البعيد، عبر مراحل متعددة من تاريخ دي لأربعة عشر قرن من العمر أمراً
واقعاً باراً في قلب العلم، على مساحات واسعة من أرضيته تحرق ونصي، في
الوقت نفسه.. ولكن كيف؟

ليس بالأمي والطيرد والأحلام يقيناً ولكن بالفعل والتحقيق والتجريب والممارسة والجهد والمقاومة والحركة

وما لم يعمل عقولنا وسواعدهم لإشعال النار المقدسة في صميم العالم، فإن قسبه سيظل معبأ هناك في المساوات الباطنية، حيث تعرق الدبيب في لصلام بسطر إلهي ولنعرف الطريق الذي يوجب أن نسلكه لنحوين الكلمات المضيفة إلى أفعال مضيفة، والنار المتوقعة إلى نار مشتعلة.

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿١٤﴾ وَلَنَنصُرَنَّ مَنَافِي وَحَلَّافٍ وَعَبِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (إبراهيم).

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ بَرْنُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾
إِنَّ فِي هَذَا لَلْبَلَاغَ الْقَوِيمَ عَسِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴿ ١٧٢ 〉

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربَهَا أَلَيْسَ تَرْكُنَا
فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٦].

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٨]

[الآية ١٢٨]

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَهْلًا وَنَجْعَلَهُمُ

الَّذِينَ لَا يُشْرِكُونَ ۚ وَنُفِخَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصور: ١٥]

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ كَمَا اسْتَخْلَفَ

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيَسْجَنَ لَهُمُ الْآلِفُ أَسْرًا ۚ لِيَمْلِكَهُمْ فِي مَقَرٍّ مِّنْ حَرِّهِمْ وَلَا يَمْلِكُونَ

لَهُمْ شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النور: ٥٥]

[النور: ٥٥]

* * *

دين الحركة والمستقبل،

والإسلام هو دين الحركة والتقدم. والتشوف الأيدي إلى الأمام إلى المستقبل.

من أجل إعادة الوفاق مع سس الكون ونو ميس العالم ونحن نتحرك باتجاه جديد

يتربح أن يدرك هذا حيدا - فالمسلم - إذا أردنا الحق - هو التقدمي الوحيد!!

إن الإسلام يمثل موقفا في قمة حركة التاريخ، لأنه دعوة لاكتشاف حركة

والتوافق معها. يس مع حركة التاريخ فحسب كما تسعى اماركسية، ولكن مع

مواهب العالم والكون كله.. وهو شعر المسلم الحاد أنه يقف في موقف ساكن، أو

رجعي، عاوده مباشرة. وكل قوة هذه القوة التي تسبق من كونه يتمي إلى العفيدة

التي تجمع به الإرادة بفاعلة في العودة بداته ومجتمعه وبالبشرية عموما إلى طريق

التوافق والتقدم - من ثم - برحم عظيم يتولد - بالضرورة - من التقاء الطاقات

الإنسانية والمادية في إطار التوافق، وليس تصادمها وتقطعها وتمتتها. التقدم إلى

كشف أعظم وحطوات أوسع وساء أكثر ديمومة ورسوخا بقاء على هذا العام

لو أن المسلم الحاد شعر لحظة بأنه يقف في موقف رجعي أو ساكن لتحلى به نواء

ولكنه يشعر بأنه محرك في قفلة المسيرة التاريخية دائمة، لأنه ملتبس لكلمة الله التي تقوده وتحدوه. ومن، غير الله سبحانه، يعدل على تحديد مواقع الرحعية، والسكوب، ولتقدمية الله الذي يعدل على موضوعات الرمان والمكان السسية، ويستشرف، بعلمه المحيط، صيرورة الكون والتاريخ والخصارات؟

لقد تحدثت عشرات الوصعيين، بل مئاتهم، منذ عهد أرسطو وسقراط وأفلاطون، حتى عصر برحسون وديوي وتوبيي وسارتر، مروراً بهدكس وإنجلر وهجل وكونت وبلايف وغيرهم. تحدثوا عن مفاهيم الحركة، وكل اتخذ موقفاً إزاءها، وحدد على ضوء موقفه ما هو رحعي ساكن (ستاتيكي) وما هو حركي تقدمي (ديناميكي). موقفاً يختلف بدرجة أو أخرى، عن مواقف الآخرين. فمن منهم يا ترى يكون مصيباً؟ وماذا يكون ادعاء العلمية والصواب المطلق حكراً على هذا المفكر أو الفيلسوف أو ذلك؟ داموا جميعاً أعمالوا عقولهم من حلال قدرات نسبية ومعرفة غير كاملة باحثين، ثم أصدروا حكمهم بعد هذا؟

ليس ثمة فصل في هذا المجال كما هو الحال في أي من مجالات الفكر الوصعي فيما يسمى بدائرة العلوم الإنسانية التي يحاول رجالها ادعاء لعلم المطلق، وأن ما يطرحونه من فلسفات هو بمثابة كشف نهائي لنس العالم والحياة على العكس من رجالاب العلم المحترمين الذين علمتهم مباحث بحثهم لعلمية حقاً أن يتواضعوا فلا يقعوا في مطية الادعاء. والمسلم الخاد يرفض وصاية أحد من الوصعيين، ويرفض نصيبهم للناس إلى رجعيين وسكوبين وتقدميين، كما يرفض نصيبهم للحقائق والنس والرواميس، لأنهم كما يصنعهم لقراة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [سجم ٢٣]

والمسلم الخاد مفتتح حتى آخر نظرة من دمه، وأعمق حسه في دماغه، أنه يجتهد بسلامه أكثر المراضع حركية وتقدمية في مسيرة التاريخ ورواميس لكون وحرائظه. وبن جهاده الذي هو بمثابة ثورة دائمة، إنه هو إستراتيجية الحفاظ على هذا الموقع، ودعوه الإنسان في مشارق الأرض ومغربها إلى احتباده. وصدق الله العظيم: يقول.

﴿وَإِنَّكَ لَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٠﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿١٢١﴾﴾ [مشورى].

* * *

هندسة جمالية للثقافة:

ومادا عن المسار الثقافي في قرن بلغت فيه إمكانيات التحفظ والبرمجية والدقة المبهجة فأبعدة ونحن لا نزال في قطاعات واسعة من معطيات الثقافة، نتحيط في الموصى والأرتجال واللامهجية في وقت يتوجب علينا أن نستعيد إلى أقصى مدى ممكن من كل ما تضعه تحت أيدينا هذه الإمكانيات من أجل أن نحضر الرمز الذي يوصل حصارياً عن الآخرين، ومن أجل أن نوفر في الجهد الذي نحن بأمس الحاجة إلى سعراته لمواصلة السبق الدعوى .

إن الحديث في (مهجه) المسار الثقافي وصرورانه بطون وتنشعب؛ ومن ثم سأكتفي ببعض الملاحظات المتواضعة عنها تلقي إضاءات كاشفة على حواش من المشكلة المبهجة، وتير جانباً محدوداً من طريقنا إلى المستقبل

إنه يتوجب عن المعكر لإسلامي الحديث أن يعدو (مهندساً) يلتزم قواعد التقدير والتأطر والتناسب، ويعمل بموجب التوزيع الرياضي الصارم للأبعاد والمساحات، ويدرك أن (العمل الفكري) لا يستوي على سوقه إلا بأن يلتزم فيه شروط أساسيان هما (النعم) و(الحما)، أو المحتوى، والأسلوب، أو كما يقول قدماء (المعنى) و(البنى) إلا أن المطابع - للأسف - تقذف بين الحين والآخر كتباً ومؤلفات من هذا النوع وتحتفي قيمة الواضحة المحددة وراء ركام من الكلمات والعبارات (الإصافية) التي لا تصل بالقرى إلى أهدافه إلا بعد أن يختار به عشرات المبهجات والدرود المعوجة وعندما يصير يكون قد أرهاق . غير مسعداً لتقبل الحقيقة النهائية التي سيكشف عنها النقاب آنذاك!!

وإذا كان هذا مبحث لكتاب الأحيار الماضية حيث لم تكن أساليب البحث

المكري وما حجه قد بصحت واكتسبت، فإنه يعد حطيثة كبيرة في المفرد الأخيرة التي بلغت فيها تلك الأساليب والمناهج حدًا واصحًا من النصح والاكتمال، وانتشرت في أنحاء لأرض بحيث أصبحت مذاهاها وقواعدها في متناول الجميع

فإذا ما أضفنا إلى هذا ما يميز به عصرنا الراهن من مهبأ أمرره السرعة التي تتطلب التفكير، والتوغل العبد في مادين العلوم جميعًا مما يستلزم طرح أفكار وسر أعوار، بعيدًا عن البرهات اسلاعية والمناجات الإيشائية، كان لنا معرف مدى ضرورة أن يتحول كل كاتب منا إلى (مهندس) يعتمد أدوات (اللغة) المناسبة لإيضاح أكثر قدر من الأفكار إلى عقول المثقفين وبهوسهم؛ إذ يجب أن يكون هناك ترابط عضوي وتسلسل منطقي بين الكميات والكميات والفقرات والمفصول، بحيث إن أي تغيير في وضع واحدة منها، تقديريًا وتأخيرًا، يفود إلى تمكث في البحث واضطراب في صياغته، رغم أن إحاثًا كثيرة تطرح، ولشدة تمككها وعدم تماسكها، فإن بإمكان أن يجري تغييرًا في مواضع لكمياتها وحمده وفقراتها ومفصولها دون أن يلحق بالبحث أي أدى، تمامًا كما يسي إسكان ما بيننا كثير الحجرات والردهات، وهو لا يعرف عن علم الهندسة المعمارية شيئًا، ومن ثم فإن التفكك والموصى، وانعدام التناظر واحتلال التماسك، سيمكّن أيّ إسكان من أن يجري تغييرًا في التصميم المرئى دون أن يلحق بالبيت أيّ أدى

إن الكلمة رائدة التي لا تخدم معنى في الحملة يجب أن تستبعد، والحملة العابرة التي لا تأخذ مكانًا مناسبًا في الصفرة يجب أن تلعى، والمقرة المرتجة التي لا تؤدي دورها السائي إراء رفيقاتها يجب أن تهمل، ومجموع الفقرات التي لا تحمل في طياتها فكرة جديدة أو عنصرًا أساسيًا في البحث، يجب ألا تأخذ أنه مساحه على الورق

ليس هذا وحسب بل إن البحث بمجموعه، إن لم يصف حديثًا إلى ميادين الثقافة الإسلامية، يجب ألا يهدر منه أي جهد بإمكانه أن يصرف في طرق باب حديد، أو التحرك إلى أفق لم يصل إليه أحد قلا، أو يكشف عن حقيقة حرس في أمس الحاجة - في الساق الرمي ابراهن - لتكشف عنها - والمؤمنون كما يصنعهم انقر آن ﴿أَوَلَيْكُمْ يُسْرِعُونَ

فِي الْخَيْرِ وَهُمْ لَهَا سَيِّقُونَ ﴿٦٦﴾ [التؤمّن]، وأي خير أكثر من أن يدحر جهودنا وطاقاتنا
 الخلاقه لكي يسارع به في ميدان الفكر، بدلاً من أن نحتل الأبحاث المتشابهه وبدأ فيها
 ويعيد وبدلاً من أن يعالج الموضوع الواحد أكثر من عشرين مرة ونحن نتمطى أو
 نشاءب ونعاني الملل، تماماً كما يحدث لمن يصلي الجمعة يستمع إلى خطبة أصححت
 لتكرارها- تبعث على الخدر وتدفع إلى النوم دفعتاً!

وستصح على سبيل المثال أنه مجلة إسلامية؛ يجب سجد- إلا في قبة نادرة منها.
 أبحاثاً وموضوعات مكرره، وبخاصة تلك التي نشر في (المسابد للإسلامية)
 كالمولد، والهجرة، والإسراء، ورمضان، والضحى، والأعراس، وهي موضوعات تحمل في
 طياتها خطبتين بحق الفكر الإسلامي والقارئ المسلم، ولأهما إنشائيهما المضححة
 وعدم احتوائها على قدر كاف من الأفكار والتصميم الذهنية، وثانيتها تكرارها الذي
 وتضييعها لجهود ما كان لها أن تضييع لولا هذا التكرار.

وبس معنى أن يكون الفكر المسلم (مهندساً) دعوته إلى التحلي عن (القيم
 الخيالية) في معطياته أئذا. إن (الخيالية) هي إحدى مميزات الهندسة نفسها، فاهندسة
 - كما هو بديهي - ليست نقصاً للحكم، بل إن الرياضيات في أساسها - وهي التي فهم
 البناء الكوني وفق مقولاتها - تعد بذاتها تماسيحاً خيالياً بهراً؛ ومن ثم يتوجب على الفكر
 المسم ألا يعمل - وهو يطرح أفكاره وفق أشد المباح صرامة في هندسيتها - عن
 المتطلبات الخيالية التي يقتضيها اسطق الهندسي نفسه - وهي متطلبات تركز على (بعة)
 فت بطايرها بين اللغات، نتيج لساحت محالا ابتغائياً واسعاً لتوصيل (أفكاره)
 بالأسلوب المتناسك الوصح الخمين ابتداء باختيار (الكلمات) المناسبة وانتهاء
 (بالنص) للعموي الذي يعطي بلحث شخصيته (المية) المسقنة، مروراً بالتراكيب
 الخميطة والعبارات والفقرات والفصول.

إن بعض مثقبي قد انتروا الألف بالظرة التجريفة للمواقف والأفكار والأشياء،
 وعدموا الرؤية الشمولية التي لا يسم بدونها تقويم موضوعي لأنة قصبة من القضايا
 المتجدده في مبادئ الفكر والحبه - وهؤلاء لا يستطيعون إلا أن يهصلوا بين الفكر

والجبال، ويقولون: إما هد أو داك إما عطاء فكرياً حافاً حفاف القوانين صارت
صرامة التحليلات العقهية، وعرضاً للحقائق الإنسانية والتاريخية بأسسط الأساليب
وأفهم إلى دهر القارئ، مهما كنت على درجة من الحاجة والبدنية وإما كلاماً فنيّاً
إشائيّاً يعتمد مقولات البلاغة ونهاويلها ورخرفها، ويظيل الطريق على القارئ مهده
التهويل ونذك الرحارب التي لا تحوي في طياتها قيمًا حقيقية ولا أمكراً جادة

* * *

بين التراث والمعاصرة:

وم دم بصدد الحديث عن المسر لثنافي، فمبه يتوجب علينا أن سأل أنفسنا، أين
الأدباء الكبار في عطاءنا الإسلامي المعاصر؟ لماذا لم يبرز شاعر كبير أو روائي كبير أو
ناقد كبير، كبير على المسويين العربي والإسلامي والعالمي على السواء؟ لماذا يبرز
هؤلاء عن كل المذهب ولا اتجاهات، دسة ووصعة وم بر و عبدنا؟

إن أي واحد منا يستطيع إذا شاء أن يعثر على عمل فني أو أدبي كبير يعبر عن
الموقف اليهودي أو المسيحي أو القومي أو الوطني أو القومي أو الطبقي . أعني عملاً
كبيراً بمعنى الكلمة، شكلاً ومضموناً في الرواية في القصيدة في المسرحية في
النقد وفي أي من يعتمد الكلمة المعبرة جسراً لنقل التجربة والرؤية الشريتين إلى
الأحرين.

من ما لم يسمع عن سبيل المثال - شاعر المقاومة العربي (أراغون) وناقض
الروسي (غوركي)، وبالروائي اماركسي (شولوخوف) أو غريمه اليراني (اسيرناك)
أو شاعر اشيوغيه (مايكوفسكي)؟ ومن ما لم يسمع برواه (خيروحيو) (الساعة
الخامسة والعشرون) ذات نفس اليهودي الخمي، أو بقصة (هري سيرويا) (الحقيقة
ولدت في المنى) ذات الإيماء المسيحي اشاعري العميق؟ وغير هؤلاء من الذين لم
تورد أسماءهم إلا على سبيل المثال، عشرات بل مئات.

لا يقل أحدكم إن هذا سبب هراثمتنا المستمرة في العقود الأخيرة، وسبب

الصعوط الثقافية والسياسية الهائلة التي لا تطاق، والتي سلطت بكل أسلوب سحق
أي نشاط إسلامي وقتله في المهد. فهذا الكلام غير معقول لأن الأبناء الكبار يربون
دائماً في قلب هرائم وعلى وهج النار لمحخصة تلتهم فرائضهم كاسحوم الوصاء في
أعماق الديار لكي تبت صوءها الأرضي الحليل على الكائنات، وتمنع إبداعها وروعتها
لكل راء

ولا يقل أحدكم. إن ذلك يكمن في موقف الإسلام نفسه فمن العث وقد
انتصر الإسلام بقوة (الكلمة) القرآنية المعجزة في قدرتها التعبيرية، وفي جاليتها
الساحرة شكلاً ومضموناً - أن ناقش رأياً صحيحاً كهذا!!

وباستطاعت حيف، بعد نهات هاتين الحجتين، أن تبحث عن الأسباب ولعن
أكبرها يكمن في مثقفي أنفسهم، في تكويهم الفكري وبحريتهم النفسية، وفي قوائم
الكتب التي يطالعونها. إن معظم هؤلاء الذين سميهم - تجاوزاً - بالثقفين لا يقرءون
- مدحمة تفتح وعيهم على القراءة، وتصلهم الوثائق بالكتاب - إلا الكتب لراثية .
ولا يتوسعون ويفقرون ساعاتهم العالية إلا في تصاق معطيات الفروع الأولى - فإدام
قرءوا أدناً فإنهم لا يقرءون إلا للجاحظ أو اس انقع أو ابن عذرة أو الأصمعي أو
ابن الخوري.. وبراهم غديين راتحين إلى الكارسمات والكتابات والوادي وهم
محملون - بحبي الطهور، مكسري الأنس - محلات التراث المعبرة الصغراء، وتوك
ألسنتهم بأعزاز كتاب (الحيوان) أو (صفة الصموة) أو (البيان والبيان)

إنهم يعيشون في عصر آخر غير عصرنا لقد توهوا أو هموا، أن الفكر الحقيقي
لا يخرج عن نطاق تراثنا، وأن الذي يريد أن يتقف - بحق - فإن عليه أن يتجاوز
معطيات الإنتاج المعاصر وألا يشمل نفسه به لحظة واحدة، فكراً كان أم أدناً أم فلسفة أم
فناً.

و لحق أن يستطيع أن تنمى في نموس هؤلاء . حسناً مردوحاً ما كان لهم أن
يتقبلوه لحظة واحدة . بهم - من جهة - يرون أية مطالعة في معطيات الفكر والأدب
أحدث حطته ودسلاً لا يسعهم وحسبهم ونظرتهم الروحانية إلى الحياء . وهم من جهة

أخرى يرون المطالعة في كتب التراث نوعاً من التطهر والتقوى يتقربون بها إلى الله - فما دمت أزهق نفسي في مطالعة كتاب - يقول أحدهم - فلماذا أقرأ كتاباً يعادي عن الله؟ ولماذا لا أحعل عملية المطالعة بنفسها حرة من عسادي ومواري؟ ثم ماذا تكون النتيجة؟ إنها هذا الفراغ المحزن الذي نراه في عظمنا لأدبي المعاصر. إن هؤلاء المثقفين - وقد عاشوا عصرًا عر عصرهم، وتعاملوا مع كلمات وتعابير كانت ماسة لبيئتهم، مستحبة لمنظمتها التعبيرية، لكنها عذب عر مأساة لبيئتنا نحن، بل مسعصة على منطلقاتنا وبدايات التعبيرية - سرعان ما يحدون أنفسهم بعد رحلة سبب طويلة في ميدان العلوم القسمة وكتب التراث غير قادرين للمرة على أن يكتبوا حرفاً واحداً أو يدعرو أثراً أدبياً باقياً وكل ما يستطيعه أي واحد من هؤلاء، بعد كل ما جاء من سبي الكد والسهر والعناء، هو أن يبدي إعجابه المراد بدياحة ابن المقفع، وجرالة الخياط، ونقداب ابن اخوري!!

وهذا التشتت (المتحفي) بالتراث، والانقطاع المحزون عن تيار الفكر المعاصر وصحة واندفاعه وحيويته وتمحضه الدائم، لا يسلب مثقفين هؤلاء القدرة على التعبير أو مجردهم من أداة التواصل لإبداعي مع الناس فحسب، إنما - وهذا هو الأخطر - يفي أبة تجربة وجداية أصيلة في نفوسهم، ويحمد أي تفجر إبداعي في تجربتهم الذاتية، ويصددهم بالكيفية عن الطر إلى أصنافهم حيث يكمن الموقف الحقيقي الذي يصنع الآداب ويبحث الصون؟ ومن ثم فهم يرحلون على الناس بعد رحلتهم خارجة (الساكنة) مع التراث وقد انصرفت شخصيتهم، فابن عمار القديم على ذواتهم الناطية الأصلية، ولم يعودوا يرون أو يتعاملون إلا مع شخصيتهم الثانية المتحفية المعلقة دوماً على رفوف المكتبات القديمة، والمتنوعة - أندا - كتب أناس ماتوا منذ مئات السنين ولم تعد معطيهم بحث رجعة الإبداع والدفق في نفوسهم لأهم عاشوا في عصر غير عصرنا وكتبوا بلغة غير لغتنا

باختصار إن مثقف لم يملكوا مقومات التجربة الإبداعية الذاتية التي تنفجر عن الرؤية الإسلامية - قصة أو رواية أو مسرحية أو قصيدة أو عملاً فنياً - التجربة

التي كسها التحرك الطويل في الدهاليز المظلمة، وحطتها الروح المتحمية الساكنة،
وفصمها عن الواقع المتغير ذلك لنشث بالعصور القديمة والذي يقرب بأصحانه حيب
من الوثنية المكرية والعبودية التي لا يعرف التحرر من أسر التراث

و لسيدل لدي نسد به بعض مساحات مراعب الأدبي المعاصر، معروف أن يتحرر
منقفونا من عوديتهم للتراث، وأن يستأصلوا من نفوسهم عقده الخطيئة إراء معطت
الأدب العالمي الحديث أن يعيشوا عصرهم ويعتمدوا لعنهم أن يعودوا إلى دواتهم
لكي ينظرو ويعمقوا وعيها ل طي وتجرتها الإداعية التي تكمن وراء أي عمل أدبي أو
في كبير وقد علم رسول الله ﷺ أن «الحكمة ضالة المؤمن أبي وحدها النقطة»

ولا يحمل هذا الكلام أي معنى مدعوة ترخص التراث بالكلية؛ لأن معنى هذا هو
التدار عن شخصيت التي نميرنا عن الأمم، ولشكر لماصسا الذي ستمد منه القدرة على
النقاء ولن يقول بهذا إلا حائن أو مهروس والذي يطرحة شيء غير هذا بارة ويبقى
الدبل هو أن يعيش عصر من حلال رؤينا الإسلامية وحدها وألا يستعددا التراث.

* * *

الكلمة وسلاح التغير

و نحن نتحدث عن الأدب الإسلامي نحصر منقوله سادير (إذا لم يكن الأديب
حليما للمظلومين فلن يكون إلا شريكا للظالمين)

وسأل المرء نفسه: من أخرى من الأدباء الإسلاميين سادرام هذه انقوله؟ من
أجدر منهم بمعرفة حقيقة أهم إن م يكونوا مع المظلومين كانوا مع الظالمين؟

إنه لا يوجد موقف وسط بين الحق والباطل، ساكن غير متحرك.. إن الإنسان
والأديب، بالأحرى (الكلمة)، فعل - كم، يقول، سادتر نفسه - لا يعدو أن يكون مع
العالم أو المظلوم، تيرير لفظم أو إصاف للمظلوم إن الكلمة (تغير)، هي في وعاليتها
تذكرن بحديث الرسول ﷺ «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فمن لم يستطيع
فلساه، فمن لم يستطيع فقلبه، وهذا أضعف الإيمان»! فالكلمه هي اخذ الوسط بين

اليد وبين الرقص الناطقي الصائب وهذه الأعمال الثلاثة - على كل حال - تمثلت فعلاً قديراً على التعبير. إن الرقص الصائب هو الآخر (عمل) من أحسن التعبير مهيئة وتمهيد للكلمة العاصية واليد لصارية. ومن ثم فإن موقف لأديب هو تحميل الكلمة كل ما تستطيع حمله في عملية التعبير. وهو تعبير (ديناميكي) أبدي مادام هناك ظلم ومظلوم. وقد طرح رسول الله ﷺ هذا البعد الديناميكي لكي يعطي كل زمان ومكان دوره توقف. والمعروف والمكر بصطرحان وينادلان المواقف كاصطرح الليل والنهار وسادل الشمس والقمر والجهنم ما ص تعبير رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة

وهو ينبغي مع كل حركة (الرام) تسعى إلى تحميل الكلمة مسئوليتها في تاريخ الإنسان وحركته صوب الحق والعدل، ولكل يفرق مع هذه الحركات (كالمركسية والوجودية...) في تحديد طبيعته الظلم ومساحته، وديناميكية ترى مساحته مقصورة على حاجة الإنسان إلى الطعام على طاعة يتختم وفقر يموت جوعاً والوجودية تراها كذلك سماع مركب بقصها إزاء الماركسية وتصيب إليها مسألة (الحرية) المتبددة بالانترام والكلمة نجية إذن لتعبر حرية الإنسان وهو يفاضل من أجل أن يسمح به أن يكون (موضوعاً) ديناميكياً (دائماً) ساكنة (إستاتيكية) دون أن يدري هؤلاء أن إطلاقاً كهذا يفرّد إلى انظم الحريات والمشرع والديوان المتحركة اعتقاد على فردية الإنسان وتوحده وعدم تشابهه - أساساً - مع الآخرين .

أما للإسلام يرى أن الظلم الواقع بالإنسان يشمل دائرة أوسع بكثير من دائرة الحاجات الأساسية المكبوتة، أو الحرية التي تحيل الإنسان إلى (مشروع) دائم التعبير والتمحص دون أن يرتكز على قيم ثابتة ومخوّر واحد، مما يؤدي حتماً إلى التشبث والتمسك والصراع الذي يحده، وأصبح في التطبيق العملي للوجودية، وفي أثره لومته لنظريات التي يقول بها الوجوديون

الإسلام يرى أن (الظلم) هو في إحراج الإنسان عن موقعه (الطبيعي) ولأساسي في حارطة الوجود، في تدمير انسجامه مع نواحيس العدم والخلقة، في تحويله عن (حريته) و(توحيده) و(توحيده) إلى العبودية والتأرجح والتمرق وهذا يعني دوماً على

يد (الثمة) أو (الطفة) أو (الجماعة) أو (المرد) الذي يسمى إلى إلحاق هذه المناسبات بالإنسان من أجل أن يأله هو في الأرض ويحقق مطامحه على حساب سي آدم وهو أو الطيقة أو الفئة - من يهيمه - أو يهيمها - النتائج المتأينة من جراء هذا (الظلم) الواقع على الناس بوحاشتهم عن موافقتهم الطبيعة واستحسانهم ودمار بوارهم وحرقتهم، ما دامت التبيحة في صلب الفئة أو الطيقة التي انتزعت لنفسها حق القيادة والسأله، وسحبت صفة العبودية على جميع الناس لكي يتحولوا إلى قطع لا تريد فاعيت في الأرض على تقديم عصائه وجهوده ثمارا سائغة للفلة المترفة المستعبدة. ومن ثم فإن دور الأديب المسلم والمفكر المسلم هو الحركة الملممة خائب المظلومين جميعا من أجل عودتهم إلى موافقتهم لضيعة واستحسانهم، ومن أجل اسرداد حرقتهم وبوحدهم وتوارهم، والجهاد الدائم ضد كل لطواعيت الدين يسعون في لأرض فسادا وبؤسوا أنفسهم من دور الله، ويستعيدون لسان ظلم وروا هذا الموقف المترم الذي يعرض على أوسع مساحة عرفها الصراع بين الظالمين والمظلومين، مروراً بمسألة الطعام والشراب والقيود الاجتماعية والحرية، وانتهاء بالافق الواسع الذي يحتمي فيه الطالمون جميعا، وحتى يتحرر المظلومون من قيود القهر والعبودية ومن هذا نجد سبه القرآن الكريم دوما إلى أهمية الأحاد على يد هذه الفئة الظلمة ولا عمت الملوى كل الناس طالبن كسوا أو معلومين ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِكُمْ خَاسَةً وَأَعْمُوا أَن تَأْكُلَ أُمَّةٌ شَيْئًا مِّنْ أَثْمَارِهِ﴾ [الأنفال]

ومن هنا - كذلك - أكد القرآن على أن الشعر الحقيقي هو الشعر الملمرم قصبة الإياد والانتصار على الظلم ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [٢٢١] أَلَزَّرَ أَنَّهُمْ فِي كَلِّ وَادٍ يَهْمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَنَّمُوا ﴿الشعر ٢﴾. وهذا هو أصدق تعب عن مسألة الترام الكلمة، لكونها لا تحمل إيجبتها إلا بأن تكون (فعلا) يلتزم ويثور يؤمن ويتحرك ويعطى دائما على حظ المظلومين حتى يتحقق لهم الانتصار على الظالمين.

* * *

ولشباب المسلم هم الذين سيبدون صياغة العقود الأولى من القرب الحديد
وهذه الكلمات موحية إليهم ومن دمائهم احاره وإحلاصهم العميق تكسب دققها
وإحلاصها ووضوحها .

تمام . كما تنصر أحداث عبر معارك اقربو الماضية هات سننصر مرة أخرى
عبر معارك القرون الحديد، بمجرد أن يستكمل الأسس إليها حدثًا، وعريضة صادقة،
وعطاء دائها، وعمالا مرعها بلقدرات والصدقات التي منح الله إياها وما أكثرها
وأغورها لمن يعرف كيف يهد من منحة الله!!

إنه يتوجب علينا أن نتعلم من تجربة التاريخ وإن القرآن الكريم ليدكرنا بهذا
المرّة تلو المرّة ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [١]
[الاسم] . ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [٢] [السر] . ﴿قُلْ
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة ٤٢] . وحيداك سعرف،
كيف يهد من عامل الزمن، وكيف يطلق إلى أهدافا بإدراك أشد إصاءة وفهم أكثر
عمقا . ولر يستطيع أحد أن يدك ومرض عيب مواقع التنعية والصعد . فالذي
تخرجه مدرسة الأربعة عشر قرنا لا يمكن أن يدل ومحض، والذي تربي في جامعة
القرآن لا يمكن إلا أن يكون عريّا ﴿وَاللَّهُ أَلَمُّرَّةٌ وَإِلَهُ مُؤْمِرٌ﴾ [الاسم ٨] .

إن الأحوال التي سقتنا على الطريق الطويل لم تأل جهدا في هذه الحجة أو تلك،
وإن عيت أن مطلق عبر العقود القادمة بسرعة أكبر من ملكه من تراكم في الحرة، وبها
تحمه علينا معصلة بحار المارق الرسمي الحضاري يباوين الخصوم وبها يأمر به
ديسا من ضرورة المابقة في إعطاء حيث تعدو في معاييره الأصلية جريا من مطالب
الإيـر ﴿لَئِنَّمْ كَانَوْ يُسْرِعُونَكَ فِي الْحَيَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَهْبًا﴾ [الب ٩٠] .
﴿وَلَسْرِعُونَكَ فِي الْحَيَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [ال عمران ١١٤] ، ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي
الْحَيَاتِ وَهُمْ لَمَّا سَبِقُونَ﴾ [٣] [الزموذ] .

وإذا كان ثمة ما يبدل أقبوسا بالأمل ويرفع نفوسنا باليقين إن هذا القرن-إذا عرفنا كيف نعد العدة- سيكون قرنًا أكثر من سوانقه أهمية وحسها في تغيير خارطة العالم، فيما يعيد لهذه الأمة المعثرة المرفقة أسكوده الكثير من ففدنه. بعد أن أصبح في قعر الهزيمة بتسقط اليهود عن رقاب المسلمين؟! إن العلم كله يتظر اليوم إنساره إخلاص..

ليس ثمة مكان في هذا العلم لا يتعدى اليوم إنه وقد أثر منذ قرون بعيدة المرد على هدى الله وشريعه - كان لابد أن يبال عقاب تمرد وعصيان

إنه عقاب العطرة لمن يتمرد على العطرة

وعقاب الطبيعة لمن يشق عن بواقيها

وعقاب الكول لمن يبحر ضد سننه.

وعقاب الله لمن يتحدى كلمته التي لا راد لها.

لقد طمأ انصاع وبلغ السيل لربي وإذا بمجرد أن تمر مسرحين على صحف العام ووسائل عصره . سرى بأمر أعيب ولمس نكتا يدب ما يعاينه العالم من عذاب وما يحيط به من مباد، فما هي القوة القارئة ترر ثابته في قرنا هذا ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي آتِزِ وَالْخَرْبَ كَسَمَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِبُدْبَقْهُمْ نَعَضَ أَلْدِى عَمَلُ أَلْهُمَّ بِرْجَعُونَ﴾ [الروم ٤١] ولن يكون الرجوع إلا بهذا الدين

إن العلم كله ليس بأقل حاجة من المسلمين أنفسهم إلى (منهج) يعرف كيف يعملهم على لعذاب والفساد كيف يصنعهم في قلب دنيا جديدة بطبيعة التربة، بقية الهراء، معتدة الآفاق. وإن القرن الخامس عشر هو قرن التجربة حقا وإنه بلجهد مردوح يوحى على المسلمين أن سوءوا بحمله الصعب والعودة بأنفسهم وبالعالم كله إلى مراحى الأبرار السعيدة لمتوحدة. من أجل حياة أحدر بالإنسان

فليكن القرن الخامس عشر قرن انكدح اللاحق والعطاء الموصول ولسن السحي

الذي يكسر الحلقة المزعجة التي تحيط بالعام و يجرح به من صيق الدنيا إلى سعتها، ومن
 حدود الأديان إلى عدد الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ﴿وَلَيْسَ صُورَتُ
 اللَّهِ مِثْلَ شَيْءٍ مُّشَبَّهٍ﴾ [الحج ٤٠]

* * *

فيا أيها المسمون في كل مكان

إنكم أحقاد أولئك الرواد لكار الدين ملأوا أربعة عشر فرما من الرمن
 بالإنجار والإنداع والمخارفة والكشف والتحقيق والانتصار

ومن يعجزكم شيء إد، خلصت اليه واشتعلت فنيه لإيمان. إن جيلا يتسلم
 الراية يممضي بها صوب فرد حديد هو حيل سعيد بالموقع الذي وصعته إرادة الله فيه
 وبه لشرف عظيم أن نحمل سواعدكم كتاب الله وسب رسوله إلى عالم مرهق مكثود،
 يتحرك مد رمن بعيد في طرق مسدودة ويطرق أبوابا مقفلة لن ترد ولن نستجيب .
 ولن يكون الباب الوحيد لمصوح سوى باب هد الدين. وإنه لغير حقا على أن
 يستوعب البشرية المطحونة كلها دحولا إلى الساحة البصنة المتوحدة انني تظهر
 وتسع وتزكي

ومن يدخل أحد من بكم الكبر ما لم تعلموه كيف يكون الدحول

* * *

مستقبل الإسلام في ضوء التحديات الراهنة

١- مقدمات ضرورية

لا يمكن أحد يجادل في أن لطرفين، مسلم والأخر، شاركا في تقديم صورة غير موضوعية عن الإسلام . صورة لم تكن بمسوى المشروع العقدي الحضاري الذي جاء هذا الدين لكي يحرر به الإنسان و لعالم، ويعيد صياغتها بما هو أكثر توافقا واستجابة مع إنسانية الإنسان ومعنى الوجود البشري في الأرض.

فمنذ عصور انكسارنا الحضاري، عبر القرون لأحره، وعوامل اسوء تجمع في دبرنا، بما صنعته أيدينا، لكي تختر حديق بسا كأمة وبين هذا الدين بأبعاده وحيثياته كفه وراح هذا الحديق يرداد عمقا واتساعا بمرور الأيام . أمه فرمه إراء مشروع عملاق أكبر من حجمها بكثير!

وما لست الاستعمار، بصعته القديمة والحديثة، أن فرص هيمته على جعرافة عالم الإسلام، وما من مباشرة - أو من خلال السلطات المحلية التي نصها في عواصمها - واحدة من أشع صيغ انقصر والاستلاب، لتأكيد تلك الارتباط بين المسلمين وبين عقيدتهم ومشروعهم الإنساني الكبير

وبرأيه (هو بربه) تعتمد لعنف والتطرف وسحق الطرف الآخر مدارس الاستعمار ووسطوة من حكام الديار الإسلامية - بل حتى النخب المثقفة والأحرار السليمية التي دانت بمره بالولاء - إرهابيا قل نظيره في التاريخ

وعلى المستويين المحلي والدولي وحدث استسلمون أنفسهم، شعوبيا وجماعات، إراء ما يسمى (بمرهاب الدولة) الذي لا تكاد تبلى عشر معشاره كل أليات لعنف والتطرف التي يسميها الإعلام المضاد بالإرهاب!

في الحجة الأخرى، لم تتح للعربي الفرص المفتوحة للاطلاع على حقيقة هذا الدين وإدراك رؤيته التحريرية ومشروعه الحضاري، وتأكيد على قبول (لأخر) والعيش

مع

ثمة من قد كانت تتمتع بين الحين والحين للاصلاص على خلفية الإسلامية بيًا وقرآن
أو عقيدة أو شريعة أو حضرة أو تاريخًا . وكان هذا من ضيق فضائه يدفع الآخر:
منعًا أو مفكرًا أو عالمًا أو إعلاميًا أو سياسيًا، إلى إبداء دهشته وإعجابه بهذا الدين،
وربما الانتهاء إليه.

وكن المساحة الأوسع طلت مقفلة أمام العقل وانوجدان العربيين

وعن الهيمنة على وسائل الإعلام ومواقع التأثير الأساسية في العالم من قس
حضور هذا الدين ودوي المصلحة في محييمه، وبخاصة اللوبيات اليهودية، والقوى
المسيحية المخترقة بالأساطير الإسرائيلية - كما يسميها جارودي - مارست، ولا تزال،
الدور الأكبر في التعقيم وإقامة الحذران العازلة بين العقل العربي وحقيقة الإسلام

ومع هؤلاء، كان هناك ما يسمى بالمركزية التي تنظر بعين عوداء إلى العالم، وترى
أن الحصار العربي بحدورها ليوسية هي الحصار الوحيدة لقاذرة على التجدد
والنامي، وأب وربا، وأمريكا بالضرورة، هم المركز الذي تدور حول قطه تواريح
الأمم والشعوب وحضاراتها كافة.

أي أن ثمة رؤية فوقية كانت تتحكم بصيغ التعامل الغربي مع (الآخر) .
وبخاصة الأمة الإسلامية . وقد رادها النعوق النقبي الأسطوري - وبخاصة في محاب
القوة، وتقرّد القطسة الأحادية الأمريكة بسادة العلم، وآليات العمل المتصاعدة - عنفاً
وسعافاً، فيما شهدنا بدح منه في فلسطين المحتلة وأفغانستان والعراق

هذا كله دفع الكثير من أبناء هذه الأمة وحكامها إلى أن بدخلوا - مرعبين حشاً
وباحتياؤهم في أكثر الأحيان - قصص الاتهام لكي يدفعوا عن أنفسهم في قضية حاسمة
انتداءً، دعاء أن الطرف الآخر هو الخصم والحكم في الوقت نفسه . وباعتبار أن
حيثيات الاتهام قد استكملت أسباب الإدانة، بعيداً عن كل (لأساليب) لمعارف
عليها

إراء هذا الوضع (اللامعقول)، إذا استخدم مصطلح المسرحي الفرنسي الطلبي

(يوحنا بوسكو) شحتم على المثقف المسلم أن يمارس جهداً متواصلاً لإعادة الأمور إلى نصابها، والخروج بالعقل المعاصر من دائرة اللا معقول هذه وذلك بالسعي لإراحة كل العوائق والسدود التي أقامتها العوامر أنه المذكر بين الحقيقة الإسلامية وبين واقع المسلمين أنفسهم، من أجل استعادة دور الصانع، أو المعطل، للمشروع الإسلامي الذي هو - في بدء التحليل وبأنه - مركب الإنقاذ الوحيد للإنسان والشرية، وبخاصة بعدم تبيّن لسان، عبر نصب القرن الأخير، سقوط حلّ المشاريع الوصية والدينية المحرقة، وقدره هذا الدين بالمقابل على الاستمرار وتقديم الوعد بصياغة الحياة التي تليق بالإنسان.

٢- ملاحظات في وضع الأمة

الانحدار والاحتمالات الممكنة

إسداء علباً أن تتجاوز الرؤية أحادية الجانب، أو النظر إلى لظاهرة من زاوية واحدة، وكذلك قد نجد في وضع الأمة المسلمة في اللحظات الراهنة سبباً صاعدة وأخرى متحدرة، وبمتابعة عوامل الصعود والانحدار يمكن أن نضع يدينا وبشكل تقريبي على حرائط هذه الأمة في القرن الخامس عشر الهجري الذي أطلّ على اشترية مد ثلاثة عقود

وبالمنهج نفسه يمكن أن نتابع كل ساق، وسنجد حينذاك أن حالة الانحدار لا يفردها عامل واحد، وكذلك حالة الصعود، فقد يطغى عامل أو أكثر في مرحلة أو بينة ما - لسبب أو آخر - فتصاعد إراده - أو تعب - العوامل الأخرى، ولكن تبقى الظاهرة في معظم الأحيان وليدة عوامل شتى

إن ما وصلت إليه الأمة في لحظاتها الراهنة بنظري على براكم في الخبره تعلمت منه الكثير، نكه يصم جناحيه في موقف نفسه على حشد من الأخطاء الكبيرة والممارسات المحرفة عن سويتها، والتي مارست جميعاً إعاقه وشدّاً ناتجاً مما يمكن تسميه نقطة الصفر أو ما دونه، فجعلت الأمة أحياناً تتقدم خطرة وتراجع اثنين، لكن هذا لم يكن الماعدة دائماً، سواء بمسئله التاريخي المظور أو الجعري أو العبي (المتأثير بقي)،

فقد يحدث صعودها وانحدارها في اللحظة الراحدة، وقد تتجاوز خطوات الصعود
مديان الانحدار، فالرياح كما هو معروف لا يقاس بالمسطرة والفرجار

ومهما يكن من أمر فإن الوضوح الذي بلعته الأمة منذ العقد الثاني من القرن الماضي
لا تحسدها عليه أمة أخرى في العالم، بمعنى أن عوامل السلب احلب فيه مساحات
ليست باهنية وهذه العوامل لم تشكل من فراغ ولم تبرز على حين عطف، وإنما تشكلت
على مكث وراحت تنامي في الكم والنوع عبر عقود بل قرون من الزمن لكي تصل
بالأمة إلى الوضوح الذي تقبل فيه بلسان حال أو المقال الصلح مع إسرائيل مقابل فتات
من الأرض المعتصبة لا تكاد ترى على الخارطة

لأنه إذا من مناعة خيرة التاريخية، فقد يكون في عمقها الرمي ما يلقى لضوء
على أسباب التحلف والانهيار ولذا فإننا سنصف خطوات هذه النقطة بالذات

فبعد زمن بعيد قد يمتد إلى سبعة قرون أو عشرة فك الكثير من المسلمين الارتباط
بـ الإيمان ومقتضياته العملية وراحوا يتعاملون معه برؤية إدخائية تكتفي بأحد
الأدبي، وتعمل العادة عن ماعليتها في الأرض، أي أنهم مارسوا حالة معكوسة، فبينما
أراد الإيمان (الإسلام) أن يصنعهم في ثورة المعادية أن يجعلهم حاصرين في دائرة
الفعل والإبداع - أي متحصرين - احتاروا هم أن ينسحبوا شيئاً فشيئاً وأن يتركوا
المصلحة لخصومهم (في الداخل والخارج) وأن يتحوّلوا بمرور الوقت إلى كم لا
يملك قدرة حقيقية على التصيرورة والتنامي، وبالتالي لا يملك ثقته في نهضة الحدييات
التي راحت تدعى عليه من كل جانب حتى وصلت بالأمة إلى «هزيمة المؤكدة» على
أكثر من مستوى، وقد سبق أن حذر من ذلك رسول الله ﷺ في حديثه الشريف:
«يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها»، فلما سأله أصحابه
(رضوان الله عليهم) «من قلّه نحن يومئذ يا رسول الله؟» كان جوابه: «بل أسمى يومئذ
كثير ويكنكم عشاء كعشاء السيل».

ومع انقضاء الإرحاني سادت روح التفرد والانعزال والتحديد والاجتهاد

والإبداع التي وصفت الأمة المسلمة في الصدارة بين الأمم بسب قدرتها عبر القرون الإسلامية الأولى على الكشف والابتكار والإضافة الوعوية والبحث عن الحديد في السياقات الحياتية والمعرفية كونه هاجس الال في القرون التالية قذلة سيل من الخواشي والديول والتهميشات التي لا يجد أصحابها في أنفسهم القدرة أو الثقة لتجاوز التعلق بمعطيات السابقين وأن يقولوا ما عندهم ابتداءً كما فعل الآباء ولأحداد زمس بأنهم الحصري ولطالما دعا القرآن الكريم ورسول الله ﷺ في حشود لا تكاد تحصى من الآيات والأحاديث إلى ضرورة العمل والإضافة والإبداع، وإلى عدم الالتفات إلى الورداء، ذا اقتضى الأمر، من أجل الاستجابة بلحظة التدرج والإصغاء لنداءات المستقبل ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة] ﴿إِنَّا وَحَدَّثْنَا آدَامَ عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزحرف ٢٣] ويماراة السلبية والتقليد كانت خيوط انطلم الاجتماعي ولاستعداد انسيابي يرداد سيحها مساحة يومًا بعد يوم لكي يعطي المدى لأوسع فيأكل كالمشرد قدرااب الأمة واستعداداتها لتنبئة ويهودها أكثر فأكثر صوب مواقع الاعمال والإتكلية والسكون

وقد ركب هذه العوامل الثلاثة فراعًا كبيرًا في عقل الأمة وروحها، وجعلتها تعاني مما يمكن تسميته بالحقاير انصعط الذي سحب إليه بحكم فوائس الحركة التاريخية الرياح المدمرة التي تهب عليه من الداخل والخارج، مما لبثت أن طعب على الساحة حالات التوخي الرهائي انصوفي المنعروف عن سوينه المعتدلة المسحوب أكثر فأكثر من مواقع الصاعلية والحياء، وهبت على العقول و بصوس سموم الخرافات و لسحر والشعوذة والدحل والأوهام في سنق أن حذر مه كتب الله وسنه رسوله ﷺ من أجل ألا يستأثر الحبة الإسلامية فبسوقها إلى مواقع الشدود والاضحراف

ونمة الخطأ الذي لا يهل أهميه (والخطأ كما يقول انسامي الفرنسي نابير ان أكبر من احرمة) والذي مارسه القيادات المتأخرنان في تاريخنا الممالك والعثمانيون، فهما على دورهم المؤكد في محاربة الخصم وملاحقته، أهميتا التصنيح شكل ملحوظ ولم تستحيب بالقدر المطلوب لتحديات الكولوحيا اعريبه وبخاصة تكولوحا السبيح، وراح

الصدق سراند سرور الوقت بين عالم الإسلام المتخلف والعرب المتفوق بحيث أصبح تحطيه أو عبوره في العقود الأخيرة بحاجة إلى معجزة تصنع المستحيل

هذا بربحار شديدة ما كان يحدث في نسيج الحياة الإسلامية فيدمر العقول والنفوس والأرواح، ويصد الأمة عن التحقيق لمطالب المجاهدة والقوة وحماية الدواب ومن المخرج هتت أعاصير أخرى لا نفل صراوة وعمد، لكنها كانت تؤدي مهمتها المدمرة لو أن الأمة امتلكت الحد الأدنى من مقتنيات البقاء التي أكد عليها الإسلام ودعا إلى التحقيق بها صرح مساء.

لقد كان على عام الإسلام أن يصارع العراء (الخارجيين) المحملين بكل حيثات (العرو) بدءًا تتجاوز لمطالب الأخلاقية والإنسانية التي يعرفها المسلم جيدًا في خطط الصراع، وانتهاء باستخدام السلاح الأكثر فاعلية لسحق الخصم. كان على علم الإسلام أن يصارع العراء لدى يقرب من ألف عام^{١١} كانت العرواب الخارجية تصره حلالها الواحد تلو الأخرى دون أن تترك له فرصة لاستقطب الأنفاس وإعادة ترتيب أوضاعه وقدراته بما يمكنه من حماية الأرض والدواب ولقد سترف هذا من الأمة المسببة لشيء كثير، أعدب عوامل الشدة والضعف والإعاقه على أن تردد فاعله وامتدادًا على حساب عوامل التقدم والإبداع والصعود

فبعد أحرقيات القرن الخامس الهجري رمت أوروبا شهبها العالم الإسلامي تحت مظلة الحروب الصليبية التي استعرفت قرين من الزمن، ثم ما لبثت الهجمات المعولية أن لحقت بها لكي ترمي بثقلها آسيا الوسطى، بكل عمقه وقسوته وبربريته، على مدى يقرب من القرن وتناوبت من بعدهم العرواب. حركة الاسروداد الإسلامي (الريكونكويستا) التي مهدت، بعد انتصارها، واحدة من أشجع عمليات الاعتياب الديني والعسكري والحصاري والجسدي في التاريخ حركة الانتعاف الإسباني - البرتغالي حركة الاستعمار لقديم وصولاً إلى الاستعمار الحديث (الإمبريالية) بجذبيه الرأسمالي والشيوعي وظهره الصهيوني

وعندما أطل ما يسمى خطأ بعصر النهضة سب من ارتأه بالعرو المرتني لمصر في أخريات القرن الثامن عشر، كان العارق في المدنية وبحاصة تكنولوجيا القوه قد اردادت هوته اتسعت سنا وبين العرب، الأمر الذي يفسر - إلى جانب عوامل عديدة أخرى - فشل معظم محاولات الإصلاح والحركات الجهادية التي ضُفيت أو اخلدت نلو الأخرى - لم يكن معورها المكر ولا الإيهام ولا المدانية، ولكن وبساطة دمة كان يعورها السلاح! لقد قامت حركات المقاومة كالمسوسية والمهدنة كرد فعل ضد الاستعمار، وكان عليها أن سوء بعض الصروق الكسر في تسليح فصلا عن ربحم الامدفع الإستراتجي للقوى العانة ور عتها الأكدة - منطه بالعهد الصليبي في احتواء انعام الإسلامي، وعدم إتاحة أية فرصة لاستعادته أي قدر من الحيوية والمو والاستقلال تحب مطلّة الإسلام الذي تأكد للعرب كم به الحداد الأشد صلالة في مواجهة الخصم

ثم إن أية حركة في التاريخ لا تتشكل ابتداء وفق شروط موضوعية، وإنما تحيء كرد فعل على حالة تاريخية، سنعاني من كثير من عناصر الخلل ونقاط الضعف التي ستكون بمثابة المقتل الذي تعوض فيه سكين الغالب

أما الدعوات لإصلاحية غير المسلحة فإن مشكلتها أنها - في معظم الأحيان - لم تشر بين الجماهير وضلت معزلة عن الأمة الإسلامية ومطالبها المنحة في التحقق بالمقاومة والتحرر واعدة بناء الدات قبالة التموق والاستعمار العربي لقد طلت هذه الدعوات في معظم سبيها أشطة شه أكاديمية - مشريع فكرية مطروحة على اساحة (دعوه الكواكبي مثلا) قالة تحديات التمريق العربي - وراذ لأمر سوءا سني بعض هذه الحركات أو تعاطفها على لأفل مع الأشطة الإسمه، وأحياناً بلا دسه صد حركة الجامعة الإسلامية التي تبنتها الدولة العثمانية قبل سقوطها الآوب والحاسم عن يد الاتحاديين - وبالتالي فإن هذه الدعوات لم تجد لها سداً في البشة والجماهير الإسلامية لكي تحوّل إلى فعل تاريخي مؤثر من حدث - أحياناً - أن مارست هذه الدعوات، بدرجة أو أخرى، خطأيين قائلين أكد، انفصالها عن الجماهير الإسلامية وعدم قدرتها -

الثاني - على التحقق التاريخي وتجاوز دفتي (المؤصب) لدي أسرها إلى اإشارع
والمؤسسة والمدينة والميدان، بل إنه عرفه ووصعها في بعض الحالات في دائرة السؤال
والشهاد

فأما الخطأ الأول فهو إقامة جسور بشكل م مع الخصم العال، إمّا على مستوى
العكر أو الممارسة السياسية، أو حتى العلاقات الشخصية وأما الخطأ الثاني فهو أنها
عزلت نفسها عن حركة الجهاد المسلح، بل - ربما - أفنت بعدم شرعيته أو على الأقل
بعدم جدواه، فكأنها طعنت ظهر الجهاد الإسلامي من الخلف لصالح الخصوم

باختصار شديد . إن محملون موقر التاريخ . تركم أخطاء الآء والأجداد التي
تحوّرت عند خطيئة عدم الاستماع حيّاً لرساءات القرآن وتعاليم رسول الله ﷺ وما
تطويان عليه من كشف وإضاءة لقوانين الحركة التاريخية . لقد دعانا الله وستة رسونه
ﷺ إلى منظومة من الممارسات والقيم الماعلة في صميم العصر تحرير العقل الشرعي
والإرادة الإنسانية من الكوائت، المعامل الخاد مع الرمن والكلفة المادية (المكان)،
رفض التشبث الأعمى بالماضي وتقليد الآء والأجداد، إدانة الأوهام وانطواء
والأهواء والسحر والخرافء، الأكبد على أهمية العقل والحواس في لتعامل مع العالم،
الإعلان عن مبدأي (التسخير) و (الاستحلاف) الدين لن يتح هما التحقق دون
الكنف عن الطاقات المادية وإدراك قوايسها والإفادة من قدراتها المدحورة هذا إلى
تأكيد القرآن الكريم (الوصح - في مقاطع شتى - على ضرورة التطبيق الصاعبي
كشرط من شروط حمية الإيهم في العالم؛ مثل المقاطع الخاصة بعداد القوة، واعتقاد
الحديد لأعراس السلم والخراب، وواقعة دي القريين حمية المستضعفين في الأرض،
والتطبيقات الصناعية المعروفة في ضلال سوة داود وسليمان عليهما السلام.

لم يستمع أجدادنا في العصور التالية لنداء، وعندما استيقظت وبدأنا فاعليتنا في
مواجهة مرق الآخر كما قد عيّ الدين في معظم مساحات حياتنا أصبح الفعل لا
مرامح له، وصاعقت الثورة التي تستقطب الأعمال ففقدت قدرتها على التأثير، وأفنت
من بين أيدينا فرصة الحصول المؤكد في قلب العالم والمشاركة في صياغة حرائطه

* * *

ولان هانسي سأتجاور مرحلة الصحوة الإسلامية الثانية مخلصات الثلاث التي غطت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وصولا إلى مشارف القرن الحديس، والتي أفادت - بدرجة أو أخرى - من أخطاء وساقصات الصحوة الأولى في العرب لماضي - القرن التاسع عشر - وبدايات هذا القرن، أي القرن العشرين وساقف حضات عدد ما يسمى بالعصر الحديس الذي بدأت ملامحه تتشكل عبر العقدين الأخيرين من القرن العشرين عصر لنظام العالمي الموحد الذي تكاد تنمرق بقيادته دولة واحدة، حيث ينصاف إراء المسلمين تحت جديد قتاله كل المحاولات التي تسعى ليهوص بهم، وخاصة أن الإسلام أصبح بعد انهيار الشيوعية يمثل خط المواجهة الأول، وحيث يبرز حشد من الأسئلة الملحة التي تنتظر الجواب

وس يتسع المجال لدخول في التفاصيل ولكتي سأشير إلى أمرين هاما بصدد قوايس الحركة لتربحية، أوها احتمالات دوام نظام موحد تستقطب قوة واحدة، وثانيتها مجالات العمل الممكنة بالأمة المسلمة فنة هذه الصيغة الدولية الجديدة

إن (التوحد) العربي قتالة الشرق ليس بالضرورة لوجه الأواحد للصورة، فهناك خمس الحظ - لوحة الآخر، إنها الثائية التي تحترق القاسم المشترك الواحد بقوة المذهب أو الفكر أو المصلحة وتحيله إلى شرذمات ثائية متصارعة داخل اساحة العربية وفي مواجهة (الآخر)

وعبر التاريخ العربي كانت هذه دائها روما بمواجهة أثينا، والابوية بمواجهة القسطنطينية، والإمبراطورية الرومانية المقدسة بمواجهه البنا، وبرسب بمواجهه بريطانيا وألمانيا وروسيا، وبريطانيا بمواجهة القرة، والمحور بمواجهة المستعمرين القدماء، وأمريكا بمواجهة بريطانيا، والاتحاد السوفيتي وأوروبا العربية بمواجهة أمريكا.

ومعنى هذا أن تفرد قوة عربية واحدة بالسلطان أمر يكاد يكون مستحيلا على المدى الرمسي الطويل سيئا، وأن العرة التي قد يعمد بها للإسلام المحاصر سشكل، أو هي قد شككت فعلا بحكم قوايس الحركة التاريخيه وسسها التي طما حدثت عنها

كتاب الله ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا نَرَاكَ مُتَعَلِّمًا﴾ [١٨] ﴿إِنَّمَا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلَئِكَ سَلْبُهُمْ﴾ [هود] ، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران ٤٠] ، ﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَئِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة ٢٥١]

ومعنى هذا أيضا، أن على علم الإسلام اليوم ألا يذهب به أهريمة انحصية إزاء الفرد الأمريكي إلى المدى، وأن يدلل جهده لكي يهاسك ويهصص، مستفيدا من حجة الثابت العربية المتولدة باستمرار من اشعرات التي تفتحها في جدار العلب وقبيل هذا، من قدرات الإسلام انداته على كل المستويات لنفسه والفكرية والإستراتيجية والاقتصادية، والحصارية في نهاية الأمر وهي - تمريرها العقدي وعمقها التاريخي ليست كلاما يقل ولا أنشودة يتسلل بها المهرومون، ولكنها دعوية في صميم الصيرورة التاريخية، قدره في حالة اعتماد الصيغ المدروسة والمحسوب حسنها على أن تحمي الوجود الإسلامي من التفكك والدوران بل أن يكون هذا من قبل التفكك والتحمينات - على أن تمضي ناحية باتجاه مواقع أكثر تقدما على حرائط العلم لمعاصر، لكي تشارك في اتحاد القرار وصياغة المصير

إن ألمين من السنين تسعجان اليوم حيثيات الصراع بين العرب والإسلام، ولكن في أي من هاتين الألمين قدر العرب على أن يشرع عن انشراق حبله الملتئم؟ في أي منها ألقى الإسلام السلاح وارتمى - معنونا على أمره - في أحضان العالمين؟ إن ما سبق قد يكون من قبل التعميمات التي لا رصد لها في (المدان) ولاندا - إدن - من الانتقال من العام إلى الخاص والناشير بالإيجار الذي يتطلبه مقل كهذا عن عدد من المفترحات، أو لسمها وجهات نظر أولية قد تصيء الأفق المعتم أو تشمل بدراها وخبرة هالك

أولا التحقق بالمريد من تحصين الذات العقدي والحصارية لمواجهة قوى العرو والتمكين المعكري، واعتماد المؤسسات الفكرية والإعلامية ولتربوية والأكاديمية

كنقاط ارتكاز لعملية التحصين، وتصعيد الاستفادة من الصحيفة والدورية والكتاب والمسجد والدوة والمؤتمر في الساء انفسى والمكري

ثانياً: التحقق بالمزيد من الاعداد على مستوى تقنيات التسليح من أجل الوصول إلى قدر من الورد مع التفوق العسكري الإسرائيلي الذي تدعمه أمريكا بغير حدود، وكسر الاعتماد على نظام المصدر الواحد، والإفادة من التناقضات الدولية القائمة والمحتملة للحصول على السلاح ووقف محره العقول عن طريق منح الصمات الكافية، وتهيئة البيئة العلمية المحفزة للعطاء والإبداع، وتنفيذ برامج شاملة ودقيقة لتبادل الخبرة التقنية بين علماء المسلمين، وتأسيس دوافع حذب وعلماء العلماء العربيين للعمل داخل علم الإسلام

ثالثاً: الإفادة من التناقضات والمتغيرات اسباسبية والاقتصادية القائمة والمتشككة والمحتملة من مثل: أوروبا الموحدة قالة أمريكا اليابان لصين دول العلم الثالث. فصلاً عن اعمو الإسلامي الذي ارداد امتداداً لثبات الاتحاد السوفيتي

رابعاً: استخدام الموقع الاستراتيجي والخرين الاقتصادي الإسلامي كورقة ضغط صد القوى العالبة المتسلطة، والسعي للاحتفاظ بالخرين الاحياطي (وبخاصة اسطفي والمعدني) وعدم السماح بملره أو استشرقه على مديات رمنه متقاربه (تحت عطاء أي مرر من الممرات

خامساً: الاستفادة من لقوى (الديموغرافيه) الإسلامية داخل المجتمعات لعربه بتحويلها إلى نقاط ضغط إزاء مراكز اتحاد القرار، أسوة بما فعلته الحركة الصهيونية، واستناداً إلى الارتباط الديني والمكري بين هؤلاء المسلمين وبين إخراجهم على مدى عالم الإسلام، وتفاعلتهم الصميم مع قضاياهم لمصرية من جهة، وتفركر مساحات واسعة من المصالح العربية في عام الإسلام من جهة أخرى.

سادساً: التحقق بصيغ مره لتوحيد الطاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية الإسلامية بصيغة كومنولث إسلامي، أو اتحادات فدرالية إقليمية، أو وحدات نوعية متحاسبه على مستوى الجغرافيا الساسبه والشربه

سابعاً: تنمية وتعميق الوعي الحركي لدى القواعد الإسلامية على مستوى الجماهير الحريصة بحيث يصعب تروحيه صربات قنلة إليها، وتطل بالثاني بمثابة خط الرجعة المتجدد في الأرض، التقدير على حماية الذات الإسلامية بمواجهة محاولات التدمير والتفكيك والإبادة والاحتواء

ثامناً: تصعيد ونائر تبادل الخبرة بين القوى الإسلامية الشعبية على مستوى عالم الإسلام من أقصاء إلى أقصاء، وتشكيل علاقات اتحادية ذات مفاصل مرنة بين بعضها والبعض الآخر

تاسعاً: إقامة المعابر والحسور مع القوى الحياضية أو المعاطفة في العالم، والتي تجدي الفرد الأمريكي نوعاً من التحدي والقلو الذي يرعج تطعناتها صوب المصير.

عاشراً: التأكيد المتزايد على هوية الإسلام اعصارية وقدرته المتجددة، على العطاء، وفاعليه العالية في طرح الحلول المناسبة لمشكلات لعالم والإنسان المعاصر، والمشاركة في المصير، فضلاً عن التأكيد على عوامل امتثال والتعاظم بين المعطى الإسلامي ومعطيات الغير، وبالتالي تخمير صيغ حوار بين الطرفين بها تحقق، بلوحة أو أخرى، من حدة الرؤية العدائية بينهما، ويمكنهما من التحقق بقدر من التناغم المشترك، حيث سيتاح للإسلام يومها أن يقول كل ما عده، وأن يدخل، دوسماً عقد ولا حسميات، صميم العقل و لضمير العربيين بما يقرؤن تشكّل صيغ ومعدلات جديدة في حوار الحصار، ويمكن هذا (الدين) من تنفيذ مشاركة أكرم في سبيح الحاضر والمستقبل على السواء

قد رجع في وقت آخر، للوقوف عند كل واحدة من هذه الإحصاءات (العشر) ختم مع مبرراتها، واستقصاء أبعادها، ووضع اليد على ما يمكن أن تقدمه في معركة الإسلام الراهنه وله تحديثات لتأكل والاحتواء والنماء

إن عالم الإسلام مرة أخرى يقف اليوم قبالة حافة تاريخية ليسب جديدة بالكيفية، قد تكون حدثها في الرحم الكبير الذي سطوي عليه حصيلة فروع طويلة من

التشكل على مستويي الكم والوع، ولكها - في الأساس - حقة في مسلسل طويل يبدأ في (أثينا) ولكنه لم ينتهي في (واشنطن) - فهنا هي المتغيرات الأكثر حداثة تطل برأسها، ولم يصل النظام العالمي الجديد - بعد - إلى بر الأمان أوروبا العربية تتوحد - ربما - مع أمريكا. الجمهوريات لأوربية للاتحاد السوفيني المحل تتكثل، وقد تنضاف إلى أوروبا الموحدة - أياد ترامل قمراتها التقنية والاقتصادية بحساب متواليات هندسية قد تمد من قدرات التفرّد الأمريكي في المستقبل المنظور - الصين ودول العالم الثالث تحركها إرادته واحدة لتحديّ العالم الجديد الذي هيمن على مقدراتها، لعلها تفعل شيئاً على الأقل في سدّ الرد السلي - ثم عالم الإسلام الذي طالما دفعته التحذبات في استعادة حيويته وفاعليته

٢- لتحسين الثقافي وضرورات الإستراتيجية

ويريد أن نقف قليلاً عند واحدة من أكثر الضرورات إلحاحاً في واقع الأمة الإسلامية ومستقبلها إذا أريد لها أن تسنيد دورها الضائع وأن تشارك في المصير إن السعي بوصف حارطة إستراتيجية ثقافية إسلامية في عالمنا المعاصر، كانت ولا يزال، واحدة من أشد الضرورات أهمية وإلحاحاً لأكثر من سبب. فهناك - مثلاً - ضرورة تجاوز المحت والتفهم والارتطام في المعضيات الثقافية لعالم الإسلام، والتحول بدلاً عن ذلك إلى التوحد والتسيق والتناغم لتحقيق بدوره أكثر بلدات وقاعدة أشد في زمن المسابقة الحصارية التي تحتّم احترام عامل الزمن والمحاورة عن الوقوع في مأساة هدر الطاقة.

وهناك الانحمار المتزايد في المعلومات وتقنيات التواصل المعرفي والذي يمكن أن يكون سلاحاً ذا حدين، فالذين يملكون إستراتيجية عمل ثقافي ميعرفون كيف يصدون منه وفق أقصى حالاته المتاحة، والذين لا يملكون هذه الإسراحة قد يهلب عليهم وبالا، فيريدونهم موصى وتبعثر واضطربا، وقد ينزل الأمر إلى ضياع كلي لشخصيتهم الثقافية وعرقهم في بحر الثقافات الأشد فاعلية، والأكثر قدرة على المحيط والاستشراب وإعادة من هذه التقنيات المتصورة

وهناك - فيما عدا حالات استثنائية لا تعطي سوى مساحات محدودة - فراع محيى
واصح لكل دي عيسى، يعاى به عالم الإسلام فى محال التخطيط الشعاى رغم كل
الظروف امسره للتحقق سهد التخطيط، الأمر الذى قد يؤدى إلى مرىء من السائح
العكسية التى توسع الهوة بين عالم الإسلام والعلم المتقدم، ويجعل التسرع بوضع
ملامح إستراتيجية عمل مركزى شامل ضرورة من لصرورات

هإذا ما تذكرنا أن تحدى الحصار العربى المعاصرة لخصارنا الإسلامى هو فى
جوهره تحدى ثقفى، وأنه يصدد حنطة و قتلاع هذه الثقافة من جدورها، هذا الهدف أو
ذاك، أدركما أن محاسبة هذا السحدى لن تأتى بطائل ما لم تعمل ضمن إستراتيجية عمل
ثقفى موحد يضع يديه على الملامح الأساسية لهوة لمسلمى الثقافية، مسمد إىها من
عقيدتهم المثة كة ورصيدهم التراثى المدحور، واصفا بص عيسى أن يكون للمسلمين
مكان متميز على خارطة الثقافات فى عاك المعاصر، لا بالانجاء إلى اعير ومقرته
بالتقليد والتكديس، ولكن بالتميز والأصانة وتعميق الملامح، ومؤكدنا على مستقل
يكون المسلمون فيه أكثر قدرة على لتأثير فى مستقل العلم، واستعادة موقعهم الأصين
الذى دعا إليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فى الوسطة والشهادة على الناس ﴿وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾
[المرء ١٤٣] مستفيدا من وسعته الاستفادة من تقنيات التعامل المعرفى التى يمكن
إذا أحسن لتعامل معها، أن تحتل حيثيات الرمن والمكان، وأن تحقق لمقاربة الموعودة
من العالم المنقدم الذى تباعد بين وبينه مسافات الطوال

عموما فإن إستراتيجية كهده نجد نفسها مبرمة بالتحرك فى اتجاهين أساسيين؛
أولهما حركة باتجاه المسلمين أنفسهم وثانيهما. حركة باتجاه العير وبقيها فإن أية محاولة
لتخطيط تحول أن تتجاوز إحدى هاتى الحركتى سوف تكون نافصة ولن تأتى بشراى
الموعودة

وفى كل الحالتى فإن مبدأ (التعارف) الذى دعا إليه كتاب الله سبحانه بقوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِذَا حَقَّقُوا مِنْ رُكْرِ وَأُنْفَى وَجَعَلُوا شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿[الحجرات ١٣]، يمكن أن يكون محور الحركة في الاتجاهين معا

على مستوى الأمة الإسلامية فإن وحدتها الثقافية لا تستدعي بالضرورة تجاوز أو إلغاء حصر صيات الشعوب والجماعات التي تنتمي إليها والتي شكلتها وعدت مؤثرات البيئة ورصيد التاريخ؛ ذلك أن الوحدة والسوع لا تمثل في حصارك الإسلامية تقيض من مصاديق نادر ما هي عمل دفع وإغناء لهذه الحضارة، ومصدر حصص لإرفادها بل يريد من المعطيات المتنوعة التي تصب في مهية الأمر في بحر شخصيتها الكبرى فتريدتها بأنما ونماسك وعطاء ووضوحا، ما دامت هذه الشخصية تستمد مكوناتها الأساسية ونقاط شدتها ونوحدتها، ليس من المتغيرات البيئية والتاريخية، ولكن من مكررات عقيدتها الثانية، المكمنة، المحفوظة الحدود والملاح في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وممارسات الأحوال الإسلامية ابوصولة عبر الأماكن والأزمان.

إن أية محاولة لتوحيد المسلمين ثقافيًا من خلال وضع خارطة عمل، أو إستراتيجية موحدة، يجب أن تصب في حسابها ثنائيه كهذه تنطوي على الوحدة والسوع، والثابت والمتحول، والصلب والمرن، والندائم والمتغير أي- في مهية الأمر- على المرتكبات العقيدية والممارسات الحيوية ...

هذه الثنائيه التي يمكن - إذا أسيء تقديرها حق قدرها - أن تكون أداة للفصل والتعاقد، والعمرة والقطيعة، وأن تزيد المسلمين تفرق على ترميمهم، يمكن- كذلك- إذا أحسن توظيفها في إستراتيجية العمل أن تكون وسيلة فاعلة للوحد المرجحي الذي يلم أشتاته المتنوعة التعايرة على الأصل العقائدي الثابت الكبير

أما على مستوى الحرك باتجاه العير فيه يكاد يحصع للبدء نفسه احترام التعاير، ومحاولة الإعادة منه لتحقيق مزيد من التعارف بين المسلمين ومن ثقافات ومعطيات الأمم الأخرى، وبخاصة الثقافة العربية المعاصرة

ومن قصور القول التأكيد على أن تعاملنا كهذا بين المسلمين والعير لن يكون

تعملا مدبّرًا أو متكافئًا، لا شول إلى الدويان أو الاندماح أو عقدان الشخصية، ما لم يتحقق المسلمون أنفسهم بالحركة الأولى، وخدمهم الثقافية التي تعطيهم مكانًا متميزًا على خارطة العالم وتمسحهم نفلهم اسوعي وتجمع عبورهم للتعامل مع الآخرين مأمون العواقب، ذا نتائج إيجابية بعرر شخصيتهم ولا تدعيها.

ومره أخرى، فإن الثقافة الإسلامية يمكن أن تمارس ها ها دورًا مؤثرًا في العلم كنه، يريد ها- في الوقت نفسه- فمرة على التأصل والتوحد والتميز

دلت أن هذه الثقافة المسلمة في أساسها من أصولها الإسلامية والمأثرة، بمرجه أو بأخرى، بالمطور العقدي هذا الدين، تختلف عن سائر الثقافات الأخرى بجمه خصائص لا تكاد تجتمع إلا في إطارها وأمرر هذه الخصائص ولا ريب قدرتها الفدة المربه على جمع سائر الثنائيات التي بعثرتها المذاهب والثقافات الأخرى، واستطاع هذه الأمة، شهوة عقيدها، أن تجمع بينها وسوقها في إطار واحد خدمة للإنسان والجماعة البشرية على السواء.

إننا نجد مثلاً ثنائيات من مثل المادة و لروح، والحسد والوحدان، والخص والعقل، والظهر والباطن، والخصور والعب، والقدر والاحتدار، والضرورة والخيال، والطبعه وم وراءها، والسكون والحركة، والوحدة والتنوع، والمتمعة والأحلاقية، والمردية والجماعية، والعدل والحرية، و لوشي والتحرير، والديا والأخرة، والسسي والمطلق، والفاء والخلود ثنائيات كهذه تتلاءم وتتسامع وسدمع في كيان الثقافة الإسلامية، يبي هي في سائر الثقافات الأخرى في حالة اضطراع وتصاد، وهي في هذه احاده تشكل عصب اناساة التي يعدي منها العير والتي يجد نفسه مضطرا - أكثر فأكثر - للبحث عن بدائل لها، وتلك هي فرصة الثقافة الإسلامية للتحقق بالتواصل المؤثر مع الآخرين

وبقدر ما يتعلق الأمر بالإستراتيجية الموعودة فلها ينحتم أ، تقييم المرید من الحسور يبي وبين الآخرين، ليس فقط بتسبيق طرائق الأحد عن العير من أجل إعاءه شخصييا الثقافية، ولكن أيضا بإغراء العير بالأخذ عن ثقافسا، أو محاولة التعرف عليها على الأقل بأكر قدر من احذبه والحرص فيما بمرح العلاه بين سائر الأطراف

تكافؤهم وتبنيهم، وقدرتهم على التميز والساء، وإسهامها القتال في ماء مستقل الإنسان في هذا العام.

ويكفي أن تذكر هنا جدياً من أقوال واستنتاجات مفكري العرب المعاصرين لكي يؤكد أن تأصيل وحماية هويت ثقافية تعد ضرورة ليس في إطار علم الإسلام وحده، ولكن على مدى العالم كله.

في هذه الحدة فإن هذا الدين سيعود، كما يقول المفكر القناوي العربي مرسين بوارار (بلى الظهور في العام المعاصر بوصفه أحد الحلول للمشكلات التي يطرحها مصير الإنسان والمجتمع^(١)، وحيدك - أيضاً - سيكون (في وسع العلم الإسلامي، من بين عوالم أخرى، أن يقدم مشاركة أساسية في تكوين مجتمع الدولي المرتقب)^(٢)

إن الإسلام، كما يقول لرحل (دين حي ودينامي، وهو يحاول أن يجد محلي لقوته الداخلية للاشتراك في الحياة الدولية المعاصرة، وفي مساهمته أن تكون جوهرية، لأنه يملك فقط تجربة عمرها أربعة عشر قرناً في علاقات بين الشعوب، بل لأنه سيقبل كذلك رؤية أخلاقية للعناية من القانون الدولي معتبراً أن الإنسان في التحليل الأخير رغبه من دعايا النظام وهدف أخير من أهدافه)^(٣)

وهو بصدد البعد الأخلاقي لمشاركة الإسلام العالمية لم يفت بوارار أن يشير إلى أن التقدم العلمي المادي لا يكفي وحده ما لم تصبغه القيم الخلفية، فتوجهه بالتالي لصالح الإنسان، ومن خلال هذه الرؤية الأخلاقية للنشاط المادي يمكن للإسلام أن يمارس (دوراً حقيقياً في تنظيم العالم المعاصر)^(٤).

وأهمية المشاركة الإسلامية تبدو أيضاً - في نظر بوارار - في التوازن الذي يمنحه الإسلام، بما أنه تعبير عن روح ديني، لمسيرة المجتمع الشرقي بين التقدم المادي

(١) أسباب الإسلام، ص ٤٣٦ ترجمه د عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت - ١٩٨٠

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣٩

(٣) المرجع السابق، ص ٤٢٦ - ٤٢٧

(٤) المرجع السابق، ص ٣٦٩

(التقني) ويبين المظاهر الروحية والإنسانية عامة، وخاصة أب الالهراط في المجمع الكولونجي، والمواجهة بين الإسلام وثورة لتسمية، لا تدفع المسلم إلى إنكار موقعه الديني من إلى نعميه أمام العلم وأمام الله، متوحد عليه يحاول إدراك الإمكانيات بشكل أفضل في إطار إسلامي شامل. ^(١)

وبراها زميله إتيان ديه تُشَرُّ (مستقر حاصل بأعظم الآمال وأعلاها شأنًا، وبإسهام حضاري فعال، وتكشف مترايد لِسًا الإسلام الحقيقي حيث سعُر الأُمم المحلعة حقيقته التي حجت عنها رمًا، وسيمد الكل أيديهم لمحالته، متفاسين في ذلك؛ لأن قيمته قد حبروها وعرفوها ما يستكر فيه من وسائل «قوة» التي لا حدَّ لها ولا معاد^(١))

أما المؤرخ البريطاني المعاصر مونتغمري وات فير كمر استنتاجاته حول المشاركة الأخلاقية للإسلام (تلك المبادئ التي تكون إضافة فعلية لتحسين حالة العالم)^(٢)، وهو يؤمل في أن المسلمين سوف يسجحون، رغم المضاعف، (في جهدهم لتبث تأثير على الرأي العام العالمي، على الأقل فيما يتعلق بالمبادئ الأخلاقية ورس أمكهم في ميدان الأفكار الدينية لأوسع أن يساعدوا على إعلاء العالم، لأهم احتفظوا بقوة كبرى في التعبير عن بعض الأفكار كحقيقته الله، تلك الأفكار التي أهملت ونسيت في كثير من الطوائف والأديان الأخرى الموحدة)^(٣).

وبعد، فالمعكر العربي المسلم روجيه (رجاء) جارودي في كتابه (وعود الإسلام) ملاحظات حصة عن المشاركة بعالمية هذا الدين إن عنوان الكتاب يحمل بعداً مستقبلياً، وإن ملاحظات صاحبه حول مشاركة الإسلام العالمية تتحرك على عدد من المحاور أهمها ولا يجب توارن الإسلام ووسطته، قيمة الأخلاقية، ثم رؤيته الشمولية وقدرته المدة على منح المعرى لمسيرة الحياة البشرية في هذا العالم

و من يتسع المجال هنا لتقدم الشهادات على هذه المحاور، لكننا نحدد من الضروري تذكر السؤال الذي طرحه جارودي في كتابه هذا (ماذ يستطيع للإسلام أن

(١) محمد رسول الله ﷺ ترجمة د عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمود، الشركة المصرية، القاهرة الطبعة الثالثة، ص ٣٤٥، ٣٤٦

(٢) محمد ﷺ في أمدينه - عريب شعك بكات، ألكنه انصريه، صدا، بيروت - بدون تاريخ، ص ٥٠٩،

(٣) المرجع السابق، ص ٥٠٩

يعدم لما يعيدنا للإحاة على استوليات التي تعرضها قدرة العلم والتنمية على جميع البشر اليوم؟) وأن سندر كذلك جونه: (أب المشككة كوية، ولا يمكن لعجوب ألا أن يكون على المستوى الكوني)^(١)

وهكد تصير مشركة الإسلام القادمة أكثر من ضرورة، تصير أمرا حتميا لأنها لن ندخل اساحة لكي يعالج هذه الحرة أو تلك، أو لكي تمنح العلاج هذه المشككة المحدودة أو تلك، كلاً وإما لكي تعد تصحيح الحياة الشرية بي يرد إليها قيمتها الحق، ويمسحها هلقاً ومعري ويربطها بالإنسان نفسه، محققاً التغم والأسحاج من أقطاب الكون بعد أن أقام الفكر الوضعي بينها الأسلاك الشائكة، وكهرسا بانكراهية والعضاء وهكذا يعدو (بعث الإسلام كبعث الإنسانية أكمها)^(٢)

إنها إذن (قصية مستقبلياً، قصية مستقبل جميع البشر)^(٣)

وثمة ما يستوفساي (وعود الإسلام) شهادة على عاية الأهمية لأنها تصير قاعده الدور الإسلامي المنتظر ومنطقه، من مصاح عقيدته ورؤيته لعالم. (لا إله إلا الله) هذا الإثبات الأساسي للإيمان الإسلامي^(٤)

إن حارودي، الذي انتقل أخيراً إلى الإسلام، ليعرف جيداً ما يقول، بل إنه لسؤشر بالوضوح المطلوب على أس الأسس في بيان الإسلام وفي إسهاماته العالمية كذلك وهو يعرف - أيضاً - أن (لا إله إلا الله) تعني أوان ما تعني علان الحرب على الوثنية وقضائهم ليست وثنية فريش وحدها، وكنها وثنية لعالم كله، وثنية العلم المعاصر على وجه التحديد، فها هاء، حيث تأحد برفات الإنسان وتقصده عن ارتباطاته بالكون، وبمصيره، يعدو شعار (لا إله إلا الله) بكل حديريه، وقدرته على انعير، وحربه التي لا هوادة فيها للوثنية بكافه صيغها ورمورها وأشكالها وطفوسها، ضرورة المصير

(١) وهم الإسلام ترجمه دودور ووط، الوطن العربي، القاهرة، بيروت - ١٩٨١، ص ١٧

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٩

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٧

(٤) المرجع السابق، ص ٢١٧

الإنساني وحيثية، فهي هي دي الصمية، كما سميها حارودي (نفرح وتكاثري
 عنمعان صم الموت، صم التقدم، صم النقية العموي، صم قوة الأسلحة
 والحيوش، بمحدوراتها حيقاً ومخزوماتها وبرمورها الهندسة وطفوسها كلاً، يذكرنا
 الإسلام (لا إله إلا الله)، الله أكبر، وإسا ليعرف بالأكيد ما هـذا اليقين في العقيدة من قوة
 هدم وتحرير. فالحوار هكذا يمكنه أن يساعدنا على استعاش خيريه عقيدتنا الحية بقاء
 تلك التي تستطيع نقل الجبال من مواضعها..)^(١)

حقاً، إن (الإسلام يحمل بذور تعبير حاردي على مستوى الإنسية)^(٢)

٤- نحن والآخر: التاريخ شاهداً

ثمة - أحرر - ما يرتبط بالموضوع الذي بين أيدينا أشد لارتباط ما يقال من
 التعامل مع (الآخر).. المسلم مع غير المسلم.

وفي حالة كهذه بين ثمة أكبر شهادة من استدعاء الوقائع التاريخية لكي تعكس
 الفضاء الحر الواسع الذي منحه الإسلام على مستوى السلطة أو المهور لغير
 المسلمين، وبالإحراز الذي تتطلبه صفحات كهذه.

قدم عصر الرسالة إراء أهل الدمة - يهوداً ونصارى - موقفاً عقدياً وتاريخياً
 أسست من خلاله نهاليد العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، ووضعوا أصولها
 ونظمت صيغها. وعندما مضت حركة التاريخ صوب العصور لتتليه مضت معها هذه
 التقاليد والأصول والصيغ تعمل عمدها في محرى العلاقات الاجتماعية، وما حدث بين
 الحين والحين من خروج عليها لم يعد أن يكون شذوذاً عن قاعدة ارداد رسوخ
 مرور الأيام.

ما الذي أراد رسول الله ﷺ أن يقوله ويقره إراء غير المسلمين من أهل الكتاب؟
 بمقدور القارئ أن يرجع إلى مصادر السيرة للعشور على احصاء الشواهد التاريخية

(١) رعود الإسلام ٢١٧-٢١٨

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٦

وتفاصيله^(١) ولكم يورد أن تشير مجرد إشارة إلى العهد الذي كتبه الرسول ﷺ في أعقاب عروة ثوبك (في العام التاسع للهجرة) لنصارى نجران، ذلك العهد الذي يقدم نموذجاً للعدل والسباحة والحرية الدينية والاحتناعية، حيث لم يهرص عليهم فيه سوى جزية عينية متواضعة، وقد جاء فيه: (وَسَجَرَانِ وَحَاشِيَتُهُمَا جَوَارِ اللَّهِ وَدَمَةُ مُحَمَّدٍ السَّيِّدِ رَسُولِ اللَّهِ، عَلَى أَمْسِهِمْ وَمَنْعِهِمْ وَأَرْصِهِمْ وَأَمْرِهِمْ وَعَنْتِهِمْ وَشَبْهِهِمْ وَيَسْعِهِمْ وَصَلْوَتِهِمْ، لَا يَعْزِرُونَ أَسْقَفًا عَنْ أَسْقَفِيَّتِهِ، وَلَا وَاقِفًا عَنْ وَقْفَانِيَّتِهِ، وَكُلُّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَبْلِ أَوْ كَثِيرٍ وَمَنْ سَأَلَ مِنْهُمْ حَقًّا فِيهِمْ الْصَّفَّ غَيْرَ طُلْحٍ وَلَا مَطْلُومٍ وَلَا يُؤَاحِدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَظْمَ الْآخَرِ وَعَلَى مَا فِي الصَّحْفَةِ جَوَارِ اللَّهِ وَدَمَةُ السَّيِّدِ ﷺ أَبَدًا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ: أَنْ يَصْحَوْا وَأَصْلَحُوا هَيْهَاتَا عَلَيْهِمْ)^(٢) وقد دخل يهود نجران أيضًا في هذا الصلح^(٣)

كما يورد أن تشير إلى العهد الذي كتبها ﷺ لعدد من التجمعات اليهودية في شهاب الخريزة، بعد عزوة حيم (٦ هـ) والسين التي تلتها، إذ بحث إن سي حصة بمقاي القريظة من يله على حليج العقبة (فإذا جاءكم كتابي هذ فبكم آمنوا لكم دمه الله ودمه رسوله، وإن رسول الله عذر لكم سيئتكم وكل دسوسكم، لا ظم عليكم ولا عدا، وإن رسول الله جارككم مع مع نفسه وإن عليكم ربع ما أخرجت بحلكم وصادرت عروركم (مراككم) واعتزل ساؤكم، وإنكم يرثتم بعد من كل حرية أو سحره، فإن سمعتم وأطعتم فإن على رسول الله أن بكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم، وأن ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله .)

(١) عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، الفصلان الثامن والتاسع، بيروت مؤسسة الرسالة ودار المعانس، ١٩٧٤م

(٢) بر سعد كتاب الطبقات الكبرى، ١ تحقيق إدوار دسحناو ورفاقه، أبريل، ١٣٢٥هـ - ٢٣٦، ٨٤، ٨٥ والبلادري، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة مكتبة المطبعة المصرية ١٩٥٦-١٩٥٧ ٧٦/١ ٧٨، والبحري تاريخ، تحقيق صادق بحر العلوم، النجف مكتبة الخيرية، ١٩٦٤م ٧١/٢ ٧٢

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ٧٨/١

وكتب لجمعية أخرى من اليهود تدعى (سي عاديا)^(١) (أن لهم الدمة وعليهم الحرية ولا عدا)، كما كتب لسي عريض كتابا آخر يحدد فيه ما عليهم أن يدفعوه للمسلمين لقاء حمايتهم هم وعدم طعنهم إياهم^(٢). وكتب لأهل حرما وأذرح من ليهود (أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عديهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كريم بالصح والإحسان ومن لجأ إليهم من المسلمين)^(٣).

وبذلك تمكن الرسول ﷺ من تحويل هذه التجمعات اليهودية إلى جماعات من المواطنين في الدولة الإسلامية يدفعون لها ما تفرضه عليهم من ضرائب نقدية أو عينية، ويحتمون بقومها وسلطانها، ويتمتعون بعدها وسياحتها

ونقد ظل اليهود يمارسون حقوقهم في إطار الدولة الإسلامية لا بمنهم أحد سوء، وعدد بعضهم إلى المدينة بدليل ما ورد عن عدد منهم في سيرة ابن هشام ومعري الوراقدي وهناك الكثير من الروايات والنصوص التاريخية التي تدل على أن لرسول ﷺ كان يعامل اليهود بعد عروءة حبر بروح تسامح، كما أنه أوصى عامله معاد بن جبل (نألا يفتن اليهود عن يهوديتهم) وعلى هذا النحو عمل يهود الحريين؛ إذ لم يكلمو إلا بدفع الحرية ونحو متمسكين بدين آبائهم^(٤)

وجاء لرشدون لكي يشهد المجتمع الإسلامي تميدا في العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغيرهم لا يقل سماحة وانتفاعا عما شهدته عصر الرسالة فلقد كان العصر الحديدي عصر لفتح والامتداد الإسلامي، وكانت مساحات واسعة من الأرض التي تبعها الإسلام تصمم حشودا كبيرة من اليهود والبصري والمجوس والطوائف الدسنة الأخرى. وقد أصبح المجتمع الإسلامي بحركة انتعاش هذه مجتمعا عالميا صمم جاحيه على أعداد كبيرة من الأديان والجماعات والمذاهب والفرق والاتجاهات، فهل تمكن المسلمون من الاستجابة لتحديات السوع المذهبي والديني في مجتمعهم العالمي الحديدي^(٥)

(١) ابن سعد، الطبقات ١/ ٣٨ ٢٠

(٢) المرجع السابق، ١/ ٣٨

(٣) عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ٣٥٨

يقول السير توماس أرنولد في كتبه الدعوة إلى الإسلام^(١) الذي يتخصص تحليلاً مدعماً بالوثائق والنصوص للصنيع الإنسانية التي اتبعتها الإسلام في تعامله مع (الأحرار):
(يمكن أن يحكم من الصلات المؤدية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الدرس إلى الإسلام)^(٢)

ويقول: (إن الأحرار الخاصة مروا المسيحية من بين القائلين العربية النصرانية التي كانت تقيم في بلاد العرب الشمالية لا تزال بحاجة إلى شيء من التفصيل، والظاهر أنهم قد انهوا إلى الامتزاج بالمجتمع الإسلامي الذي كان يحيط بهم عن طريق ما يسمونه (الاندماج السلمي) الذي تم بطريقة لم يحسها أحد منهم وهو أن المسلمين حاولوا إدخالهم في الإسلام بالقوة عندما انصروا، نادى الأمر تحت لواء الحكم الإسلامي، بل كان من الممكن أن يعيش المسيحيون بين طهرانيهم حتى عصر الخلفاء العباسيين)^(٣).

وتاريخ السطرة الأكثر انتشاراً في لأرض الإسلامية يكشف، كما يقول أرنولد: (عن نهضة رائعة في الحياة الدينية وعن براحي نشاطهم مد أن صاروا رعية للمسلمين. وكان أكاسره الفرس يكرمون هذه الطائفة بآراءه ويصطهبونها بآراء أخرى، إذ كان السواد الأعظم من أفرادهم يقسمون في ولايات هؤلاء الأكاسرة، من مروا بحالة أشد من هذه حظورة، وحصروا المعاملة حشنة قاسية حين جعلتهم الحرب بين فارس وبربطة عريضة نشك الفرس فيهم بأنهم كانوا يثوب أعداءهم من المسيحيين ولكن الأمم الذي يعموانه في بلادهم في عهد الخلفاء قد مكثهم من أن يسروا قدماء في مسيل أعياهم التثنية في الخراج فأرسلوا البعث الدسة إلى الصين والهند، وارتقى كل منهم إلى مرتبة الطراية في القرن الثامن الميلادي، وفي العصر نفسه تقريباً رسخت أقدامهم في مصر، ثم أشاعوا فيها بعد لعقيدة المسيحية في آسيا، حتى إذا جاء لقرن

(١) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية،
الطبعة الثالثة، ١٩٧١ م.

(٢) مرجع السابق، ٦٥.

(٣) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ٦٨.

الحادي عشر كما وقد جسر عددا كبيرا من اعتقروا المسيحية من بين التار وإذا كانت الطوائف المسيحية الأخرى قد أحقت في إظهار مثل هذا النشاط القوي وليس هذا الإحقاق خطأ مسلمين، إذ كانت الحكومة المركزية العبد تتسم مع جميعهم على سواء، وكانت فضلا عن ذلك تصدهم عن أن يصطهد بعضهم بعضا وفي القرن الخامس (الميلادي) كان برصوما - وهو أسقف سطورى - قد أقرى ملك الفرس بأن يدبر اصطهادا عيضا للكنيسة الأرثوذكسية، وذلك بإظهار نسطور بمظهر الصديق للفرس وإظهار مذبذبه بأنها أكثر ميلا إلى مآذنتهم ويقال إن عددًا يبلغ ٧٨٠٠ من رجال الكنيسة الأرثوذكسية مع عدد من (المندسين) قد دسحوا في هذا الاصطهد

وقام حمر و الثاني باصطهاد آخر للأرثوذكس بعد أن عر هرقل بلاد فارس وذلك بتحريض أحد اليعاقبة الذي أفع الملك بأن الأرثوذكس سوف يظهر من بمظهر العصف والميل إلى البيزنطيين ولكن مآذئ السامع الإسلامي حرمت مثل هذه الأعمال التي تنطوي على الظلم، بل كان المسلمون على خلاف غيرهم، إذ يظهر لنا أنهم لم يألوا جهدا في أن يعاملوا كل رعاياهم من المسيحيين بالعدل والقسطاس مثال ذلك أنه بعد فتح مصر استغل اليعاقبة فرصة إقصاء لسلطات البيزنطية ليسلبوا الأرثوذكس كنائسهم، ولكن المسلمين أعادوها أخيرا إلى أصحابها الشرعيين بعد أن دس الأرثوذكس على ملكيتهم لها^(١)

ومما يدل على أن تحول المسيحيين إلى الإسلام في مصر لم يكن راجعا إلى الاصطهد ما وقع عليه من السنوات التاريخية الأصلية، وهو أنه في الوقت الذي شر فيه كرسي الطريقة تنع لمسيحيون بالحرية التامة في إقامة شعائهم وسمح لهم بإعادة كنائسهم وتخصيص من بقود التي حتمت عليهم أن يركوا الخمر والعال، وحوكموا في محكمهم الخاصة، على حين أعفى الرهبان من دفع الخرية ومسحوا امتيازات معينة^(٢).

(١) نوماس أرموند، الدعوة إلى الإسلام، ٨٦، ٨٨

(٢) المرجع السابق، ١٣١

وعلى مدى العصور لني أعفت العهد الراشدي، حيث ارداد المحتج الإسلامي تعقيداً واتساعاً، وحيث أحدث محتجاب الإبداع الحضاري تردد صغوداً واطراداً وتزدد معها المؤسسات الإدارية بصحفاً وسمواً، أحد الموقف من غير المسلمين يعد بالمريد من صيغ التعامل الإنساني أحداً وعطاءً. لقد فتح المسلمون - فوعد وسلطة - صبورهم لغير المسلمين يودا وبصاري ومحوسا وصائفة، وأتاحتوا للعاصر ذات الكفاءة منهم احتلال مواقعها الأجنبية ووظيفية في إطار من مدأ تكافؤ الفرص لم يعرفه أمة من الأمم عبر التاريخ لقد أسهم غير المسلمين في صنع حضرة الإسلام وبعثتها، ذوي أية عقد أو حساسيات من هذا الحجاب أو ذلك، كما فتح الإسلام الطريق أمامهم للوصول إلى أعلى المناصب بدءاً من الكتبة في الدواوين وانتهاءً بمركز الوزارة معه، وأتيح لأساء الأديب والمذاهب الأخرى أن يتحركوا في ساحات النشاط الاقتصادي والمالي بحرية، فسموا ثرواتهم وارتفعوا بمستوياتهم الاجتماعية بما يورث قدرتهم على العمل والنشاط، ومنتوا بهذا ودالك مساحة واسعة في ميدان نشاط الاقتصادي والمالي، جنباً إلى جنب مع المواطنين المسلمين، بل إن بعض الأنشطة المالية والاقتصادية كادت تصح من احتصاص أهل الكتاب، تماماً كما كانت الترجمة في المجال الثقافي من نصيبهم، وفي كانت بعض الوظائف الإدارية من نصيبهم كذلك، والمواقع كثيرة. تبار من المعطيات التاريخية نفذت في ساحه المجتمع الإسلامي عبر القرون الطوار وعلى مختلف الجهات ووعى سائر الاتجاهات يكفي أن نحيل المتابعين إلى بعض شواهد ما فحسب^(١)

(١) انظر على سبيل المثال فيليب حتى تدرج العرب بطول، ١/٢٠١-٢٠٢/٣٠٢-٤٣٨، الطبعة الرابعة، بيروت دار الكشاف ١٩٦٥م وول ديورنت. قصة حضارة، ١٣/١٧٠، ١٣٣، ١٣١، ٢٩٧، ٣٧٣، ترجمة محمد بلزان وآخرين، الطبعة الثانية، القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤-١٩٦٧م وبرتون أهل الله في الإسلام، ٤٣، ١٥٨-١٥٩، ١٦٠-١٦١، ترجمة حسن حشي، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦م. ويوماس لوبولد. الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٥، ٢٧، ٩٤، ٩٩، واندوميلي العلم ضد العرب وأثره في تطور العلم العامي، ١٢٣، ٨١، ٤٥٤، ترجمة محمد يوسف موسى وعبد الحليم الجار، القاهرة دار القلم، ١٩٦٢م. ومارتولد تاريخ الحضارة -

الانبياء الحضاري الإسلامي ومستقبل العالم

إن الانسحاب الحصري المرحو للأمة بقودنا بالضرورة إلى قضية مستقلى العالم،
والمشاركات الإسلامية المحتملة في المصير

ولا ريب في أن انعكس المبادئ والقيم الإسلامية على مساحات واسعة من النشاط الحضاري عبر التاريخ، مع أنه حصن حصه الوعية لتمييزه التي يمكن أن تمثل لبس مسوق استمراره في العام وحسب، بل قدرته على اقتحام وإعلاء شبكة النشاط المعرفي للحضارة الراهنة، والقدرة «المعالة» على الإسهام المستقبلي فيه

ورداً كان هدف العقيدة تكوين الإنسان المؤمن المتبصر المتوارث السعيد، فإن الشاطئ الخصاري المنصط بالرؤية الإيمانية يجيء إغاعة على تحقيق هذا الهدف ونحن نستطيع أن نتصور القيمة الحقيقية لنشاط كهذا بمجرد أن نتذكر ما الذي فعلته الخصارات اللادسة بالإنسان والجماعة البشرية

ليس هذا مجال الحديث المستفيض عن هذه المسألة وبم التأشير عليها فحسب، وإن ما يعاينه الإنسان في اليتيم الذي رفض الإيمان، أو عرله عن بحرى الحياة الراقعة، من تعاسة، اردواح وتمزق وشقاء نفسي وروحى وعاطفى واحتياجى، على الرغم من

= للإسلاميه ٢٢، ٥٤ ترجمة حمزة طاهر، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار المعارف بروفيسال حصاره
 العرب في الأندلس ٧٠ - ٧٢، ترجمة د. دوقان بوعوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، نج وادود بروي
 تاريخ الحضارات العام، الفروع الوسطى، ١٦٦، ٣١٢، ٥٨٩، ٥٩٠، ترجمه يوسف اسعد وفريد
 دعر، بيروت، مسورات عويدات، ١٩٦٥ م. ومارسيل بورار، إنسيه الإسلام ١٨٠، ١٨٤، ١٨٧،
 ٢٧٨ ترجمه عصمت حشيق، بيروت، الآداب، ١٩٨٠ م. وأرنولد توينبي، الإسلام والحرب والمستقبل
 ٩ - ١٧، ترجمه بيل صبحي، بيروت، دار العربية، ١٩٦٩ م. وأرنولد توينبي، مختصر درسه السريخ
 ٢ - ٣٥٥، ٣٥٧، ٣ / ٤٢، ٧٣ - ٤١٨ ترجمه د. محمد مس، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر،
 ١٩٦١ - ١٩٦٥ م. وإميل دومس، حياة محمد ١٤٤، ١٩٦، ٣٦٩، ٣٧٠ ترجمه عابد ربح، الطبعه
 الثانية القاهرة، دار حبيب، الكتب العربية، ١٩٤٩ م. وهاكدي، دفاع عن الإسلام ٢٦، ٢٨، ٣٢،
 ٣٦ ترجمه ميرالعليكي، الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٦ م.

ارتفاع محميات لإنجار المادي، أمر ملحوظ سطق به واقع الحال هناك، وتؤكد
شهادات المتكبرين وتقارير الإعلام الذي يمكن للمرء أن يلتقي به صاحب مساء في
عصر التواصل السريع

ثم إن هذا النشاط المشق عن مطالب الإيمان اسمع باتجاه إعراءات القوة واستلط
وبداء الأنبيات العرقية والدولية والهدية، ومضى أبعاد من هذا باتجاه كل ما هو لا
أخلاقي في السموك لبشري لكي يحول امحرات والكشوف المعرفه إلى سلاح يُشهر
بوجه الإنسان وليس لصالح الإنسان : إن إنتاج القنابل الذرية والهيدروجينية
والميونترونية والأسلحة الجرثومية إلح وسعها في الملحظ الصعبة - كما حدث في
هيروشيما وناجراكي - ليؤثر بشكل واضح على الكارثة التي يمكن أن يُساق إليها
الإنسان وانبشيره إذا أُبيح للمعرفة أن تظر على حروجه على حروجه عن مطالب
الإيمان بعلي على عدم انصاطها بالقيم والمواريث الإلهية العادلة التي تجعل القوة
والحكمة شوما في كفتي ميزان.

كما أن المعرفة لمؤمة على خلاف المعرفة اللادسية او الملحقة تسعى لأن تمح أكلها
لداس كافة، لا تحكمها أنابة لحماظ على السر، وحجب الاكتشاف - بدافع براحتي -
عن الآخرين

إن الإنسان، مطلق الإنسان، هو يستفيد في نهاية الأمر من المعرفة المؤمة، وبالمقابل
فإن عشرات من الأمم والشعوب لم تحرم بالمعرفة اللادسية من حقها المشروع في الاستفادة
من ثمار هذه المعرفة فحسب، وإنني وُجهت نتائجها وكشوفها إلى أسلحة فتاكه تدمير
هذه الجماعات واستعبادها والهيمنة على مقدراتها

إن الدلالة المعاصرة والمستقبلية معرى الحصار الإسلامية، كما نخص في التاريخ،
تتكشف أكثر فأكثر بالمضي في متابعة الخصائص التي أشربا إليها في مقالبين سابحين ولتي
تعدّ بوصفها في حالة تقابل مع خصائص الحصرات الأخرى، والعربية الراهنة منها
على وجه الخصوص، إضافة أو بعدة أدق. تعديلا ضروريا - لمسير هذه الحصار؛
لأنه فديرة على تقديم اسدات الماسه حالات الخطأ والحموح التي تعني منها

إن الحصر صبه الإيمانية للحصارة الإسلامية - مثلاً - تقف بمواجهة الترحه المادي المتزايد للحصارات الأخرى، وإتزامها بلحم تملأها الآحاد بالاسماع من منظومة القيم الخلقية، وواقعيتها تحد من شطط نظيراتها الفكرية باتجاه طونويات الخلم والخيال، وأصالتها تمنح المسار البشري طعماً جديداً مميّزاً، وشموليتها وقدرتها على مورة الثائيات ولها توقع اندفاع المعارف والثقافات الأخرى وميلها إلى هذا الجانب وذلك على حساب الجوانب الأخرى التي قد لا تقل أهمية وإلحاحاً وإسديتها تتجاوز بها حواجر العرق والنوب والخراف والمذهب وميرتها التحريرية مستفدة الإنسان في نهاية الأمر من كافة المضغوط والصنميات التي أدلت عنقه وهطت به درجات عن مستوى بشرية كمحلق متفرد في هذا العام وسب على مخلوقاته وموجوداته

وهكذا، ومن أجل نوحى الإبحار يمكن إحاطة القارئ إلى منظومة الخصائص التي أشربا إليها في مقالين سابقين لكي يتولى نفسه مهمة المقارنة بين اسط الإسلامي والأنماط الأخرى لنشاط الحصارى؛ لكي يصل إلى ما تنصمه نتائج المقارنة من معرى يؤكد قيمة الدلالة المعاصرة والمستقبلية للحصارة الإسلامية في شبكة النشاط الحصارى للبشرية جميعاً.

ولباحثوب العرييون أنفسهم انتهوا إلى هذا، وقدموا شهداءهم بهذا الخصوص، والتي تحي، كاعتراف حر مدعم بالقاعدت المعهية، وموثق بالرؤية المقارنة لتنصمه حصارة الإسلام من قيم وخصائص مسيرة وفعالة، يمكن أن تمارس دورها في صبة حاصر الإنسان ومستقبله.

إن هذا الدين، كما يقول (نوارار) رجل القانون الفرنسي المعاصر - (يعود إلى الظهور في العالم المعاصر بوصفه أحد الحلول لمشكلات التي يطرحها مصير الإنسان والمجمع)^(١)، ولطالما أعرب عن اقتناعه (بأن في وسع العلم الإسلامي - من بين عوامل أخرى - أن يقدم مشاركة أساسية في تكوين المجتمع الدولي المرتقب)^(٢)، وأنه (يبدو

(١) إنسان الإسلام، ترجمة د. عفيف دمشقية، دار لأدب بيروت ١٩٨٠م، ص ٤٣١

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣٩

أحد العوامل المهمة في الإنسانية المعاصرة الحديثة وهو مستمر في البحث عن الأشكال الكيفية بالتعبير بصورة ملائمة عن تطبعاته^(١) والمسلمون كما يؤكد الرحمن (لا يشكون على الإطلاق في أن التعاليم المنزلة والقيم المراكمة عبر العصور كفيها بتقديم حل لمعضلات العالم المعاصر)^(٢)

ولم يهت (نوارار) أن يشير إلى أن التقدم لعلمي المادي لا يكفي وحده ما لم يصبه القسم الخلقية، فتوجهه بالتالي لصالح الإنسان ومن خلال هذه الرؤية الأخلاقية للنشاط المعرفي المادي يمكن للإسلام (أن يؤدي دوراً حقيقياً في تنظيم العالم المعاصر) عندما يتقدم إليه (مفهومه لسامي لتقييم الخلقية)^(٣) وأهمية مشاركة الإسلامية تبدو أيضاً في نظر (نوارار) في النوارن الذي يمتحه الإسلام، بما أنه تعبّر عن روح ديني، مسيرة المجتمع البشري، بين التقدم المادي (التقني، وبين لمطامح الروحية والإنسانية عامة ولا سيما أن (الأسرار) في المجتمع التكنولوجي، والمواجهة بين الإسلام والثورة التقنية لا تدفع المسد إلى أفكار موفقة الديني بل إلى تعميقه أمام العالم وأمام الله، موجدة عليه محاولة إدراك الإمكانيات بشكل أفضل في إطار إسلامي شامل.^(٤)

إن (نوارار) يصح يده ها هنا على واحدة من أهم خصائص المنظور الإسلامي للنشاط الحضاري إنها معادلة النوارن الملح والمطلوب بين الديني والديني، بين السماء والأرض، بين الروح والجسد، فليس ثمة بيمان متحقق في واقع الحياة إن لم يعبر عن نفسه في إطار نشاط تتداخل فيه وتتوحد وتتناغم كافة الشانبات والمواجهة بين الإسلام والثورة التقنية بالتالي ليست مواجهة أصداد متقابلة، بل هي مقارنة واحتواء وتوظيف للقدرات والإمكانات التقنية من أجل تكويّن حياة إسلامية أكثر أصابة وتقدماً.

(١) المرجع السابق، ص ٢٨٧

(٢) إنسان الإسلام، ص ٢٢٠ ٢٢١

(٣) المرجع السابق، ص ٣٦٩

(٤) المرجع السابق، ص ٣٨٧ ٣٨٨

إن لقاعة الدية كما يستبح (بوارار) (تفرص نفسها حكما مطلقا على كل المستويات، ولا يمكن تدويرها، أو بالأحرى على التقبص منها، مواجهة أي تعبير اجتماعي ولا أي تجديد مادي)^(١)

وهذا الارتباط المحموم بين الدين والسيكولوجيا في المنظور الإسلامي لا يعني أنه أن الحصاره الإسلامية ستعود (بطورها داخل أسوار)، وبمعزل عن العالم، بل على العكس تماما، فإن هذه الحصاره (المتساعحة والمنفتحة بشكل طبيعي) تنطبع إلى العمق بصمة شريك فاعل في الحياة الدولية^(٢) ويكفي أن تذكر الحروب المادي الذي تعبته حضارة العرب، ويكفي أن نمكر في احتمالاته المدمرة بالخطر، الموعدة لأمر الإنسانية، وللإنسان ذاته، لكي نعرف أن دخول الإسلام إلى اساحة وعادته الأمر إلى نصانه بتحقيق التوازن المطلوب، ليس مجرد مشركه فغانه، وإنما هو عملية إنقاذ للتوضع الشرعي المحرف عن الصراط

و قد يؤكد (بوارار) ما يقلقه المراد الكريم في هذا السياق من (نفا مظمتة وحافر قري في وقت معا) فإنه يجدر من (أن إسلام المستقبل ودوره في العلاقات الدولية) لا تحييه به الأممي والأحلام وإنما هو (رهن بها يصنع المسلمون أنفسهم)^(٣)

وم قانه (بوارار) عن احتمالات الدور الثوري للحصاره الإسلامية في مستقبل العام، وما يمكن أن تفعله القاعدة لدية لهذه الحصاره واقتصادها القومية في ضبط ونوحيه النشاط العربي لصالح الإنسان، يمكن أن نلاحظه كذلك لدى ليوبولد هابس (محمد أسد) وسمرند من التفاصيل المقاربات، فهو يشير إلى أسا (قد يكون، نحن المحدثين، بحاجة إلى تلك الرسالة بأكثر مما احتاج إليها الناس إهم كثيرا يعيشون في بيئة أسط كثيرا من بيتنا نحن، وكانت في أيام محمد مشاكلهم ومصاعبهم أسهل حلا وأيسر إلى حد كبير لقد كان العالم الذي كتب أعيش أنا فيه - كل ذلك العالم - يترجح

(١) إنسان الإسلام، ص ٣٨٨

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨٨

(٣) مرجع السابق، ص ٣٨٩

سب من فقدان أي اتفاق على ب هو خير وما هو شر روحياً، وبالتالي اجتماعياً واقتصادياً أيضاً. يسي لم أكن أؤس بأن الإنسان المردود بحاجة إلى (الخلاص)، ولكنني كنت أؤس فعلاً بأن المجتمع الحديث كان بحاجة إلى الخلاص لهذا شعرت أكثر من أي وقت مضى بأن عصرنا هذا كان بحاجة إلى أساس أيديولوجي لمسوى اجتماعي جديد. الحاجة إلى إيمان يجعل منهم بطلان الرقي المادي من أجل الرقي نفسه، ومع ذلك يعطي الحياه اللذيه حقها. إيمان بين ساكيب تقيم توارما بين حاجاتنا الروحية والجسدية، وبدلث ينقدا من اهلاك الذي سدفع إليه برعونة ونهور^(١)

إن القصيدة بإيجاز هي أن يكره للحياة انشربة معى أكثر وأعمق من محرم السكائر بالأشياء، وأن على المسلمين إذا أرادوا - بحق - أن يقوموا بدور في المستقبل، ألا يسمحوا للأشياء بأن تحرمهم بعيدا عن حدودهم الروحية وفيهمهم الأخلاقية التي منحهم الإسلام إياها (ولو أنهم احتمظوا بربطه جأشهم وارتصوا الرقي وسيله لا عاية في فائتها، إذن لما استطاعوا أن يحتمظوا بحريتهم الناطية فحسب، بل ربما استطاعوا أيضا أن يعطوا إسان العرب سر طلاوة الحياه النضائع)^(٢)

لقد اندفعت الحاصرة لعربية بعين واحدة، وبمرور الوقت أحدثت تعقد قدرتها على إبصار كل ما هو روحي وأخلاقي، وبما أن هاتين القيمتين بربطاب بالوجود الشرعي ترتبط صميمها وتميزانه عن بقية الخلائق والوجودات، فإن التقدم المادي الذي يصي بعيدا عنها لن يخدم الإنسان في نهاية الأمر، ولن يأمس من عوائق الاندفاع الذي لا تصطه فيم ولا توجهه معيبر، ولسوف تكون انتائح في المستقبل أشد خطرا لأن التراكم المادي يتراد بحسابات مذهلة لتوالي هدمية. ويبعد أكثر فأكثر عن أي كاسح أخلاقي أو استنصار روحي لمعري الخركه ومعاه لأحير

من ثم فإن أحدا لا يمكن ان ينهم مفكرا ك (جورج سارتون)، غرق في دراسة تاريخ العلوم حتى شحمه أدبه بالمالعه وهو يحكم على (التقدم المادي الخالص) بأنه

(١) إنسانيه الإسلام، ص ٣٢٣ - ٣٢٤

(٢) المرجع السابق، ص ٣٧٦

أمر (مدمر)، وأنه (ليس تقدم على الإطلاق بل تأخر أساسي، ذلك (أن التقدم الصحيح ومعناه تحسين لأحوال الحياة لا يمكن أن يُبنى على وثنية الآلات ولا على العتلات، ولكن يجب أن يقوم على الدين وعلى النفس، وفوق ذلك كله على العلم الخالص، على محبة الله، على محبة الخليفة، وعلى حب احتمال وحب العدل وهذا يبدو لنا حيًا حيما يلقي نظرة واحدة إلى ابوراء إن ما وراء واضح هناك يجب أن يكون واضحاً أيضاً حينما نمد بطر إلى الأمام فيهدي خطانا إلى المستقبل)^(١)

والمدنية، كما يؤكد (سارتون) (ليست مرصاً، ولكن من الممكن أن تقلب شراً وفساداً)^(٢)، رد ذلك بمجرد أن تفقد بطاشتها الروحية وتتأثر عن صراطها الأخلاقية، فتعدو مجرد محاولة لسكائر المحض لا هدف لها ولا معنى ثم إن المدنية ليست حكراً على بيئة دون أخرى، إنها تتغير (سارتون) (ليست شرقية ولا غربية، وليس مكانها في واشنطن أكثر مما هو في بغداد، إنها يمكن أن تكون في كل مكان يكون فيه روحاً صاخون وساء صاحبات يفهمونها، ويعرفون كيف يستمدون منها من غير أن يستوا استعيا لها والشرق الأوسط كان مهد الثقافة، ومنه جاءت أساس إنقاذ العالم في أثناء العصور الوسطى حينما بدأ السناار الحديدي في أورب ينظر العالم شطرين الأرثوذكسي والكاثوليكي وهذا نحن اليوم نطير إلى ماضي الشرق الأوسط معين من عرفان الحميل، ثم نربو إلى مستقبله معين من الأمل الخلو)^(٣)، وليس ذلك بالأمر المسححي كما قد يخيل للعص، فإن (شعوب الشرق الأوسط قد سبق لها أن قادت العالم في حفتين طويلتين وسس ثمة ما يجمع تلك الشعوب من أن تقود العالم ثاسة في المستقبل القريب أو البعيد)^(٤)

ومن تكون محرمة الدور من خلال قدرات يتصور فيها العمر بطبيعة الحال، إنها

(١) الثقافة العربية في راحة الشرق الأوسط تعريب د عمر مروح، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٥٢م ص

٧٣-٧٢

(٢) مرجع السابق، ص ٧٤

(٣) الثقافة الغربية في عاية الشرق الأوسط، ص ٧١ ٧٥

(٤) مرجع السابق، ص ٧٩

بالتحقق شيء كبير لا يمكنه (الآخر) أو يعرف عنه شيء، فإن الحصار المادية لن تجس الغرب المحلي لرمام لمن هم أقل شأماً في مبادئها كافة، ولكنها العقيدة التي تحتوي النشاط اختصاري ونجح المسيرة لشرية المعرى واهداف بعد إلى العربيين أنفسهم ما فقدوه (سر صلاحية الحياة لصانع) إذا استعملت عبارته (ليوبولد فايس)

وتؤكد (حيلة قرار) التساوية التي اعتنقت للإسلام أن هذا الدين (هو في الحقيقة حركي) وأنه يستطيع (يعمل جهود المسلمين أن يشكل قوة ثورية تحرر الإنسان من العبودية للموت، وخاصة القوى المدمرة المهلكة وأب يهوده إلى التقدم الساء، وتمكنه من تطوير قدراته وإمكاناته الإيجابية المختلفة) ^(١) وهي تدعو (المسلمين المستعمرين) إلى أن يبيسوا لغير المسلمين (أولئك الذين يبحثون عن عدايات جديدة وقيم لحياتهم، أن الإسلام هو نقطة البدء الجديدة أمام الإنسانية جمعاء) ^(٢) وهذا لا يعني بالتأكيد أنها قدر من التنازل عن المكتسبات المادية والمادية عموم، ذلك (أن الإسلام بصفته دين عالمياً وعقيدة كوية يعبر ماضياً لكافة مراحل تطور الحياة الإنسانية في المستقبل. فهو يستجيب مع معجزات الإنسان الحديثة في كافة مجالات النشاط الإنساني) ^(٣)

ويشير (كويلر يوج) إلى الإسهام الفعال للثقافة الإسلامية (في الحصار لعالمية المعاصرة. فليس من المعقول ثقافة حية كثقافة الإسلام ألا يكون لها تأثير بالفعل أو بالقوة) ^(٤) في معطيات المعرفة الراهنة وتشكلها في المستقبل

هذه المشاركة التي يؤكدتها (درسم) بعية تحقيق التواصل بين العرب والشرق، ويرفاد عالم المستقبل (بأدحر العالم القديم) ^(٥)، ويرافها (إنيي ديبه) بشر (بمستقبل

(١) عرلات كامل العشي، رجال ومساء أسلموا، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م، ٤١٨-١٠٩.

(٢) المرجع السابق، ٤٠٩.

(٣) المرجع السابق، ٤٠٨/٤.

(٤) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، تأليف حمادة مر الب حنين، جمع وتعليق محمد حليف الله، القاهرة - ١٩٦٢ م، الطبعة الثانية، ص ٢٥٥.

(٥) حياة محمد ﷺ، ترجمة عادل رعبتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - ١٩٤٩، الطبعة الثانية، ص ٣٧١-٣٧٢.

حافل بأعظم الآمال وأغلاء شأنا، وبإسهام حصاري قتال، ويتكشف متزايد لنا عن طبيعة الإسلام الحقيقي..^(١)

أما المزرع، البريطاني المعاصر (مونتغمري وات) فيؤمل بأن المسلمين سوف يسبحون، على الرغم من انصاع، (في جهودهم لتأثير على الرأي العام العالمي، على الأقل فيما يتعلق بالمادى، الأخلاقية وربما أمكنهم في ميدان الأفكار الدينية الأوسع أن يساعدوا على عاء العالم، لأهم احتضنوا بقوة كبرى في استعير عن بعض الأفكار كحقيقة الله (سبحانه)، تلك الأفكار التي أهملت وتُسييت في كثير من الطوائف والأديان الأخرى الموحدة)^(٢).

ويصل في بيه المطاف إلى (حارودي)، فإن كتبه (وعود الإسلام) يعد ملاحظات حصنة عن المشاركة العبادية للحضارة التي شكلها هذا الدين، إن عنوان الكتاب يحمل بعدا مستقبلياً، وبالتالي فإن مدونه القيمة ستصب هناك لكي ترسم للإنسان المعاصر، خائر، المرق ما يمكن أن تقدمه له الحضرة الإسلامية

تتحرك ملاحظات (حارودي) حول المشاركة الإسلامية على عدد من المساور أهمها، ولا ريب توارى الإسلام، ووسطه، فمه الأخلاقية، ثم رؤيته الشمولية وقدرته العدة عن منح لمعرى لمسيرة الحياة البشرية في هذا العالم (إن الإسلام يجد من جديد فرصة تاريخية لإظهار أن عقيدته ومقاصده هي إجابة على قلق عالم قاده النموذج العربي للسمو إلى التعكك الاقتصادي والسياسي والأخلاقي، كم في أيام مشوئه ثم رمن انتشاره، إن الإسلام قدم حواجا على تفتت الامبراطوريات)^(٣)

يمثل الإسلام من الطئنة أو القاعدة الأخلاقية ما يبيح للحضارة الإسلامية مشاركة أشد فعالية في مستقبل العالم اندي أفتت من بين يديه مؤشرات وصوابط القيم

(١) محمد رسول الله ﷺ، بالاشتراك مع سليمان الخرائري، ترجمه د. عبدالحليم محمود ومحمد عبدالحليم محمود، الشركة العربية، القاهرة ١٩٥٩ م، الطعة الثالثة، ص ٣٤٥ ٣٤٦

(٢) محمد ﷺ في المدينة، تعريف شعبان بركس، المكتبة العربية، صيدا بيروت - سوريا تاريخ، ص ٩ ٥

(٣) وعود للإسلام، ترجمه روقان فرعون، الوطن العربي، القاهرة بيروت ١٩٨٤ م، ص ٢٠٨ ٢٠٩

فاندفع، بما يشه الحزن، مشدوداً إلى هدف واحد المراد من التكاثر للأشياء، والمريد من القوة، يعصر النظر عن أي قدر من المساوق أو الاستجمام بين هذين الطرفين وبين الترامات القيم، الخلفية من أجل صالح لإنسان. إن هذه المشاركة الأخلاقية كما يلاحظ (جارودي) ضرورة جداً بوقف الاندفاع لمجور وبحيب البشرية (اهلاك المحتوم الذي يسوق إليه الضلال العربي)^(١).

و نحن نعرف جميعاً انطلاقاً من هذه الرؤية، ما الذي فعله ويمكن أن يفعله العلم العربي المنفصل عن صوابت القيم وذلك بعبادته للتكاثر والقوة، وما الذي فعله، ويمكن أن يفعله العلم الإسلامي المنضبط بالأخلاق وبالعبادات الدينية في نهاية الأمر (م شدد على انوحوه التي لعب بها العلم الإسلامي باكتشافاته دور (لرائد) للعلم العربي الحاي، وإبنا على صفاته الخاصة في تبعيته وخصوعه للوسائل الإنسانية ذات العبادات الإلهية في هذا المنطور، على القرن العشرين، والقرن الحادي والعشرين، أن يتعلما كثيراً من الإسلام)^(٢).

أيضاً فإن الحصار الإسلامي بتقدمها فكرة التسامي (الأخلاقي) للإنسان كواحدة من أهم مميزات الإسلام لعقدية، التسامي الذي يكون المؤسس فيه في حاجة صرورية مواصلة نحو الأحسن والأعلى هذه المعركة فهي واحدة من أهم ما يمكن أن يقدمه المسلمون (لخلق مستقبل إنساني في عالم جعل استبعاد السموم منه، وسيطرة نموذج جنوني من النمو - لا يمكن أن يُعاش)^(٣).

أما الرؤية الشمولية للحضارة الإسلامية، والمعنى الذي تضمنه عن الحياة البشرية، فتكاد تكون أهم إسهاماتها العقلية، إذا ما تذكرنا كيف يترايد الإحساس

(١) محمود حمدي رفعتوف، الاستشراق والمخلف المعكريه لبصردع خضاري، سلسلة كتب لأمة، الدوحة - ١٤٠٤ هـ ص ١٤٤ - ١٤٥ عن محاصر، ألباها جارودي في جامع فظم في كابون الشق - ١٩٨٣ م، بعنوان الإسلام وأزمة العرب

(٢) وعود لإسلام، ص ١١١

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٦

العالمي بالعث واللاحدوى، وكيف تمقد الحياة الشرة يوما بعد يوم طعمها ومعاها، وكيف يتحول السعي المعرفي إلى نشاط تجريدي مفصل عن الإنسان، تقيض أحيانا لمطبه ومطبخه. وكيف تمكث الرشائح بين أقطاب الكون وموجوداته، فيعيش الإنسان في عزلة محيطة قد يكفي تذكر مراراتها وأحزائها أن ينقي مجرد نظرة سريعة على آداب العصر وموره ومساكنه، (يقدر فقد الإنسان العربي كل وحدة في علاقته مع الطبيعة والمجتمع وافته المصـل عن الطبيعة التي اعتقد أنه سيدها ومالكها. ولم تساعد المسيحية الإنسان مع حذرهما الأول بإراء الطبيعة ومع براجماتها المتبـية، مد عصر الهضة، أمام (علموية) تدعي الإحاطة عن جمع مشاكل الحياة، عن الحفظ عن هذا العد الكوي، على هذا الاتحاد الحميم لجميع الكائنات والإسلام عندما لا يكون قد أفسدته ابرؤية العربية المباشرة التي فرضها عليه الاستعمار، يستطيع أن يساعدنا على أن نعي هذه الوحدة التي هي عقيدته المركزية الأولى).

ويبـيـحـار شديد فإن (عقيدة الإسلام وقصدياته) تمثل لإجابة على قلق العالم الحديث الذي يصغه ويقوده النموذج العربي^(١)، هذا النموذج الذي إن كان له أن يساهم بما صغته يداه، فليس به أن يشير إلّا إلى العلم وانتفيه اللتين بلغ هما- والحق يُقـل- مرتقى صعبا ولكن حتى هـا، حيث لا يمكن لعدم أو اتقية أن نفردا بمصير الإنسان بعيدا عن ارتباطاتها بمكرة مـ، بفلسفة أو عقيدة تؤطر حركتها، وتربطها بالإنسان نفسه، وتمحها المعنى والهدف والمعنى، حتى هـا هـا من الإسلام وحده يمكن أن يسمحا بحواب إن خارودي يتساءل. ماذا يستطيع الإسلام أن يقدم لنا ليعبدا للإجابة على المسئوليات التي نرصها قدرة العلم والتقية على جميع الشر اليوم؟) وما بلت أن يجيب (إن المشكلة كويـة ولا يمكن للحواب إلّا أن يكون عن المستوى الكوي)^(٢).

(١) وعود للإسلام، ص ٦٤

(٢) وعود للإسلام، ص ٢٠٨-٢٠٩

(٣) المرجع السابق، ص ٦٧

بها إحد (قصة مستقلة، قصة مستقل جميع الشر) ومن ثم فإن (وعود الإسلام)
ليس كتاباً في التاريخ، كما يؤكد صاحبه (لكنه اقتراب حديد من الإسلام، ومن وراء
الإسلام كهوه حبه ليس محسب في ماضيته، وإنما في كل ما يستطيع أن يسهم به في
ابتكار المستقبل)^(١).

* * *

(١) المرجع السابق، ص ١٨٧

خصائص التفسير الإسلامي للتاريخ

لن يتسع المجال في مقال كهذا للدخول في التفاصيل، ولذا سيتم التركيز على الخصائص الأساسية بالإيجاز المطلوب.

١- المرونة وعدم التأزم المذهبي يتميز الموقف الإسلامي من التاريخ بمرونته وبعده عن التوتر أو التأزم المذهبي الذي يسعى إلى قولته الوقائع الدريجيّة وصنّها في هيكله المسبق، واستبعاد أو تزييف كل ما لا يسعّم ومده الميكل، الأمر الذي يوقع التفسير الوضعية في كثير من الأخطاء والانحرافات.

هذا إلى جانب أن الفكر الوصفي لابد أن يأنر بطبيعة العصر الذي يعيشه سك ويحياتاً، ومدرجة أو أخرى، وهذا (التأثير) المحتوم بعكس - ولا ريب - على معطياته الفكرية سواء كانت (صبيغة) هذا التأثير شكل (تفصيل) فهم العصر وأوصاعه ومدهجه ورؤاه، أو (رفض) ها وعمرد عليها فهي كذا الخلتين يلعب احاب التأثيري الالهدي والإسقاطات، الظاهرة والحمية في (الرعي) و(اللاوعي) دوره في الرؤية التي يمارسها المفكر تجاه الأوصاع والأحداث والأشياء.

فإذا ما حدث وكان المفكر معسراً لتاريخ، وتفسير التاريخ كما بعدم توسيع لتحليل صوب الماضي والمستقبل اللذين يبدآن كثيراً عن الحصر والوسط والتحديد، فإن له أن تصور كم سيحيء هذا التفسير مطوعاً بطابع العصر الذي يعيشه المفسر، وكيف أن الأنشاء والطواهر والأحداث، في الماضي والمستقبل، ستأخذ اللون الذي يجد المفسر نفسه مضطراً إلى النظر من خلال رجاءته التي أسقطت عنيتها مواضع العصر اطلاق والأصواء وهذا يؤدي إلى أن تعد التفسير الوضعية، مدرجة أو أخرى، عن العلمية والموضوعية والحياد.

أما التفسير الإسلامي، الذي يستمد من رؤية الله التي تعلو على الزمان والمكان، وتتجاوز مواضع العصر النسبية، فإنه يطر باعتاج تم إلى لأحداث ويسلط الأصواء عن مساحاتها حقيقاً، دون أن يقتصر على لأحر أو لأخضر لكي تدو حمرء

أو حصراء - وهكذا فإن ثمة فرقاً (مهماً) حاسماً بين المذهب الرصعي وبين المذهب الإسلامي في تفسير التاريخ. في الأولى تُصاغ حقائق التاريخ أو تُعد عرصتها وفق المذهب (المصوغ) سلفاً، فتصر على الاستجمام مع وصعية المذهب، وتُناق لسبيل عليه تأكيداً، وهذا الخطأ بحىء من جميعه أن وفائع التاريخ سبغت في الرمن تحطيط المذهب، ومن ثم فإن المذهب جاءت كقصصة (معدية) تسعى إلى أن تجر (القلبيات) على التشكل بها

وهذا النام المذهبي، هذا التحديد الصارم للنظم التي تتبعها اوفائع نتاريخية في مسارها، هذا التوتر في التزام هيكل نظري مستق، تُناق أحداث التاريخ للدليل عليه نالحق والنظر، والذي بلغ أقصى حدته في المادية التاريخية التي رسمها (مركس أنجر) - دفع عتدًا من المفكرين لأوروبيين إلى اتخاذ موقف معاكس تمامًا يمثل رد فعل إراء الموقف، سالف، بحيث إهم رفضوا القول بحضوع الحركة التاريخية لأي ماموس أو سنة، ومسيرتها وفق أي نظام مهما كان. وقد بلغ هذا الموقف - عبر الموضوعي هو الآخر - أقصى حدته على يد (كارل موبر) في كتابه المعروف (عقم المذهب التاريخي)

أما في القرآن الكريم فإن التفسير يستق عن رؤية الله سبحانه، وهي تختلف عن الرؤية الوصعية في أنها تحط علمًا بوفائع التاريخ، بأبعادها لرمسة الثلاثة الماضي والخاص والمستقبل، وبعدها الرابع الذي يعيب كثيرٌ عن ذهن الإنسان مهما كان عن درجة من الصغيرة ونداء، والعد الذي يعور في أعماق النفس البشرية فيلامس فطرة الإنسان وتركيبه الداقي، والحركة الدائمة في كيانه الباطني، ويسرب بعيدًا صوب اهتمامه العقسه و لعاطفه والوجدانه، وإرادته المسقفة، وما نتول له هذه جمعًا من معصيات تمنح حركة التاريخ أبعادها الحقيقية، ويمتد كذلك لكي يشتبك في العلاقات الشملة للبصيرة ذلك أب رؤية الدات الإلهية التي وسعت كل شيء عتقًا، والتي صغت الواقعة التاريخية، ووصعتها في مكانها المرسوم من حارطة التاريخ الشرقي والكوني على السواء.

إن الرؤية الوصية تمتد إلى الماضي لتقتبس منه وتختار ما يعزز وجهات نظرها المسبقة، أما الرؤية القرآنية فإنها تحيط بالماضي لكي تكثفه في قواعد ورسن تُطرح أمام كل باحث في التاريخ يسعى إلى فهمه، وإلى أن يرسم على ضوء هذا الفهم، طرائق حياته الحاضرة والمستقبلية، باعتبار أن الأركان الثلاثة هي وحدة حيوية تحكمها قوانين واعدة، كذلك التي تحكم الحياة سواء سواء وهذا يقود إلى الميزة الثانية

٢- الواقعية. إن رؤية التفسير الإسلامي للأحداث رؤيه وافعة شاملة في امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلية فيها كانت عليه، وما هي عليه، وما سوف تكون عليه. إنه مثلاً يعترف بتأثير القوم، ويعطي لهذا العامل (الواقعي) حجمه الحقيقي، على الرغم من برعة الإسلام العالمية، واستعلائته على الكيانات المحدودة المتعلقة على الإقليم أو الدول أو الجنس ويؤكد على ضعف الإنسان وتقلبه وعجلته، على الرغم من أنه جاء ببدأ الاستحلاف الذي رفع به الإنسان إلى أعلى مرتبة، وأمر الملائكة بالسجود له.

إن التفسير الإسلامي لتفسير (واقعي)، لا يتأثر بقيمه ومثالياته عمكة الوقوع أساساً في تفسيره للواقع - كما يعمل هيجل وماركس على سبيل المثال - بما يسكنهم عن الواقع كما هو، دون سويج أو تعديل أو تحوير، ولكنه من خلال حركته على أرض الواقع هذه ينطلق إلى أهدافه ومثله وآفاقه - به يسمى معركة (حين) هزيمة وفرار، ومحاطب مهرومي (أحد) بأنهم هم كانوا السبب وراء تلك الهزيمة. ويعلم المسلمون من خلال واقعيتهم هذه ألا يسوّغوا خطأهم ويحرفوا في تفسير الأشياء والوقائع، ولكنهم يعلمهم في الوقت نفسه أن يهيدوا من هذه الرؤية الواقعية لتاريخ لصياغة العلم المرتجي.

٣- المأمورية. إن التفسير الإسلامي مذهب يشق وفق أسلوب موضوعي (عما حدث فعلاً) وعن طسعه التصميم التاريخي بشرية من سدى بسحه وخمته - فهو إذن تلور للحفظ، الأساسية لحركة لتاريخ يصوغها نقران للكرم والسنة الشريفة في مبادئ عامة يسميها (سناً)، يسعى أن يعتمد المفسرون الإسلاميون منطقاً لا

لتزييف التاريخ - وإنما لتسيره وفهمه وإدراك عناصر حركته ومصائر وقائمه،
ومسالكها المعقدة المتشعبة وهو يدعى تفسير شامل محيط يعطي أصدق صورة
للحسن التي تسير التاريخ.

٤ الشمولية. يتضح التفسير الإسلامي للتاريخ على كافة (القوى الفاعلة) في
الحركة التاريخية: امثوره وغير المنطوره، العقلية والوجدانية، المادية والروحية،
الطبعة والعمى ويرفض تجربة الرقبة وعزل الأرض عن موقعها الصحيح في الكون
وارتباطاتها الشاملة بها حول.

إن معظم مذهب التفسير التاريخي، وصعوبة كانت أم دينية (محرفة)، وتنب
معطياتها متحيزة لإحاده عن هذا السؤال المهم ما هي العلاقة بين الله سبحانه وبين
الطبيعة بما فيها القوى المادية، والإنسان بما أنه روح وحسد، في صنع التاريخ وإقامة
اخصارات؟ وهل من المحتمل أن تكون أحداث اساريخ على عامل واحد من بين هذه
العوامل الثلاثة، ويُلقى العاملان الآخران، أو على الأقل بعدوان ظلالاً باهتة بفاعلية
العامل الرئيس؟ ولماذا هذه الجدران التي أقيمت بين الله والطبيعة والإنسان؟

إن معظم مذاهب التفسير تحطت الإحاده عن هذا السؤال، تتركه في طريقها نعمة
عميقة ومعلقة، ذلك أنها في بحثها عن لمرصبة التي تمنح صفة الفاعلية لعامل واحد،
تدعي العوامل الأخرى إلغاءً ومن ثم تترك التفسير السحري للتاريخ، وتطور ليعبر عن
نفسه بالتفسير (اللاهوتي) الذي ساد تفكير مثقفي العصور اومسطي الأوروبية، كما تترك
التفسير الهردي (نطولي) للتاريخ، والتفسير العقلي (المثالي)، والتفسيرات الطبعة
التي بلغت أقصى حدتها في (المادية التاريخية) التي يصورها (بالعلمية)

إن تفسير التاريخ البشري يجب أن يستق عن موقف موضوعي شامل، يربط
ويوازن ويدرك العلاقة المتبدلة بين سائر القوى التي تصنع التاريخ مادية وروحية .
طبيعية وعيبية، ولن يتحقق هذا بطبيعة الحال إلا في نطاق (الموقف الإسلامي) حيث
نعمل كافة القوى، بالنسحاح ونوافي، في الصبر ورده اساريخية بدءاً وانتهاءً

حول نهاية التاريخ وسقوط الأيديولوجيات

أما نهاية التاريخ التي قال بها المنظر الأمريكي (فرسيس فوكوياما) فلا تعدو أن تكون افراضاً، وهو إذا أحصاه على قوايين الحركه التاريخيه نفسها بعدو افرض مستحيلاً

دلت أن الشرية فطرت على العاير والتنوع والاختلاف، وهي معطيات نعكس نفسها عن مرآة التاريخ حياً، ولجغراف حساً آخر، ونصع شئى قد تبدأ سنو الشره واللعه، والعادات والتقاليد الأوليه، وتسهى بالشاهد أو الفعل الخصاري بمفهومه الشامل وكل لمحاولات الي جرب لإنعاء هذه الحقيقه أو تجورها، أو القصر عليها، آلت إلى الفشل

و(فوكوياما) نفسه عاد، بعد سنوات من إصداره كتابه المعروف، لكي يعبر ويدب في سنه الأساسه، ولكي يعطي المجال للتعبير المحتوم من الأمم والجماعات والشعوب.

لقد قاما القرن الكريم بوضوح ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْا مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود] إلا من رحم ربك - ولذلك خلقهم للتعاير والتنوع والاختلاف، وهي من بين حمله من الشرط التي تعين على تحريك الحياة البشريه ودفعها إلى الأمام، وتطهيرها من السكون والفساد ﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقره ٢٥١]

وفي يوم ما حلمت الشيوعه بنهاه التاريخ على طريقته الخاصه، تستلم البروليتاريا مقاليد اسلطان، وتستوي الأمم والشعوب تحت مظله شيوعيه يستوي فيها الجميع، وتسرب خصوصيات وفواصل الأمم والطققات ولشعوب، ويعيب العموم التاريخي، ولإرث الخصاري، ولا يسقى هناك سوى مراح مكرره تنظر فرصها للمأكل والمسكن والجنس.. فماذا كنت النتجه؟

واليرم يحاول مظهر أمريكي كهرسيير هو كوياما أن يعيد المقولة نفسها، ولكن تحت مظلة لرأسمالية وبقية الدولة الكبرى والأنوى الولايات المتحدة الأمريكية. وهوrol المحدوعون هذا الادعاء يلقون أرديهم وخصوصياتهم ورنهم انشافي ودسهم وعقيدتهم، وهم يتصورون أن الانتهاء للمظلة الحديدية سيمسحهم الخبز والدفع والمدة والأمان

وفي اعتقادي: فإن نظرية نهاية التاريخ وُلدت كي تموت؛ لأنها ترتطم ابتداء بقوى التاريخ نفسه!

وأما سقوط الأيديولوجيات التي أكدته معطيات القرن العشرين؛ إذ تهاوت نظرية الرجل الأبيض، والاستعماريات الغربية الكبرى، والشيوعيات العملاقة، والوجودية ذات الإغراء والشيوعية السوفيتية الأعمى فإنه لا يعني بالضرورة عدم قدرة الأيديولوجية أو العنيدة الأكثر انسجاما مع مطالب الإنسان على التواصل والديمومة والبقاء. بل على العكس تماما إن سقوط الأيديولوجيات الوصعبة يؤكد ضرورة الأيدى بوجية الدسية؛ لأنها الوحيدة التي لا تأسرها نسيات الزمن والمكان، أو تصوعها عقوب بشرية، مهما جدت واحنهدت فإنها عرصة لدحطاً والقصور والانتحيار. لأنها معتقد - اسداء - القدرة الشمولية، والرؤية الموضوعية العادلة، للوجود وأصير

والعولة هي إمرار صيغي تماما حاملة من الشروط والعوامل التي شكلت اختصاره العربية امادة عبر القرون الثلاثة الأخيرة وهي مبرج مرتبط انوشثح من كس المؤثرات والمعطيات التي تطوي عليها هذه اخصرة لتفوق انعلمي في ساقبه النظري والتطسفي، والقدرة العسكرية تقنيات الهائلة المتمخصة عن ذلك التفوق والإمكانات الاقتصادية الأسطورية وامركرية الأوربية المسحقة، أو المهاجرة إلى القدرة الحديدة، ورؤية الرجل لأبصر لشعوب الأخرى، والعقلنة الاستعمارية الباحثة عن تسخير الأيدي والعقول العاملة الأكثر رحضا وعطاء، وعن الخدمات التي تديم قدرتها على العمل والاستمرار والأسواق التي تلتهم إنتاجها أصف إلى ذلك سبها

الديني الذي لا يزال يحرق تحت أردية العماية والإلحاد ويتنظر الفرصة للرد على أولئك الذين تحدوه يوماً، وإنزال العقاب بهم.

هذه كلها، تجمع اليوم لكي تشكل مصروف العولة مرضيته ومعطيته معا. بل إن نظرية هدية التاريخ نفسها، وموراثها نظرية صراع الاختصاصات لتضمين هسجس وغيرهم من النظريات الفكرية نصب هي الأخرى في مؤثره العولة

وستذكر الدعة التي تلفتها لمطومة الشرق أقصوية التي طمحت إلى قدر من الاستقلالية في نشاطها لاقتصادي والمالي. إذ سجد أن الخاسر الوحيد في لعبة العولة، أو دولها لأسطوري هي الشعوب الأصعب، فهي كانت مطالبها عادلة ومحقة.

إن حظ العبي والفقر الذي سبق أن تحدث عنه المفكر الحراري مالك بن نسي - رحمه الله - والذي يمتد على محور طحمة - حاكنا، فبمصل العالم إلى شمال وجنوب - لن يكون بمقدور العولة أن تلعبه بوعودها الخادعة، بل على العكس، وهي واضحة عن معطيات العقد الأخير، سريده عمقاً، وسيكون محور الخادق العولة بين الطرفين أمراً مستحيلاً



القسم الثاني

الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس

على بوابة المستقبل . وقفة صريحة ومراجعة ضرورية

المهمة غير المستحيلة :

إن مهمتنا في انبعاث حضارتنا الإسلامية في دورة جديدة من التاريخ عبر مستحيلة

لا أفول- وقد كدت أفول- إنها مهمة سهلة ولكن مع ذلك فهذه المهمة رغم صعوبتها- ليست مستحيلة ولا شبه مستحيلة !!

إننا نبدأ من فراغ؛ فإن أصول حضارتنا ثابتة وموجودة ووصحة . وإن بين أيدينا كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نستطيع أن ندور في فلكه دون أن نربح أو نخسر .

ولما بتجارب حية واقعية أثبتت صلاحية دينا، وقدرته على التحدي والإبداع، والصمود، والتغلب على كل عوامل الانحلال الحضاري!!

وقد وجهنا- في مراحل تاريخنا ويزم ظهورنا على الأرض- حضارات كبرى كان المارق بينها وبيننا هو المارق نفسه الذي يفصلنا، لأن عن حضارة العصر، بل ربما كان المارق أكثر، وكان التحدي أكبر

وهذا الدين، وما يصمم بين أصوله وفروعه من قسبة متحددة بلعطاء الحضاري، والانبعاث المستمر، قسما كل التحديت واستحقاقها ولم نهزم أممها، أو نتعاض معها من موقع الدونية، فنفس ما عمدنا إلى ما عمدنا، وبرن ما لدينا بما لدينا . بل العكس هو الصحيح فقد وضعنا بكل أفكارنا وعطاءاتنا على مهيا سنا وميراثنا، وقبلنا ما يسجج معن ورصنا ما ترفعه موازيننا .

إننا لم نقف كما يريد بعض مهرومي هذا العصر موقف المحاكى والمتند فهذا الموقف غير الحضاري لو وقفنا لما كانت لنا حضارة ذات ملامح وأصول إسلامية، ولكنا قد ذهبنا كغيرنا

بل إننا من نقطة الإحساس الإسلامي الأصل والوعي الحضاري الرشيد هيئت
على هذه الحضارات وكما الشهداء عليها والميراث بين أمتها وعشها

وقد احتلها في الري حوز كثير من الموضوعات، وتعددت في أيدينا أساليب
المواجهة واحتملها حوز أولوية هذه الأساليب فمن عقلاني إلى بصري، ومن بصري
طاهري إلى بصري مؤون وفي العقيدة والفقه واللغة والتفسير والاقتصاد احتلها
لكن انهم كما يقول كاتب معاصر أن أسلافنا على الرغم من هذه الاختلافات
يجعلونك تحس أنهم كانوا كالذين يبارون على مدب واحد، يترمون روحاً واحدة،
وتواعد متفق عليها، ومن هنا أمكن أن تكون هم ثقافة موحدة الروح، وإن تباينت
جوانبها، وظواهرها. (١)

لقد واجهوا كل موقف بموقف مصاد، يمتار بأن (فعل) و(دائم) و(شامل)
وليس مجرد (رد فعل) (وقتي) (جرئي) ..

فعدم استحقاق النقل في انقراء، وحافوا ضياع القرآن جمعه في المصحف. هكذا
كان موقف أبي بكر رضي الله عنه

وعندما أحسوا بأن للشعر الحاهلي صلة بالإعجاز القرآني المبارك، والشعر ديوان
العرب، أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالاهتمام بالشعر، وقال للناس عليكم ديوانكم
لا يصل، فابوا ما هو؟ قال: شعر الجاهلية فيه معنى كتابكم!!

وعندما حثي عثمان رضي الله عنه اختلاف الناس جمع القرآن في مصحف واحد، وأحرق
ما دونهما فكان عمله من أفضل الخدمات لدينا والحضارتنا. وقد مع عنا - جراه الله
وإخوانه حبراً - ما وقعت فيه البصارية من تبديل وتخريف!!

ولما شاع للحس أمر علي رضي الله عنه أن الأسود الدؤلي هو صمق قواعد النحو

ولما أحسوا بعجزهم مفردين عن تفسير القرآن استدعوا علم التفسير

(١) د. ركني نجيب محمود، مجمع جديد أبحاثه، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ

ولما ظهر الوضع في الحديث استدعوا علم الحرح والتعديل، وجمعوا الأحداث،
وأحصوها لمسهح عسبي من أدق ما مع القدر التاريخي
ولما خرجوا من الخبره ووجهوا بحلا باطلة كثيرة وبقيت وشيات تأبى أن تروا،
استدعوا علم الكلام الذي أدى دوره كاملا في عصورهم.
وفي مواضع مسائل الحياة المتحددة أشتوا علم لفقه والمناهج
وعندما أحسوا بالخاصة أثناء أسعارهم وفنوحاتهم إلى معرفة القلة والوقد دورا
علم الهيئة.
وعندما أحسوا بالخاصة الاجتماعية إلى العد والحساب وصنعوا علم الحساب .
واحترقوا الصفر!!
وس يستطرد في ذكر هذه المواقف الحصارية الإيجابية الرائدة، إنها حسنا أن شير
إلى نوعية أسلوب المحاماة الذي التزمه أسلافنا..
إنه أسلوب الحل الأصل الشامل المتفوق، وليس الحل الهرامي الذي يسعى إلى
التفريق والتقليد!!

* * *

إن قدره حصارنا على الأمعات والاستشاف فريده في التاريخ فقط أن نتوافر
الإرادة ﴿إِنَّكَ أَنتَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَمْصِيهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. إنها - من هذه
الحساب حصارا معجزة.

هفي أدل من نصف قرن من إيمان رجل واحد بها كنت جوشها تلك أعنى
عروش العظم، وكانت تستقس في فارس والروم وهما أرقى حصارين استقام
اهمحية بالحضارة، والعابية للإنسانية. وم يعرف في التاريخ أن حصارا تسعت في مش
هذا الظهور المماحرة، وهذه الطفرة المعجزة..

حصارة تسعت هكذا واقعة على أقدامها لها أصولها وجدورها الصورية في كل فكر
وفي كل ركن. حضارة ترر كلساء الكمل القائم على أسس راسحة .

﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَحَرُوا طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرَعُهَا فِي السَّكَاةِ ۝ نُؤَقُّ أَكْثَرَهَا كُلِّ حِينٍ يَدِينُ رَبِّهَا ۝ ﴾ [إبراهيم]

وبحار المستشرقون في تفسير هذه الظاهرة الفريدة في التاريخ احصاري! ومن حقهم أن يحاروا؛ لأنهم لا يؤمنون - من لا يعرفون - إلا الدفعة العرجاء للمادة أن دفعة الروح امائلة فهم لا يريدون وربما لا يستطيعون أن يؤمنوا بها

يقول أحد أبناء الحصار الأوربية لذين بحجرا - بعد جهاد مرير - في الاسلح منها - مصورا هذه الحقيقة التي تتميز بها الحصار الإسلامية من بين سائر الحصارات -

يقول ليوبولد مايس (محمد أسد) بعد أن يستعرض القرون الطويلة التي تكونت فيها مفومات الحصار الأوربية عما ورثته عن حصار اليونان والرومان وما خلفته من المسيحية

وبعد أن يستعرض - كذلك - الأحقاب الطوال التي تكونت فيها حصار الرومان، والرمس الذي استغرقته حصار الهندوس التي امتدت بها سديم الماضي إلى السومريين، والأجيان التي منعت عصارتها حصار العبرانيين التي انصلت بحصار الكلدانيين والسليين والمصريين والحثيين!!

وسفائ التاريخ التي امتصتها حصار الصين، وحصارات بابل وإيران واشور

يقول (محمد أسد) بعد هذه الرحلة في أصول الحصارات:

(ولكن هناك أشياء واحد لكل ما أسلفنا من قول، أشياء كاد يعبث أن نذهب له القول ونعقد لألسه، فلم يذكر بريح الشر في عرفه الناس من حصارات سوى حصار واحدة بررت للوجود من عالم العيب دفعة واحدة، واستوت للناظرين قائمة على أصوه في فترة محدودة من بريح الشر، تلك ولاشك حصار هبة من نوع فريد ومنها حصار الإسلام!!

فلن قامت كل الحصارات الأخرى وبشأت رويد رويدا من تراث الماضي بما
حوى من ضروب الرأي وتيارات الفكر، واستعرفت في سلورها إلى شكها المخلص
وكياف المحدد آمادًا طريفة من الزمن، فلقد انصردت حضارة الإسلام وحدها
بأنبحاسها إلى الحياة دون سابق عهد أو انتظار

وقد جمعت هذه الحصار، من فخر بشأتها، كل المقومات لأساسية حضارة
مكتملة شاملة فقامت في مجتمع واضح المعالم، له بطرته الخاصة إلى الحياة، وله نظامه
التشريعي الكامل، وله منهجه المحدد للعلاقات بين الأفراد، بعضهم ببعض داخل هذا
المجتمع.

ولم يكن قيامها ثمرة تقاليد رحر به الماضي، ولا وليد تيارات فكرية متوارثة،
ونكن هذه الحضارة، كانت وبيدة حدث تاريخي فريد هو تنزيل القرآن الكريم، وكان
مردها إلى رحل قد في التاريخ هو محمد ﷺ^(١)

* * *

وهذا الذي ذكره (محمد أسد)، والذي ذكرناه أيضًا، إنها يتعلق بمقومات هذه
الحضارة وأصولها العقدية والثقافية والاجتماعية ونظرتها للكون وصياعتها للحياة
إنها أصول ثالثة وواضحة يستطيع أن يقوم عليها الساء الحضري لتطبيقي - في أية
فترة من لتاريخ - متى توفرت الإرادة الشريفة، واستحمت عناصر الإبداع، من إسان
وعقيدة ونراب ورمال .

وفي هذا المستوى فإن الحضارة الإسلامية نمو كن تتمر كل الكائنات الحية، ويرر
الدور البشري الذي يحسد فكر الحضارة وقيمته، ويعطيها طابعها العام الذي يسبب
في كل جرناتها

فلن كانت الحضارة اليونانية قد اسارت بالطبع المنطقي الحدي، وجاء الرومان
فمتاروا بالطبع المادي على الرغم من بعض الاختلاف في الملامح الخاصة لأحاسيسها

(١) الإسلام والتحديث الحضري، دار الكاتب العربي، بيروت ص ١٩

من سكسون تجريين، إلى فرسيين رياصيين، إن الماد تميزون بالطابع المتأثير بقي، إن
أمريكان يتميزون بالطابع العملي (البرحماني)!!

لش كل لكل حصاره طبعها الذي يتطعمها على هذا البحر، فإن للحصاره
الإسلامية طبعها الذي يسجد عند الطيق، ولدي يمرها عن بقية الحضارات
ويعطيها أهميتها في التاريخ.

إنه طابع الإنساني، والأخلاقية في مستوى الواقع الشرقي

- وإنه طابع التوحيد في مستوى العلاقة بالله

وإنه طابع الحق والعدل والعلم في كل أمر من الأمور وكل علاقة من
العلاقات

- وهذه هي الحصاره (اختتمية) بعالمنا المعاصر؟!

وإن استندف مسيرها لأمانة في أعناق المسلمين . وسوف يسألون!

خط في المنهج.

(تشخيص الأعراض. لا الأمراض)

من بين الكتابات الكثيرة التي صدرت في القرن الرابع عشر الهجري عن أسباب
تحلف المسلمين) لم يجد - ناسخه قنة رادده على رأسه - أو الأعلى المودودي وسيد
قطب ومالك بن نبي ومحمد أسد - من حاول تشخيص الأمراض . وإنما ساد كتابات
أكثرهم منهج (تشخيص الأعراض) دون النظر إلى الأمراض الدهم إلا عرضاً وإن
كثيراً منهم يخلطون بين الأمراض ولأعراض بطريقة تروحي أن المنهجية في
التحليل عمدة مفقودة، وأن تناول أكثر القصص بخطرورة بالمنهج نفسه الذي يملأ به
الصحافيون أو أهمه أثنائه في الجرائد والمجلات .!!

وحسب كثير من المؤرخين ما سمعهم الله علب عليهم منهج لسرد، والتحديث عن
الظواهر العرضية دون دراسة ما وراءها من أسباب كامة

وفي أكثر الدراسات والأبحاث التي حاولت أن تعالج أسباب تخلف المسلمين
رأبها التركيز على

- العزو العسكري

- الاستشراق

- الجمعيات السرية والماسونية والروتاري والخلايا الشيوعية وغيرها
- السنين.

- سقوط الخلافة العثمانية

- إحلال القوانين الوضعية محل الشريعة.

- سقوط مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي.

- تحول المسجد إلى معبد وانحسار رسالته.

- سقوط الحجاب وظهور السفور واحتلاط الجسدين.

- سيطرة الأيدي الخفية على التعليم في جميع مراحله

- ظهور الدعوات الاقليمية والادينية

تسي الاعلام بحرية الله ورسوله والمؤمنين

- سيطرة البنوك الربوية على الحياة الاقتصادية

- سقوط العام الإسلامي عسكريًا واقتصاديًا وثقافيًا

- ظهور دولة إسرائيل وصراع القدس الشريف.

- تكريس اهريمة والفرقة و نصباغ رسميًا "

* * *

وعند النظر الفاحص نجد أن هذه الشوائب وغيرها إنما هي أعراض لا أمراض

() انظر محمد كاظم حبيب، مجلة السلاج، العدد الرابع عشر، ص ١١١ أقيموا دونه الإسلام في بيوتكم
(بتصرف)

والمهج السليم والعلمي ان بحث عن أسباب الأمراض لا عن أعراضها فإن
صعب الجسم نتيجة وليس سبب وقد يكون وراء صعبه أسباب مختلفة . فربما كان
فقر في الغذاء، أو سوء تنظيم في برنامج لعمل والراحة، أو تلوث في الهواء، أو إجهاد
نفسى وفكري، أو غير ذلك . وعندئذ يكون لعلاج أو معالجة المرض الأصلي بها
يسببه . وبالتالي تروى من نفسها وتأثير عوده الجسم إلى حالته الطبيعية - هذه
الأعراض الطارئة واطاهرة

وبها سقطت خلافة العثمانيين، وبها نجح العرب والمصري والاشتراقي، وبها فرض
احديوي إسماعيل القوانين الوضعية، وبها سيطر التبشير واليهود على الإعلام والتربية،
وبها سمرت المرأة، وسقطت مكتبتها (كما سقطت مكانة الرجل)، وسيطرت اسوك
الرموية، وظهرت إسرائيل في فلسطين، وروسيا في أفغانستان واليمن والصومال
إنما وقع كل ذلك وغيره؛ لأن هناك حادة (قابلية للاستعمار) (حسب تعبير مالك
بن نبي) قد أصيب بها الإنسان المسلم

والعلاج الصحيح والوحيد أن يريل هذه القابلية للاستعمار، وأن يتنى المسلم - من
جديد - وفق برنامج يكمل له التفوق الحصارى - علمياً وعقدياً وحلقياً - وترزع فيه
المرأة التي تتعالي على هذه القابلية بدلا وتستطيع سائها الداني طرد الحرائيم المضادة
إنه خطأ كل الخطأ - في منهج الفكر الإسلامى الحديث - أن نكتب عشرات الكتب
عن الأعراض مستسهلين هذا الطريق ولا نكلف أنفسنا عناء العوص في أعماق
القوانين الحصارية التي هي من سنن الله لكوبة والاحتماعية لمعرفة حقيقة الداء الذي
أصيب به الإنسان لمسلم حتى فقد قدرته على النقاء في حدة الصراع الحصارى، وقدرته
على التوارى في مواجهة لعواصف، وقدرته على تقديم أي شكل من أشكال الحصار
وقد رضى الإنسان المسلم بهذه الحالة المأبظة التي يجعله حفيظاً يأخذ من حصاره
العصر غداءه وحواءها ريتزل طيبها وجميلها . ثم كما تفعل الديدان والكائنات المحطه !!
والكارثة الكبرى . أنه لا يحس بالكارثة !!

سياسة عقيدة ودعوة

في التاريخ الإسلامي غار كثير نراكم، متدرجاً من السسيط إلى المركب، حتى أصبح خلال القرن الرابع عشر المنصرم والعقود الأولى من القرن الخامس عشر قوالب حجرية جامدة يصعب زحزحتها عن مواقعها

إنها قوالب تمت في مسيرنا التاريخية كي تنمو الأثرية التي سرعان ما تصبح أكوافاً تحجب الرؤية، وتعرض نفسها كحجر، من الحقيقة الأرضية، بينما هي في أصلها أمشاح متناثرة وفدت من كل الأصقاع، وحلتها مختلف الأعاصير، كما يحمل كل عهد منغوش لا ورن له!

وقد حشمت هذه الأثرية الكثيفة عن (العقل المسلم) بحيث أصبح هذا العقل المكافح في حاجة إلى قوة هائلة كي يتمكن من زحزحتها. وإعادتها إلى أمشاح منائره. تنحى إلى صوب آخر

ولنبداً (بعقيدة المسلم)

وين هي العقيدة التي برلت على محمد بن عبد الله ﷺ وتلقاه جيل الصحابة صافية نقية بينما هي تهبط من فوق إلى تحت، ثم تظهر آثارها الصافية انقية بينما هي صاعدة من تحت إلى فوق .

إنها-كم- منطت صافية نقية- تتلخص في آيات محدودات بريئة من شوائب الحدس المنطقي أو (الديالكتيكي)

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ صَمَدٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾ [الاحلام]

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

﴿أَمَّا الرُّسُولُ فَإِنَّهُ أُمِرَ إِلَى اللَّهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عَفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٥٥﴾﴾
[البقرة].

أين هذه (العقيدة) (السيطة) التي تلقىها (المطهرة) السليمة، وجدت هيها حقيقتها الكاملة، وحوهرها النقي، فتعالت معها تعامل الدم مع القلب، وانقلب بها فطرة الرعيل الأورب بنقص عن الشريعة غمارها المتراكم عبر العرون وترفع لواء (لا إله إلا الله محمد رسول الله) من صححة إلى حاكنة بل في قلب أوربا فيما قبل حبان الرانس وفيها وراء الرانس حتى (براييه) على أبواب باريس

وفي كل ذلك مرورا بميراث أكبر إمبراطوريتين في عالم القرن التاسع الميلادي دواب صبيحة (الله أكبر) حتى وصلت إلى غدا السماء فعاد الهتاف العنوي الهابط من السماء إلى الأرض يصعد مرة أخرى من لأرض إلى السماء في أكبر عملية التحام بين الإرادة الإلهية والإبداع الشري في تاريخ هذا الإنسان على هذا الكوكب لصغير! أين هي هذه العقيدة الصافية البقية، وأين هو إسمها ذو الفطرة السليمة؟ وأين هما من هذا التركم من التصورات والأبطال التي تمت في عقل المسلم، وجعلته كبرية عربية بين الأيمان واشرك في سياق واحد ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ، لَا لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾
[يه صف ١٠٦].

أجل: أين فقه العقيدة لا (علم الكلام)!!؟

* * *

عقيدة ودعوة

إن عقيدة المسلمين التي فتحوا بها العقول والقدوس والأرض هي تلك العقيدة الإسلامية البسيطة الحبة الإيجابية القاعده التي حرج بها المسلمون في العهد النبوي، في عروات وسرايا وبعوث بلغت خلال عشرة أعوام أكثر من ثمان وستين عروة وسرية وبعثاً

وهي - كذلك - هذه العقيدة التي واجه بها المسلمون أنطمة الأرض وقيصرتها في العهد لراشدي وكأهم بواجهم بنوه اسماء صعب الأرض، وبشموخ الحق أنحدن الناطل.. لقد واجهها خالد وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص أعنف معارك التاريخ حتى عصرهم.

ورقف هذه العقيدة - صباط صعر من صباط المسلمين يدعى رمعي بن عسمر، يقول لرستم قائد الفرس:

(لقد اسعنا الله لئلا نخرج من شاء من عباده العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا يديه إلى خلقه لدعوتهم إليه، فمن قل منا ذلك قلنا منه، ورجعنا عنه وتركاه وأرضه)

لم تكن (العقيدة) - في عنهم - إلا الحياة . فلا حياة بلا عقيدة ﴿يَأْتِيهَا إِلَٰهٌ مَّائِدًا﴾
أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿[الأنعام: ٢٤]

ولم تكن الحروب في مبعهم إلا حروب عقيدة ودعوة لا معارك سياسة ودولة . إن كل حربي مسلم كان يحس بأنه (عمر بن الخطاب) و (خالد بن الوليد) وأن النصر إنما هو انصار لقضيته هو في الأرض . كان كل منهم جيشاً عقدياً يسعى لتحرير البشرية من عبودية العباد إلى عبودية الله . وكان أحمر ما يذكرون فيه انعم وانتع

انظر إلى فتوحاتهم على قلة ما مدكوا فيها من عدد وعدة كعب قهرت جيوشا كثيرة العدد قوية العدد، فهي فتح الأندلس لصلى طارق بن زياد ومعه اثنا عشر ألف جندي ومعظمهم حديثو عهد بالإسلام من البربر . التقى بجيش إمبراطورية اقوطة العصر في المنظم الذي يريد على مائة ألف جندي . فكان النصر للعرب وللمبرر حديثي العهد بالإسلام وقلبي لعدد والعدة، وفتحت على أيديهم أسابيا، وانتشر فيها الإسلام حتى أصبح يهدد - من حلالها - كل أوروبا.

إنها جيوش (عقيدة) و (دعوة) لا جيوش (سياسة) و (دولة) ^{١١} فلما جاء عبد الرحمن الثالث الشهير بعد الرحمن لناصر، حكم أوروبا - كما يقول التاريخ - من حلال

عاصمته قرطبة، وكانت له علاقات طيبة بـإمبراطور لدولة البيزنطية (قسطنطين السابع) (٩٠٥ - ٩٥٩م)

وبإمبراطور الدولة الرومانية (أوتو الأكبر) (٩٦٣-٩٧٣م)

ويمكنك إيطاليا (هوج دي بروفانس) ..

كما أن عبد الرحمن الناصر (٣٠١-٣٥٠هـ) كانت له حروب ظفـره صد ملك (بابرة) سانشو الأول، وملك ليون أورديو الثاني .

ومن العريب أن (الناصر) كان يعيب بعض حكام أوربا، على اسخو الذي يمارسه العرب والشرق الآن بالمسلمين!

فلم مات (رميرو الثاني) ملك ليون، وذب انـسراع على السيطرة بين ولديه (أوردويو، وسانشو). كان الناصر هو احكم بينهما، وقد وقف إلى جانب سانشو عندما وافق الأخير على أن يعطيه عشرة حصون مهمة على حدود مملكته!!

- لكن ماذا أفاد الإسلام من كل هذا المحدث؟

إنه محد محدود كالبريق الزائف لأنه لم تصحبه (دعوه) وما إن مات الناصر، وحلـه ابنه (الحكم الثاني) (٣٥٠ - ٣٦٦هـ) لـدي عاشر أكثر م عاش على مجد أبه المؤقت حتى استطاع معاصر غريب الأطوار، أن يصل إلى الحكم، مستخدماً في ذلك كل الوسائل (المبكية) الحديثة

أجل - لقد كان المنصور بن أبي عامر سياسياً ودهيه من طرار نادر وقد نجح في أن يجعل دولة بني أمية في الأندلس مجرد ظل ناهت. ولم تقم ما بعد ذلك قائمه!!

فأين هو مجد عبد الرحمن الناصر في داخل الأندلس أو خارجها؟ وعلى خط (الناصر) سار المعاصر (المنصور العامري) فعرا الصاري سناً وحمين عروه لم يهرم في وحده مها قط، حتى سمي (الخلاب) لكثرة ما جلب لشعبه من العنائم والسياسا.

ومع ذلك كله فإن هذه العزوات لم ترحع على الإسلام كدعوة - بشيء فلم

يزد الأمر عن سبع سنوات - فقط - بعد وفاة المنصور العامري حتى سقطت الأندلس
في حضيض مروع من المنس، انتهى بسقوط الدولة الأموية، وبداية سقوط راية
الإسلام في الأندلس كلها

في قمة هذه المعارك الطافرة التي بلغت سبعاً وحسين عروة إدب؟

- لقد كانت معارك (سياسة ودولة)، لا معارك عقيدة ودعوة!

- لقد كانت معارك ورياء، فواد عطاء) وليس وراءها شعوب عظيمة

انتهى الفواد اعطاء انتهى مجدهم معهم!!

لقد كانوا عطاء حقاً لكنهم احتكروا العظمة، وكانت طبعاتهم طاعة حائلا

دون أن تستحوهم رهور عصمة

على أنهم وقد احتكروا لعظمة وأهملوا تربية شعوبهم على العقيدة والدعوة - قد

استثمروا مجدهم في مظاهر رائفة، طوها طريقهم إلى الخلود

فبعد الرخس اساصر بن مدينه الرهراء، وأنتك في بتائها جيشاً من العمال،

واستمد في بتائها ثلث إيراد الدولة لمدة سبع عشرة سنة، بل إن بئاءها قد استمر بعد

ذلك في عهد اسه الحكم مدة طويلة!!

واما (المنصور العامري) فقد بنى مدينة الزهرة، لكي تنافس مدينة الرهراء!! إنه

مهج المراجعة القديم المصحح القائم على بء الآثار، على حساب بئاء الإنسان. إنه

عكس لتربية المعادلة الحصارية، فالإنسان، هو اسدع الأول للحصار وفكر

الإنسان وعقيدته فدرال على بجار التطور الحقيقي. أما هذه المذات الاستهلاكية،

فهي وسيلة تدمير للإنسان، إذا أصبحت هي العاية في حدوداتها وهي من راوية

أخرى وسيرة إدلاله، ووسيلة استنزافه... واسر حائه!!

إنها (عبودية) تتناقض مع عقيدة (التوحيد) عقيدة (لا إله إلا الله)

ومن المؤسف أن قرباء المصير لم يقدم لنا إلا بعض المحاولات التي سعت إلى صياغة (فقه العقيدة) . صياغة علمية عصرية، هي تعبير عن جهود فردية محدودة، لا عن عمل جماعي ينصح بروح العصر الموسوعية .

وما يقال في العقيدة يقال كذلك في فكرنا التشريعي والفقهي، ويقال كذلك في تاريخنا الذي محتاج إلى إعادة كتابة، كما يحتاج إلى نظرية إسلامية تتفسره، وتفسر وقائع التاريخ الإسلامي العام..

إن (من الصياغة) العامة يجب أن يتروا مركزاً أساسياً في المرحلة المقبلة التي سيواجهها العقل المسلم، كما أن هذا العقل يجب أن يؤمن إيماناً كبيراً - بجدوى تقديم الأضر بعامة والنظريات انتكامه والمناهج الثامنة !!

يتحدث الأستاذ محمد أسرك في مجلة المسلم المعاصر عن النظام الإسلامي العقائدي الذي يجب أن يطرحه (العقل الإسلامي الحديث) فيسأل:

كيف نواجه نحن المسلمين انظم العقائدية الواضحة المتداخلة إلى عروب، انظم عقائدي إسلامي؟

كيف يصوغ مبادئ الإسلام الأساسية بحيث تنظم جماعة المسلمين وتكون منهم أمة، وتقيم منهم على أساس هذا النظم دولة، لتجتمع لهم عقيدته وأمة ودوله على نسق واحد، يتنظم عقدها بنظام واحد؟

على أن تكون هذه الصياغة ماسة لأساليب التفكير المعاصرة، وتتمتع بقدرة على اختوار والمواجهة لنظم الأخرى، وعلى مخاطبة لسان جميعا في عصرنا هذا، والانفتاح على الإنسانية بأفقها الواسع !

ولكي ينبع هذه العديّة لأبد من العودة إلى انوار لرسم الخط البياني الذي أوصل إلى موقفنا الحالي.

لقد مر الإسلام منذ بدايته وقبل مرحلة العرو الأحيّة بمرحلتين

أولاهم مرحلة الازدهار والقوة، التي استمرت أربعة قرون، ثم بقيت محكم الاستمرار، وبقوة الإشعاع فاعلة عدة قرون أخرى.

وثابتهما مرحلة الضعف والحمود التي بدأت بقرن العاشر الهجري، وهي مرحلة تسم بالركود العلمي وعلمة القل والتقليد، وفقدان الإبداع، ووقوف العلوم الرياضية والطبية، وركود الحركة الاقتصادية، والاهتمام بالخرتبات بعكسراً وعملاً، بدلاً من الاهتمام بأهداف الإسلام ومقاصده وكنائنه

وكل ذلك وقع -كما يقول الأسناد المبارك- بسبب ما طرأ من تغيير على المفاهيم الأساسية الإسلامية، وانحراف عن الاتجاه الإسلامي الأصيل، وتغيير في سلم الأولويات كما رتها للإسلام في كتابه وسته، بحيث أصبح لاهتمام الكبير بالأمور الداربية، والإعمال الشديدة للأمور التي اعتبرها الإسلام في الدرجه الأولى من الأهمية! يصار إلى هذا ما أدخل في المحيط الإسلامي من أفكار خارجة أقمحت على الإسلام مباشرة أو بطريق التأويل، وما انتدع في مجال العقيدة والعبادات، مما أحل بعقيدته الوحيد التي هي محور الإسلام وجوهره ومسبب قوته^(١)

والطريق بعد ذلك إلى إقامة بناء عقدي فكري متكامل، نستطيع على أساسه تصحيح ما حدث في العصور السابقة من تحريف وتشويه وتبديل، ونستطيع -أيضاً- دحض التيارات الفكرية الواحدة- يقتضي منا أن نضع ما يتضمنه القرآن من حقائق عن الوجود، يعرضها علينا ويدعونا إلى الإيمان بها صياغة جامعة شاملة على أساس

- معرفة الله من خلال الكون

- معرفة الله من خلال الإنسان وتركيبه وعقله.

- معرفة الله من خلال حركة التاريخ البشري.

واحيزاً معنى عبودية الله وحده، ورفض عبادة ما سواه من أصنام وأوثان ونظم

(١) محمد كاظم حبيب، العدد الرابع عشر من مجلة البلاغ، مقال: أقيموا دينه الإسلام في بيوتكم

وأوطى وأفكار وشعارات ودرغ استعري كاشعبد والدولة فصلا عن تقدس
بعصهم للعلل والعدم واحتمية وما إليها من مقولات رائجة في سوق الشعراء!

* * *

أزمة العقل المسلم

- أحل أين علم المسلم وعقده في عالم مقاتل بالعلم والعقل؟

- إن (رمح) عصرا أصبحت صواريح تحمل دعوها نوبة،

ون (حبول) عصرا أصبحت طائرات يسوق الصوت، وتحمل الواحدة منها

ثمانية عشر رأس نووي تكفي لتدمير دولة يريد عددها عن ميون من الشر!!

- وإن (فارس) عصرا الذي يستحق في العيمة ضعف أحبه لماشي على قدميه

هذا الفارس المعوار هو من يستطيع تطوير أي سلاح دري أو نووي أو تقديم نظرية

اقتصادية متكاملة تقوم على ركز عمدته وقمه وتقلب موازين العالم ابدي - علم

التوك الربرية والبرصات!!

- أين علم المسلم وعقده، وهو الإنسان الوحيد في الأرض الذي تلقى وحيا من

السماء يأمره في أول كلمة يلقيها على مسامعه (اقرأ)

عجبا كأنه يمتح هذه الكلمة عصر العجم والعقل..

وكأنه - وهو يدق باب لقرن الأول الهجري - يدق أيب - بوابة القرب الخامس

عشر للهجرة - ولأراا المسلمون يحتجون إلى (اقرأ) نفسها - إلى الإيقاع نفسه الذي

حلفه أصداؤها في الخيل الأول في الشعور وفي اللا شعور - فقد استدارت جاهليتهم

كهيئتها الأولى وارتدوا على ادبارهم تحلف وأمية كيوم هبط جبريل بأول (توحيات)

الإسلام الكبرى ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رِبَّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (علق)

إنها (توجيهات) لا تقف عند عدم معين، ولا تربط العلم ببيئة معينة، ولا رماح معين من شرطها الوحيد... أن تكون (باسم الله)!!

ومع ذلك شاء المسلمون في مراحل تحللهم أن يقسموا (العلم) قسمين علم دين وعلم دنياء. وجعلوا ثواب (العلم الأول) أكثر من ثواب (العلم الثاني) وكأن علوم الدنيا من طب وعلك وفيرياء وساب ليست علومًا دالة على إبداع الخالق في الأساق وفي الأنفس... ﴿سَتُريَهُمْ يَآئِتَانِي أَلاَ فَايَ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَقٌّ يَتَيْنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [صُب ٥٣]!! وبالتالي فهي كما تدل الآية علوم دين!! وأما ما أسموه (علوم الدين) فهي علوم إن لم تؤثر في الدن، فإنها تفقد دورها إن (الدن) هي بعض وظيفتها وحرء أساسي في محال عملها وهي قطرتها إلى الآخرة

فمن أين للمسلم هذا التقسيم؟

وهل يمكن أن نصنع هذه النظرة القاصرة حصاره تليق بسدين لا فصل فيه بين الدين والدنياء والعقيدة والعبادة؟!

وهل يمكن أن تكون (حديثات) عنه الكلام الحقيقية، ونكلفت امروق المختلفة، من أشاعره إلى معتزلة إلى مرجئة إلى حو رح - أفضل - للمسلم في دنياه وأحراه - من النظر الثاقب الفاحص الرشيد في عالمي النفس والكون؟!

وهل يمكن أن يكون ذلك (الفقه الافتراضي) الذي يخترع أقصى ويمرر عقله عن المتروى فيها أكثرها مستحل عقلا هل يمكن أن يكون ذلك (الفقه لتقدير) كما أسموه - أفضل من دراسة المجمع واستخلاص قوايين الإجماع على أسس علمية ورياضية، وبالتالي البحث الدائم لأمراض المسلمين الاجتماعية والاقتصادية عن حلول حقيقية تابعة من أصول دينهم وقواعده الكلية؟!!

وهذا (الحو لتقدير) (الحو) اخذوا واعملوا والمستتر وجوبًا وحوارًا، و لتعارض والاشتغال وعبرها من التقديرات العقلية الصائفة هذا الحو الذي

(عقد) لعتد العربية الحميمة، وجعلها من (اللعات الصعبة) حتى على أناسها، وجمع أحدهم وهر الفراء يموت وفي نفسه شيء من (حتى)!!

هل يصلح هذا (الحو) أداة مناسبة في عصر ينعم فيه (الصراع اللغوي) أشده، ويعتمد فيه كل دولة إلى نشر لغتها بأحدث لطرق لمكة وأسطها؟

وسبب من هذا (الحو التقديري) صاع ألق تفسير القرآن وشرح الحديث، على يد كثير من مفسرين وأحدثين الذين اشبعوا بالأداة أكثر من اشبعهم بالمصمون، ولدين قتلهم (الخرى اللغوي) فلم يصدوا إلى حقيقة (الباء) الكلي بالإسلام

* * *

وإذا ذهب سبب جميع حضارات الأرض الصرعوية الإغريقية الرومانية الإسلامية الأوروبية بل إذا استعرضا الحصارات المدثرة التي حصرها (أرمولد نويشي) في إحدى وعشرين حصاراً فإنما سجد أن (العقل) أو (العلم والدين) هما القاسم المشترك بين كل هذه الحصارات!!

وبمقدار ما يكون استعمال العقل غالباً والشعب بالعدم وتيسر ظروفه محقق

بمقدار ما ترتفع الحصار على غيرها من الحصارات!

وهذا (العلم) ذاته، يحتاج إلى (علم) حميه، فلا علاج بلعلم الخرافي المنحرف، إلا بعلم كلي صحيح كي أنه لا علاج للعبية المنحرفة إلا بعقيدة صحيحة فعلى انحراف (علم المراجعة) وتحول إلى عادة لطاعوت، وإلى سحر بحدع العقل جاء العلم الصحيح يلقف ما صعوا، وعندما انخراف الأثيون في عهد السوفسطائيين (أثو بركلير وأرسطو) جاء المطلق يصع للعقل القواعد التي تنحرف فروق فصاحتها، و(الترمومتر) الذي يميز به الفكر الصحيح من السقيم! ولما بدأ (العقل المسلم) يدخل مرحلة الترف الفكري مد عهد الثأمون، وأحد بقيادة المعترلة يلعب بالخرثيات، ويعتمد إلى تعريخ الكتمه من جانبها الفاعل الحركي إلى مجرد كلام يعلب فيه الخصم ظهر أبو محمد علي بن حرم (ت ٤٥٦هـ) يكتب (الفصل في الملل والأهواء والحل)، وظهر أبو

حامد العراقي (٥٠٥هـ) يعيد صياغة علوم الدين، فيما عرف باسم (إحياء علوم الدين) ويكتب (فصائح الطبية)، ثم طهر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٢٧٨هـ) يكتب (الرد على المستفيين) و(السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية)

و طهرت عن اعداد حصار كتاب كثيرة تحمل الطبع النظيري الشمولي، وسكر - صمد - هذه الحرية المدمرة - وكمثال، ظهرت في الفكر الاقتصادي كتابات محمد بن الحسن الشاشي (ت ١٨٩هـ) صاحب كتاب (الاكتساب في السردق المستطاب)، وأبي يوسف صاحب أبي حيفة (ت ١٩٢هـ) مؤلف كتاب (الخراج)، وأبي عبيدة القاسم بن سلام (ت ٢٥٤هـ) صاحب الأموال، والمقريري (ت ٨٤٥هـ) صاحب إغاثة الأمة في كشف العمة.

وفي الفكر الاجتماعي كمثال ظهرت مقدمة عبد الرحمن بن حلدون (٨٠٨هـ) وكتاب معطفاً جديداً كان حرياً أن يحدث ثورة في الفكر التاريخي والاجتماعي لو وجد استجابة ملائمة - وفي الفكر السياسي ظهرت كتابات ماوردي (٤٥٠هـ) صاحب الأحكام السلطانية، وابن القيم - تلميذ ابن تيمية - صاحب كتاب (انطرق الحكمة في السياسة الشرعية) واطرطوشي صاحب (سراج الملوك) وغيرهم

و لمرق بين حصار وحاصرة ليس في أن هذه لديها علم وهذه لا تملك علماً، فقد ذكرنا أن العلم باسم مشترك، وإنما تتفاوت الحصار في أن هذه ذات علم وصل إلى مرحلة (لتركيب) وإلى امتحان (القوانين العامة) والمسائل السياسية، والمساهم الموضوع - أن تلك تستوف علمها في فضاء فرعة، أو فضاء من الدرجة العشرة أو العشرين، سيما تعمل الوقوف عند القضايا ذات الأهمية القصيرة، وإذا وقعت عندها فإنها تقف متحمسة امعالية، وتتداولها بطريقة تعسفية التي تتناولها القضايا الفرعية

ومن هنا يبدو التعارب في منهج التناول الذي حصصت له كل العلوم الإسلامية ولعربية - فنهج علم الكلام قريب من منهج الفقه، والأخير قريب من منهج من التفسير، والنحو والصرف والبلاغة

لكن أين السالك الكلي للعقيدة على أساس من كتاب الله، وأين الإطار الشامل للعقيدة، بحيث يصح (فقها) نظرية اقتصادية، واجتماعية، تعبىا عن اسيراد الطريبات الاقتصادية والاجتماعية من شرق أو غرب وتعر عن هويتنا العمدية، وتقصف كركيب يراحم، بن ويهرم، ما يعرض الأحرار في سوق النظريات

إن ساءنا الفكري لنظرية في الاجتماع والاقتصاد، يحتمل في أركانه ومن ثباته حصائص عقيدتنا، وأخلاقيات حصارنا، هو خير أسدوب في الدعوة إلى الإسلام، إذا كنا حقا مسلمين، نسعى لخدمة هذا الدين!

* * *

إن حويان هكسلي في كتابه (الإنسان في العالم الحديث) يحدث عن أسرار الخواص التي امتارها لإنسان. يرى أنها ثلاث خواص:

١- قدرة الإنسان على التفكير الخاص والعام.

٢- التوحيد السبي لعملياته المعديه يمكن انقسام العقل والسلوك عند الحيوان

٣- وجود الوحدات الاجتماعية^(١)

والحققة أن نحن مسلمين لا نجد حذرا في كلام هكسلي لكننا مع ذلك وبأسف الشديد - نجد أنفسنا في حاجة ماسة إلى تطبيق هذه الخصائص الإنسانية الثلاث على واقعنا. فقدرتنا على التفكير العام، وقدرتنا العقيدة على التوحيد النسبي، واستخلاص القواعد الكنبية والرؤية الشاملة، وتخطي الحزنيات هذه لقدرات تحتاج إلى علاج حاسم يأتي عن طريق تكوین (العقل الجماعي) في منائر أمورنا

إننا نندخل عصر المؤسسات بعد!!

أليس من الغريب أن الأمة الإسلامية تعشل في برجة سمجرد ترجمة - لدائرة المعارف الإسلامية؟

(١) الإنسان في العالم الحديث، ص ٣٢، ترجمه حسن خطاب، طبع القاهرة، بدون تاريخ

وأنليس من المحزون ألا توجد دائرة معارف إسلامية أو عربية أو تركية أو هندية
على عرار الدوائر العلمية التي أسسها العرب، وكون من أحلها مراكز أبحاث
مخصصة

واليس من المحزون أن يتعلم جميعا على كتاب (المعجم لألفاظ الحديث السوي)
الذي صدر بإشراف (أ. ي. ويستك، و. ي. ب. منسج).

وبنك تستطيع أن تنظر في علاف أي جزء من أجزاء المعجم المذكور لتعرف الفرق
بين (العقل الجماعي) وبين الجهود الفردية المحدودة. إن صفحة العلاف تقول لك
إن هذا العمل الذي بين يديك تصافر على إعداده باستثناء الساتين المذكورين
أنها:-

١- ي. مردحم الذي تابع النشر بعد (ويستك) و (منسج)

٢- الاتحاد الأعمي بالمجامع العلمية

٣- والمجامع العلمية البريطانية، والدايمركية، والسويدية، والبولندية،
وليوسكو، وإلك. ف. س، والهيئة البولندية للبحث العلمي

إن هذا هو ما سمي بالعقل الجماعي، أو المؤسسات العلمية المسوخاة من ترأسا
كذلك. وليس لجرد التقليد، فكنا يذكر بت الحكمة وكلما يذكر المكتبات العامة التي
أسسها (الحكم من عبد الرحمن الناصر) في الأندلس، وكما يذكر المؤسسات التي
أسسها (الأمور العباسي) للرحمة ويذكر- كذلك بالفجر دون أن يحاو
المحاكاة- مدرسه الحديث، ومدرسه لرأي. ومدرسه البصرة والكوفة. والفقه
المصري والفقه العرقي، ولائجه العربي المالكي وغيره من المدارس والشارحات
المتعوية والمتداحة أحيانا، والتي يصنع كل منها لمنهج ورؤية (أصول) ثمرة!!

بل إن بعض هذه المدارس كان يسير وفق منهج يلتزم به في العقيدة والفقه
ولسحو. وأسلوب الحياة

وابس حرم الظاهري من هذه الأدلة العوية الشائعة على هذا الاتجه امهجي الواحد!!

إنه طلق المصطلح انطاكري على دراسته للمعتقد والمفهوم والحواس من واعراضه الشخصية!^١

وبحق لا نسي آراء اس حرم في كل ما رأى، كما لا يرى أن يكون هناك التزم مذهبي صدام فهذا الأمر المذهبي حائل دون الاجتهاد والعقلانية التي يدعو إليها . وإنما يرى أن يكون هناك منهج علمي واضح، ومدارس للاجتهاد تمثل العقل الجماعي، وترعاها مؤسسات تشأسسمها . ومؤسسات للفقهاء، وللعلماء العرب، وللأدب العربي وللفقه العقيدة، وللعنوم الطبيعية والاجتماعية والبربرية والاقتصادية وغيرها . أما الإصرار على الحزبية في التفكير وفي الاهتمام، والمردية في التطبيق والاحتداد . على يضلنا إلى المذلة على المناهج الحصرية في عام القرن الخامس عشر الهجري!!

* * *

وبين يعبأ كثيرا أن تعود هذه المدارس على النحو الذي كانت عليه، فلا شك أن ثمة متغيرات وتحديات جديدة بطرحها، اعصر الحدث لكن الذي يعبأ أن تكون هناك (مؤسسات) فكرية تمك القدر على البحث في المصطلح وعلى إحصاء الحزبية هذا المصطلح، ويكون من حقها أكثر من غيرها . سحلاص لأحكام العامة . وتطور مصطلح البحث في تخصصها وإيجار المشروعات الفكرية . في الموضوع العلمي ليس هو المقصود بل المصطلح العلمي هو العمود الفقري للتطور وإن نعلم لا يرتبط بموضوع معين، لأن موضوعات البحث العلمي تتعدد، وكما يذكر الدكتور ركي نجيب محمود في كتابه حول (المعقول واللامعقول في تراث الفكري) فقد يكون موضوع البحث العلمي هو تركيب المادة أو هو التفاعل بين عنصرين أو أكثر من عناصر المادة، أو قد يكون موضوعه هو حركة الأفلاك أو مسار الضوء أو سرعه الصوت أو فعالية الكهرباء، أو سقوط المطر أو هبوب الريح، أو قد يكون موضوعه أوران الشعر العربي أو خصائص من العمارة في عصر من العصور^٢

(١) د/ ركي محمود المعقول واللامعقول في تراث الفكري، القاهرة، دار الشروق، ص ٦٠

ومن جانبنا نقول: إن موضوعه قد يكون قصيا، المعصر، المبهمة الملحقة، أو تطوير
تعليم اللغة العربية بالأجانب والعرب، أو ساء نظرية اجتماعية إسلامية، أو نظرية
تربوية، أو فلسفية، أو اقتصادية إسلامية. كل ذلك يخضع للمصالح العلمية الجماعية
الرصينة الذي يتميز بوضع خريجات في سبيلها المتشابه والمتشاكل وفي إحصاءها
لقنوسها، وفي استنباط القوانين والقواعد منها. شريطة أن يلتزم الحذر والدقة
والاستقصاء في خطوات بحثنا

إن الدكتور ركي بحيب محمود (وهو كاتب موضوعي غير محار لتراثنا) لم يملك
نفسه من الإعجاب بالدور المبهجي المتمثل الذي لعبه حركة دراسة اللغة العربية في
عصور الازدهار. إنه يقول (و ست أنا الكاتب الذي يستطيع أن يحدث القراء شيء
من التمسك المصد عن هذه الحركة في دراسة اللغة وبحورها وصرها، لكسي أترك حقلا
عجيبا في دونه العقلية، غريزا في حصونه وثباته، إذا أنا تركت حقن لدراسات اللغوية
وما يدور حوله من أسحات كاذب بلع منع الدقة الرياضية في دقة التحليل وفي سلامة
الاستدلال

وَأَوْرَ ما نلاحظه في هذا لصدد هو الصلة الحميمة الوثيقة بين بحوث الباحثين
وبين حياة الناس العملية، حتى في مثل هذا المجال اللغوي، الذي قد يبدو لغين
القدي العربي اليوم وكأنه متور الصده عن تلك الحياة، حريا منه على ما قد ألقه في
عصره هذا من بعد الشقة في كثير جد من حالات بين رجال اللغة من جهة، وصرور
الشاهد العملي من ناحية أخرى، حتى لقد سار في سرياب لأمثال أن يكون رجل اللغة
العربية وبحورها ومعانيها ومصادرها وتصاريقها رجلا عربيا على مسرح الحياة
اليومية، لا تسيع سمعه الأذان، إذا حرص على صسط للغة مفررة أو مكتوبة لا لم
يكر رجل البحث اللغوي إلى اللغة التي نتحدث عنها مبتوري الصلات عن عمري
الحياة العملية ومشكلاتها، ومن ثم كانت مبرتهم العليا عند الناس!!)

(١) المعمول وللماقول في تراثنا المكري، ص ٨٤

إن ما يريد أن يصل إليه وأن يستقر في الأذهان هو ضرورة أن يدخل عصر العلم
كما دخله أسلافنا، فإسهم ما دخلوه إلا لكي يحجوا في إبداع حضارة ترتفع إلى مرتبة
فيأده عصرهم. ونجحوا

ويظن بعض الناس أن عندما تهرقا وبشرنا نيسا إنما نقوق بدفعة الروح وحدها،
منجاهلين دفعة العقل كذلك.

إنا نوظرون إلى العواصم الإسلامية دمشق بغداد القاهرة. المدينة قرطبة
مكة . القيروان.. فاس، وقارناها بعواصم أوربا وإفريقيا وآسيا- غير الإسلامية-
لعرضا أنا كـ بحكم العالم . باعلم والدين معا . وكنت لعتنا- كالإجيرية الآن-
هي لعة المحاصرة، وهي لعة الشفاعة العالميه . ولا يصلح طيب ولا ملك ولا ربيصا ولا
فيلسونا. إلا من يتعلمها.

وحتى- بعد هذه الدفعة الأولى- وعندما التفت الصليبين البقاء العاني الذي
استمر قرنين . والذي هزمناهم فيه . حتى في هذا اللقاء كما العلماء، وكماوا الجهلاء .
وهذا بعد الدين انتصرنا . كان صلاح الدين الأيوبي في عقده ورفع حلقه وديه
أفضل من ملوك أوروبا . وكان طب صلاح الدين أعلم بحمسه فروع على الأقل
من طيب ريتشرد قلب الأسد، وكان (سكرتير) صلاح الدين العالم الكبير (القاضي
العاصم) أعلم من أي مساعد أو كاتب إذا كان هك كتب لدى ملوك أوروبا
المصرية . وحول صلاح الدين كنت أسرع وأقوى من حول الصاري الطينة!!

في كل حروب بعد سنة العثم بعد دفعة العقيدة وراء انتصروا . ولم ينتصر
أندنا بجهل ونحنا واستيرادنا. كلا. في تقوم حضارة أندنا ولا تنشر عقيدة أندنا
تحمليها عقول محاصرة باخرييات، مدمرة بلشكيات، مليئة بالترهات، لا تتنوع على
عصرها (في أسلوب التفكير العلمي، ولا في طرق البحث العلمي، ولا في التطبيق
العلمي للمعارف التي تصل إليها). وهذه الثلاثة هي الأركان الأساسية التي يقوم
عليها العلم، أي علم!!

وحتى نعلم أن هناك بعض من المتحمسين يربطون بين (العلم) وبين (أوروبا) ولأنهم يرفضون أوروبا وهم يحقون فهم يرفضون بالذات العلم!! كلا فإن هذا الخط واحد من الأخطاء الكبيرة التي سيطرت على عقول المسلمين.. وبدأ في تحليل هذه القضية من برائثا نفسه بل أن يصل إلى العصر الحديث

فإن أوروبا كما هو معروف قد جلبت من أساندة الحضرة الإسلامية مجلس التلميذ، وتفتت - حتى رهباها - لعلم على يد علماء، بل وفنهاء قرطبة، وأشبيلية، وبجاية، وفاس، والمغرب والهند سرقت من مخطوطاتها ما لا يعلم إلا الله، واحتلت بعدئذا أكثر ماء، وقررت كتبهم في جامعاتها

أحل لقد اعتصرت أوروبا كل علما، ووضعته على مشرحة البحث والتحليل، لكنها مع ذلك رفضت إيمانها ترفض عقيدت وحسب، بل إيمانها رفضت حتى صاعقت للحياة، بل إيمانها - ثم تكلف هذا - فعمدت إلى تشويه حقائق الإسلام، وجدت لذلك جيوش من المشركين والمستشرقين، حتى تحول دون وصول الإسلام إلى أوروبا

لقد اتحدت أوروبا ضد كل وسائل إوقية ومع ذلك فقد أحدثت كل ما في أيدينا تقريب من علوم ومعارف!!

وبعد ذلك، وبعد انتصارنا عليها في الحروب الصليبية بالعصاة والخيول السريعة، وبالعلم لدكي، وبالقيادة الواحدة الرشيدة، بعد ذلك - وفي عهدة وجاهة ما استمرت عدة قرون - فاجأ نابليون بونابرت في سنة ١٧٩٨ بالمدفع المحمول على عجلتين فانهزمت أمامه جيوش المهاليث الذين لم يتعلموا علم عصرهم وأصرروا على القتال بحيل سريعة في عصر انتهت فيه حروب الخيول. واشتعلت حروب العقول!!

وفي عصرنا الحديث عرفت اليابان هذا السر، ولم تكبر، ولم تذهب لشراء الحضارة أو متروحاتها، أو للحصون على شهادات أوروبا في العلوم الإنسانية أو في الديانة البوذية أو في اللغة اليابانية أو في علوم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والآداب والفنون كلا فهذه علوم حاصه نتصل بشخصية الأمة، ويعلمها حرج يطق الأمة نفسها عث وتبعية فكرية. وانتحار!!

وبهم ذهبت اليك شي، واحد لنعم والتكنولوجيا اللذين هما سر تفوق أوروبا، ولا تفوق لها في غيرها من إلهما ليسترا ان عوراتها الكثيرة.
ويأخار... إن الحضارة الأوروبية الحديثة هاجت:

١- جانب شخصيتها والعلوم المتصلة بها مديها المسيحي وبظمها البيرونية ولعبت وعدائها وتقليدها وموروثها الثقافية والاجتماعية وألعابها الرياضية

٢- جانب عطائهم العلمي (أسلوبا، وطرائق، وتطبيقات) وهذا جانب إنساني وعلمي عام، وكما أن استيراد الحرب لأول (الحاجب الشخصي) تدمير للأمة، كذلك فإن إعمال الحجاب الثاني العلمي الحرب تدمير للأمة بالمستوى نفسه!! ونحن للأسف الشديد- قد ذهبنا إلى أوروبا بأحد الأول- وكرد فعل، رفض بعض الناس وكلنا الأمرين خطأ، والمعدله الصحيحة أن نتجه لأحد كل عدم أوروبا التقية ولست أعني بالأحد استيراد متوحشات فهذا غاية الدمار، وإني أعني معاناتها وفهمها وتطويرها وتصميمها، تماما كما فعلت اليابان!!

ومن أغرب العرائف في مواجعتنا للحضارة الأوروبية بعد ظهور مدافع نابليون المحموله على عجلتين وسريعه الحركة التي فاجأها حيول المراكب على مصر منه ١٧٩٨- أننا ذهبنا بقيادة ردهه الطهري، ومرورا بظه حسين، وسلامه موسى، وكمال أتاتورك، ولطفي السيد، وأمثالهم ذهب بعض من العلوم الشخصية للعرب، وترجم الإلياذة والأوديسة وبدعو إلى اللاتينية من واليونانية والرومانية وإلى لسان (القلم) رسي لو تعلمنا مصرعة الثيران إصاعة إلى كرة القدم

ببما لم يبدل أي جهد محترم في معرفة (العلوم البحتة) وممارستها وإدخالها إلى حياتنا وكان هذا لانتهاج الخطأ ومازل بتوجيه من الاستعمار نفسه سبب في صياح قرنين كاملين منذ صرنا مدافع نابليون

ببما شاهد أمة ما دولا دمرت ثم قامت وتوقفت في أقل من ربع قرن لماذا؟
لأنها تعرف الطريق!!

الامة الإسلامية - والقادة الحضاريون

سيطرت على مسيره درجها دي الأربعة عشر فرما وبثبع، ولا سيما في فترات الاحتلال، قاعدة عربية هي أن يوسد الأمر إلى غير أهله!!

وقد رد الطين بلة في العصر الحديث أن بدقت الشعوب الخهلة - ومن بينها الشعوب الإسلامية - فكرة مساوية كان لها تأثيرها المدمر في حاصر المسلمين. إنها فكرة المساواة المطلقة بين الناس، تقهمل وفاجرهم، عقريهم وحاملهم، مهذبهم وسافلهم، وحق الجميع - وهم على ما هم عليه - في أن يصلوا إلى مراكز القيادة الحضارية في كل المجالات

ويدهي أب السس في الإسلام - متساوون في أصل العطرة، وفي حقوق الإنسانية العامة، وفي حق الوصول إلى انقياده الحضارية عندما سواقر شروطها ومتساوون أمام شريعة الله.

أما تعلت أمور الأمة بحيث يتأخر علمؤها ومهكروها، ويعتزلون الحياة حرصا على كرامتهم ومكانتهم الصائغة، وفي المقابل يتصدر الخهلة، تحت أنه لافته - فتلك كارثة كبرى ترشك أن تصيب حضارتنا بالعقم الشديد

وفي كثير من أدوا. حصارها سطر كثير من الخهلة المدفون، وكانوا في كل ما يأنون ممثلين لأنفسهم فقط ولا يمشون الإسلام ولا سياسته الشرعية ولا قانونه الحربي ولا نظامه المدني، ولا تعالسه الأخلاقية إلا في اسدر

وكي ذكرنا فقد تقلد هؤلاء الأمور في معظم دورات تاريخنا وإليهم نعرض كن مصائبنا نكات .

وقد جحوا سيطتهم وجهلهم كل الكفايات، ومعوا كل مستشار أمين من أن يكون له نفوذ، ولم تعيش معهم إلا طبقات الوصوليين المذققين!!

وصبح الأمر كما قال الرسول ﷺ «أفصل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» لأن كلمة الحق عند هؤلاء كانت تساوى حياة فائسها. وبالتالي انكمشت لصموة وساد

العوماء ووضع مصير الأمة في يد النصوص وأشاء النصوص

(وكان من جراء هذا الخلل أن زالت رقابة الدين والأخلاق، واحتضت الخسبة، وفقدت حركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سلطانها وتعتت، الجاهلية ورفعت راسها، وأحسد الناس إلى الترف والسعي، وإلى الملاهي والملاعب، وبغضوا في اللذات والشهوات)^(١)

* * *

إن رفض مبدأ (المساواة المطلقة) الذي تستر وراءه المذاهب المخصوصة واتباعها من الجهة والعوماء وفي الحزب الآخر رفض مبدأ تمتع (أقلية مهيمنة) لا تحلب العذرة النفسية ولا الخفية ولا المكرمة على القيادة هذان الرفضان ضروريان للتصميم بنهضة إسلامية معاصرة.

إن العالم المتحضر يفقده خلاصة صفوته بثقافته، وإن هذه الصفوة لشكر مؤسسات تستعمل كل معطيات العقل أحدث، وتمتع - كقيادة حصارية - بكل الإمكانيات الاجتماعية التي تمكنها من أداء دورها

وقد قطعت (اليابان) بعد أن دمرت في الحرب العالمية الثانية إلى أهمية هذا الأساس في بناء الأمم، فأعطت للممارسين مرتبات وكلاء، للوزراء وصلاحيات وكلاء، للبيان، ووفرت لهم كل إمكانيات البناء، أما طبقة (العلماء) أو (التكنوقراطيين) فهي تتمتع في العام بالمعظم كدب كبير سمع به أي صغرة محاربة في الحصار والسياسة

وبذلك.. فليس عجا أن عادت اليابان خلال أقل من ربع قرن لشارك في قيادة العام بعد أن كانت قد دمرت تدمير شبه كامل بأسلحة أميركا الدرية

إن الطبقات التي تقود المكر ولأخلاق يجب أن (تستشرد) على الأقل، بطريقة مبرورة ودائمة وشكل قانوني - في حطرات الطريق الحضاري للأمم المسلمة - على أن تكون هذه الطبقات موثوقة بها في إيمانها بعصده الأمم وراثتها، وعلى أن يكون من

(١) مؤرخين الندوي، ماذا حسر العالم بالخطايا المسلمين، ص ١٩١، طبع الاتحاد الإسلامي العالمي

أهل الكفاية والدين لا من أهل الثقة والديا.

ورب أمر الأمة يجب أن يكون شوري بينها، سياسة واجتماعا واقتصادا وفكرا .
ومن باب ولي يجب أن يكون شوري بين أهل الخُل والعقد فيها، ويجب أن توصل
القواعد والمظم لكي لا يصل إلى الإمارة والحكم والقيادة إلا حبار الأمة وصموتها، لا
أن يترك الأمر فوضى دون صواب وقواعد.

ومن خلال الخطير المتكاملين لا المتوازيين أي خط القيادة الحصارية المتمثلة في
الصهوة المحتررة. وخط الرعاية المستولة أيضا قدر حجمها «كلكم راع وكلكم مسئول
عن رعيته» من خلال هذين الخطير المتكاملين تتحرك الأمة كلها في سلم الحصار
بانسجام وتأثر

(ولا ريب أن أعباء ومسئوليات الوحبة والابكر و لطر إلى المستقبل، والتطلع
إلى الأعلى، تلقي ثقلها على كواهل الحبة والصهوة، ويقدر ما يكون شعور الطليعة
بصحابة الأعباء مرهقا، ويقدر ما تواجه الحبة تصورات سلبية وبغقيات متسحرة،
يقدر ما تمكن هذه الحبة من تجاوز المشكلات الحصارية، ومن دفع الأمة في محالات
الرهق والصعور الحصري

وتنظر الأمة والجماعة بحير كلما أن هذه الطبيعة متسحرة الألق، مدركة لحركة
التطور، عارفة بطبعه عصمها، وبأساليب الحياة المستحددة، وعندما تبدأ هذه الحبة
بالعلاق على نفسها أو عندما تصاب هذه الفئة أو تصد، أو يقع الشقاق بين أفرادها،
فإنها تكون قد استفدت أغراضها فتعجز عن القيادة الراشدة^(١).

فالحبة في ظل القاعده البشرية التي تتجاوز معها، تستطيع أن تترجم تطلعات
الأمة إلى واقع ملموس، كما أن القاعده الوعية تستطيع أن تحاسب الحبة لراشدها،
وبعضها من أمراض الرعامة وانحرافاتها، وبالتالي تسادل الحبة والقاعده التأثير
والتأثر..

(١) محمد عبي، الحصار الإسلامي بين التحدي والتعطيل، انباء الرابع للندوة المعنية بالرياض ١٣٩٩هـ

وتعطي سبعة الأمة متحطية العواصف ولتقلبات عصص تماسكها لثم، ووعيه
إحصاري الكامل

و، لخلق أن أمتا الإسلامة- صفوة، قاعدة، قيادات و شعوبا في حاجة إلى إعادة
احترامها وتقديرها الكامل لأساسين كبيرين
أولا، الإنسان.

ثانيا: الوقت

والإنسان في حقيقته كائن متصل اتصالا وثيق بالحقيقة الرمزية، وهو لا يستطيع أن
يتحدث عنها فصياغ الوقت إنما هو بالتالي صياغ للإنسان كما أن صياغ الإنسان
وبهيماله يعني- كذلك- الصياغ للأساس الثالث في عمل إحصاري

وهذان الأساسان يتطلبان في كل عصر الأمة، ولا غنى عنهما - أي عن احترام
الحقيقة الإنسانية، واحترام عصر الرموز - بحال من الأحوال

أما الصفوة المختارة، التي تمثل عناصرها القيادة الحضارية للأمة، أو الطليعة المؤمنة
الراشدة أم هذه النخبة، فلا بد من أن يحقّق فيها شرطان أساسيان، لا ينقص
أحدهما عن الآخر .

إن انفصال هذين الشرطين هو أكثر أسباب التلاؤ التي حادت بمسيرة الأمة
الإسلامية. وأدب إلى كثير من التقلبات والمخزات.

إن هذين الشرطين اللذين يمثل التحامهما وامتزاجهما (معادلة صعبة) هم

١- القوة.

٢- الأمانة

ورب القوة وحدها لا تكفي، بل هي سبيل لتدمير اقوي لنفسه ولأتمته

ورب الأمانة وحدها لا تكفي، بل هي سبيل امتداد الخجائب والورراء والمساقيين،
وباريجها مليء بالشواهد على استئداد الطبقات الأدنى في القيادة حين يمسس (الأمانة
والصعب) في الطبقات الأعلى!!

يقول الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في كتابه العظيم (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) محلا هذه المعادلة وميسار ربه فيها، بأسلوب رائع يقول في الفصل الثالث الذي جاء تحت عنوان (فله اجتماع الأمانة والقوة في الدس):

(اجتماع القوة والأمانة في الدس قبل، وهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اللهم أشكوك إليّ جلد العاجر وعجز الثقة، فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها فهذا تعين رحلان أحدهم أعظم أمانه والآخر أعظم قوة، فدم أصعبهما لتلك الولاية، وأقلهما صررا فيها، فيقدم في إمارة الخروب الرجل القوي الشجاع، وإن كان فيه هجور، على الرجل الضعيف العاجر، وإن كان أميا ^(١)، كما سنل للإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في (عرو)، وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يُعزى؟ فقال أبو العاجر القوي، فقوته للمسلمين، وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف، فصلاحه نفسه، وضعفه على المسلمين، فيعزى مع (قوي العاجر)، وقد قال النبي ﷺ: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» وروي «بأقوام لا حلال لهم» فإذا لم يكن فاجرا، كان أولى بإمارة الحرب من هو أصلح منه في الدين إذا لم يسد مسده

ولهذا كان نبي ﷺ يستعمل حلد بن الوليد في الحرب ضد أسلم وقال: «إن حلدًا سيف من الله على المشركين» مع أنه أحيانا كان قد يعمل ما ينكره نبي ﷺ، حتى إنه - مره - رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما فعل حلد» لما أرسله إلى جديمة فقتلهم، وأحد أمو لهم بنوع شبهة، ولم يكن يحجور ذلك، وأنكره عليه بعض من معه من الصحابة، حتى وداهم النبي ﷺ وضمن أموالهم، ومع هذا فما زال يقدمه في باب الحرب، لأنه كان أصلح من غيره، وفعل ما فعل بنو إسرائيل

وكان أبو ذر رضي الله عنه أصلح منه في الأمانة والصدق ومع هذا قال النبي ﷺ: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفا، وإني أحب لك ما أحب ل نفسي لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم» رواه مسلم. ينهي أبو ذر عن الإمارة والولاية؛ لأنه رآه ضعيفا مع أنه قد روي: «ما أظلت الخصراء ولا أظلت العراء أصدق هجة من أبي ذر»

وأمر النبي ﷺ مره عمرو بن العاص في عروه (دات السلاسل) استعطافا لأفرويه

الدين بعثه إليهم، على من هو أفضل منه وأثر أسامة من يريد لأجل نثار أبيه ولذلك
كان يستعمل الرحل لمصلحة، مع أنه قد يكون مع الأمير من هو أفضل منه، في العلم
والإيمان!!^(١).

* * *

إن هذا الرحل حري أن يكتب بأظهر مداد، وحري أن يوضع في رايح لإعداد
القادة لمفكرين أو لعسكريين أو للوزراء السياسيين أو الإداريين !

وبو أن رجلا غير ابن تيمية قال هذا الكلام لما قلته كثيرون أما وصاحبه ابن
تيمية، الرحل الذي أثبت لنفسه مكانة رفيعة في تراثنا وحضارتنا فإن أحد من الناس
لا يستطيع أن يطعن فيه!!

إن فقيهاً متحدداً صاحب أكبر موسوعة لاعتقادي في تاريخنا ليس يعلم يقيني
المسلم - في صدق الرواية - لا يكذب أهله - بأن التقوى لا تكفي وليست هي
المؤهل الوحيد لقبادة، ولصناعة حصار، ولتسيير مصالح العباد، وتحقيق نفعهم
إنه لفتيهم اعتياداً على سلوك النبي محمد إمام حصاراً للمسلمين عبث الصلاة والسلام -
بأن التقوى ما لم تصحبها قوة فإن ضررها قد يكون أكثر من نفعها بالنسبة للأمة.

ومن منا يرتد في تقوى أبي در؟ ذلك العلم الهدى الذي يموت وحده ويبعث
وحده!!

لكن هذه التقوى قد تكون غير مصحوبة بنف قوي، وعقل عملي، ورؤية شاملة
متجددة للوقائع المتطورة، وبالتالي قد تكون آثارها محصورة في إطار صاحبها، ولا
تستطيع أن تحج دفعه التغيير المناسبة

بل إن الإمام ابن تيمية يرى أن (مصلحة الأمة) هي المقياس، فقد يقدم الفاجر إذا
كان في تقديمه لمصلحة. والرجل يقرب بصرحة يعجز عنها كثيرون. والواجب في

(١) نقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، السياسة الشرعية، صبح وراة الشؤون الإسلامية بمملكة
السعودية، ١٤١٩ هـ ص ١٦، ١٥

كل ولاية (الأصلح بحسبها) ' ' ويؤيد كلامه بقول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل
(أما العاشر القوي فقوته بالمستدين، وفجوره عن نفسه، وأما الأصلح الضعيف،
فصلاحه لنفسه وضعفه على المستدين)!!

أحل إب القوة هي الشطر انكامل للأمانة، والذي لا تنقدم الحجة إلا به في عصر
يركل الصعفاء، ويبحث عن الأقوياء ويسميهما الخبثاء.

ويؤيد الرأي الذي ذهب إليه الإمام ابن تيمية ما ورد في القرآن الكريم في معرض
الحديث عن قصة موسى عليه السلام مع شعيب فقد كانت (قوة موسى) هي
المؤهل الأول الذي رشحه للعمل عند شعيب . وقد جاءت بعدها لأمانة ﴿وَبَشِّرِ
خَيْرَ مَنِ اسْتَفْتَحْتَ الْعَبْدُ الْأَمِينُ﴾ [الفصل ٢٦] وهذا حق فكيف تنجح القيادة
الحضرية في أي مجال إذا لم يكن لديها قوة!!؟

وكيف تفيد الأمانة وتحرس قضاياها إذا لم يكن لديها أمانة!!؟

أحل إنما (معادلة صعبة) لكنها - مع ذلك - الحل الحضري الوحيد مشكلة
(المادة) في تاريخ !!

* * *

الضمير الإسلامي . وحقوق الإنسان المسلم

يعطى القرن الرابع عشر المصير والعمود الأول من القرن الخامس عشر عدة
دلالات يجب أن تستقر في ضمير المسلم

- ومن أبرز هذه الدلالات أنه لا أحد في العالم يشفق عليه أو يأبه به أو يحترم
إنسانيته، عن الرغم من لافتات حقوق الإنسان وهيئاته المختلفة!!

- ولضمير العالمي ضمير لصغارى واليهود و لشوعيين ضمير مبست إراء
الإنسان المسلم

() السببه شرعية، ص ١٥

بعد مقتل أو يؤسر عشرون جاسوس أمريكيًا أو بريطانيًا أو فرنسيًا فتقوم الدب ولا تعدد . ويتجمع العالم كله من أجل حقوق الإنسان وهيبة المدينة والأعراف الدولية والديانات والقوانين المنحصرة... وهلم جرا

لكن على النقص من ذلك قد يباد شعب مسلم بأكمله . بيده الروس ، أو يبدء حاكم مأجور ، أو سيده اليهودية ، أو الصراية . فهذا ينال الصمير الأوروبي نوما عميقا بل قد يدافع عن هذه التصفيه الحسدية العامة ويلتمس لها المبررات والأسباب!!

وقد ثبت أن أوروبا وأمريكا وروسيا على استعداد لتصدير كل شيء إليهم . من طائرات وملايس وتيارات فكرية مدمرة وحوب مع السل المسلم أجل كل شيء إلا الأشياء النافعة نفعا حضاريًا مستمرًا..

فهي ليست على استعداد لأن تصار مبادئ الحرية التي تنشأ فيها بل لا منها تقوم بتصدير الانقلابات العسكرية الدكتاتورية فقط!!

- ويست على استعداد لأن تصار التكنولوجيا المتطورة بل يكفي أن تعطى منتجات التكنولوجيا . وحسب أن يكون مستهلكين!!

- ويست على استعداد لأن تعطى القسنة الدرية في مواجهة إسرائيل والهد

وراء هذا لصعب المعوي والمادي الذي تريد فرصة على القوى المعادية لكي يموت محولين أو يعيش مقهورين فإنه من المحزن عيب أن نبحث نحن عن حقوق أنفس المادية والمعوية . ولأنه في عالم تقرب العشرين ثم القرن الحادي والعشرين لا حقوق للضعفاء فقد سمح للناس أن أمح بين أهمية حصولنا على (حقوق الإنسان والتكنولوجيا وندرة) وكل ذلك نالضع في إطار أصالتنا الإسلامية!!

والحقوق لا تمنح... وإنما تفرض!!

والعريق إلى فرض الحق . هو أداء الواجب . وأداء الواجب يستلزم بقوة . ويؤدي إليها

وبملفات الأمم المتحدة وقراراتها تثبت ان هذا العالم الذي نُسِّرُّه أمركا وتعت
بمصريه الصهيونية العالمية لم يعط أي ضعيف حقه كي أن هذه المنظمة أعجز من أن
تفعل أي شيء، لمن لا يعمل لنفسه ويسعى إلى مصلحتها!

والخريطة الإسلامية مشحنة بالخراب إنها كمأذنة لأبام يقسمها الدثام !!
ولا أمل في استعادة هذه الخريطة هيبتها وحقوقها إلا بيقظة الصمير الإسلامي
والعقل الإسلامي والروح الإسلامية..

وفي الداخل داخل المجتمعات الإسلامية قبل خارجها يجب ان تستقر قواعد
حقوق الإنسان المسلم بصميره اليقظة وعمده الواعي البصير، وإرادته الإيجابية،
وواجباته الأخلاقية، وروحه المزممة - حقوقه على جميع من يوجهون دقة الأمور في داخل
المجتمعات الإسلامية وخارجها

وفي تصورها أن الطريق الوحيد لتحقيق حريتنا ضد القوى الخارجية هو أن
تتحقق حريتنا، إنسانيتنا في داخل المجتمعات الإسلامية وذلك بأن تعود المجتمعات
الإسلامية إلى دحل قصب الحصرة فتحكم الرعية والرعاة بشريعة واحدة ثابتة لا
بقوانين امشائية ولا بأحكام عرفية ولا بتكتاتوريات تستمر أحقاداً وأجيالاً

وبعبارة الاستطرادات التفصيلية نرى أن (حقوق الإنسان المسلم) تتلخص في
الأساسيات الآتية

١ - الحق في حماية الحياة وتوفير الطعام والملبس والسكن والدواء والعليم والأمن
للإنسان المسلم

٢ - العدم فلا يقتل الإنسان بالطقة، ولا يؤخذ امرئ بدين الخابي، وحق أي
إنسان في مقاضاة أي إنسان أدم قضاء محاييد.

٣ - المساواة في الحقوق والواجبات بين أفراد المجتمع

٤ - حق المشاركة في أمور بيده وأمنه سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً

٥- الحرية في الاعتقاد والمكير والمكير في إطار الشريعة الإسلامية

٦- حق في عصيان ما يخالف دينه لأن فيه يأمره هذا ويقول له ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى
الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [مائده ٢] ، ويقول له «لا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق».

٧- الحق في حماية لسمعة والعرض والحياة الخاصة التي تخلو من عصر المحاهره
وتحدي المجتمع

٨- حماية الملكية الخاصة المكتسبة بالطرق المشروعة

٩- الحق في أخذ الأجر الملائم دون إراقة ماء الوجه

* * *

وعلى المستوى الخارجي فإن الصمير الإسلامي يجب أن يستيقظ، ويحدي
التأمر العالمي صده فهي قارة آسيا- وبرك الآل الكثرة الشيوعية أقدمت إسلامية
محرومة من حقوقها الإنسانية، في تيلاند، وبورما، والعدين، وتيوان وسيلان، وبيال،
وهوج كويج، ولاوس، وكمبوديا، وفينام

ومداح المسلمين في الفليس، ومساعدة أوربا وأمريكا لستاحها (ماركوس) أمر
معروف، وفي إفريقيا أفيات أخرى محرومة من حقوق المساواة والتعليم الإسلامي
والحياء الآمنة وقتاء الكنب الإسلامية أو تكون إطارات بدافع عن حقوقها الإنسانية
المهصومة.. وكل ذلك تحرسه أوروبا وأمريكا..

ومن هذه لأفيات مسلمو عابا، وأوعدة بعد عيدي أمين، وانجولا، وكينيا،
وليرت، ومورميقي، وروديسيا الشمالية (راميا)، وروديسيا، ومدعشقر ولا نظر أن
الأكثريات الإسلامية في آسيا وإفريقيا تتمتع بحقوق الإنسان.. كلا رأيت كلا فإن
الأجهره العالمية امتأمة تأبى أن ترك هذه العالم الإسلامي يطلق من عقاله. لكي
يعمل وينعدم وبدع، وهي برصد كل حاجته لعدم حصفي، ونادومها بأعنف الوسائل
وأكثرها وحشية وهمجية

وأتممت أربع دور إسلامية كبرى نتان في آسيا وثنان في إفريقيا باكستان
وأندونيسيا في آسيا، وبجيريا ومصر في إفريقيا. انظر ماذا آل إليه أمرها!!

فأما الأولى فقد أساء إليها حکامها بعد الانفصال عن الهند حين ربطوها بالعرب
وبمعاهدة مع أمريكا، وكذب جرائده أن يحكمها عدد من العسكريين الدكتاتوريين
انتهوا بها إلى أن تشطر شطرين، وأن يحرم عليها أن تعيش في طريق التصنيع، وأن تهدد
تهديد صريحاً حين يداع أنها تصدّد الدخول إلى الحقل الدري، بينما عدوتها الهند تحطّب
هذه الرحلة ولم تنس أية مقاومة، وبما تمتع إسرائيل فصلاً عن الدور الأوربية
هذه الطاعة!!

وإما الثانية فقد سلط عليها الشيوعيون بقيادة سوكارنو، وعدم اسد الشيوعيون
أسقطوا وحل محلهم استشير النصارى المدعّم من أمريكا وأوروبا والفاثيكان، ووضع
برنامج لتحصيرها - وهي أكبر دولة إسلامية - في خمس سنين

وقد ورد في أحد التقارير أن النصارى يرمعون الانتهاء من تحصير جزيرة جاوة
التي يقطنها نحو سبعين مليون مسلم خلال عشرين سنة.

وحتى الآن فإن التحصيمات ناجحة كل النجاح، وقد تمّ تحصير عشرة ملايين
مسلم من فقراء أندونيسيا ومرصاهم وجهلائها تنصروا بسد عورهم وعلاج
أمراضهم وتعليم أبنائهم في مدارس الشتر، بينما أموال المسلمين نهب ما نوك أمريكا
وأوروبا واليهود!!

* * *

وفي إفريقيا جنوب النصارى مع أكبر دولة إفريقية إسلامية أسوب التمريق وفص
بعض أقاليها عنها فلما مثلت التجربة سطر عليها حيوت من النصارى وقطعوا
وشائجها بالعالم الإسلامي.. حتى تؤكل مفردة.

وفي بعض البلاد الإسلامية سطر الشيوعية الدكتاتورية لنهزم بإهدار كرامة
الإنسان المسلم، وفتحوا بكل حر كريم، ولكل مفكر مستقل، ولكن مؤمن بالإسلام
عقيدة وشرعية فتحوا لكل هؤلاء أشنع معقلات عرفها الشر!!

فلما سيطرت الشيوعية في بعض المدن كان الدين إحتلال أمريكا والصهيوية العالمية، بكل ما عرف عن الصهيونية من وسائل استنزاف الشعوب وديبرها عقائدياً وأخلاقياً واقتصادياً

وهناك أقطاب إسلاميان تعتبر من أكثر الأقليات في العالم، وهما لأقليات الإسلامية في الهند، وبلغ نحو مائة وأربعين مليوناً، وتمثل أكثر من ٢٠٪ من مجموع سكان الهند.

والأقلية الإسلامية الواقعة تحت اليد الشيوعي سواء في الاتحاد السوفيتي السابق أو الصين.

وبدأ قصة مسلمي الهند سنة ١٩٤٧م، وذلك بعد استشراف ظاهرة اندح الخمي عي للمسلمين في الهند بمساعدة الإنجليز، وبناوط حرب المؤتمر الذي كان يحكمه حواهر لال نهرو وفي هذا العام ١٩٤٧م وافق لورد الريطاني على قيام حكومتين في الهند باسم (هند) و(باكستان)، ولكن أرض الهند لم تقسم بين الهندوس والمسلمين قسمة عادلة، بل سيطر هندوس يدعمهم الحقد الصليبي الريطاني على كثير من بلاد المسلمين، وكانت حكومة الهند ترسل الجيش لستولى على المقاطعات المختلفة عليها، كما حدث في كشمير التي تبلغ نسبة المسلمين فيها أكثر من ٨٠٪ وكما حدث في حيدر آباد، وكذلك استأثرت بالمواعين الهامة مثل ممباي وكلكتا، وسكن الكيرة كدلهي وبمعظم الثروات الوطنية وأموال الدولة.

ولم يطمئ هند كله الحقد الوثني، بل قام الهندوس والسيح بدمسح وحشية بين المسلمين وقتلوا مئات الآلاف في دهي وامرتسار وغيرهما، وفي عربات القطار المكتظة بالمسلمين المهاجرين من أطراف الهند إلى دار المحرة (باكستان)، وكان الجيش الهندي هو الذي يشرف على هذه المذابح، وهو الذي يطرد المسلمين الأمان من بيوتهم في المناطق التي قررت حكومة الهند أن تكون تابعة لها^(١).

(١) بحبي ندين القصصائي، حاصر العالم الإسلامي، ص ٧٩، مطبوعات إمامة الإسلامية

وقد بقي في الهند - بعد انفصال باكستان - أكثر أغلبية في العالم وهذه لأقلية
الكبيرة لا يمر شهر دون أن تدر لها المذابح، التي يعاود فيها رجال الشرطة، مع
الحجرات الهدوءة للطرفة، ويعصون على المسلمين كل ماساتهم الدينية، ويدعون
مهم ناداب في كل مرة. دون أن يوضع حد لهذه المجازر المكررة والمستمرة، ودون
أن يرتفع الضمير الإسلامي إلى مستوى المسئولية!

أما قصة الأقلية الإسلامية الواقعة تحت ير الشيوعية، فتبدأ في الاتحاد السوفيتي
من سنة ١٩١٨م (١٣٣٦هـ) حين رحف الحبش الشيوعي بعد نجاح الثورة البلشفية
على جمهورية أورال وشمال القوقاز (قفقاسيا) وحكومة حوقند في تركستان وفي سنة
١٩١٩م (١٣٣٧هـ) استولى على جمهورية آلاش أوردو، وفي سنة ١٩٢٠م (١٣٣٨هـ)
احتل القرم وجمهورية أدريجات وجمهورية حيوة في بلاد التركمان، وفي سنة ١٩٢١م
(١٣٣٩هـ) هدم جمهورية بخاري واستولى عليها بعد قتل مرير

وفي هذه الفترة كان عدد المسلمين في الاتحاد السوفيتي أكثر من ستم مليون
مسلم وقد حاول الشيوعيون أن يعيروا معالم البلاد الإسلامية فهجروا المسلمين من
بلادهم إلى محافل سيبيريا وأواسط آسيا، وأتوا بآلاف الروس والسلاف فأسكنوهم
أدرجات و تركستان والقرم، وحدث من المسلمين عند مقادومتهم خلق كثير حين
رفضوا ترك أرضهم و الخصوع لهذا المخطط الرهيبة، واستطاع الشيوعيون أخيرا أن
يعيروا معالم البلاد الإسلامية ويشردوا أهلها !!

مقد كان في القرم مثلاً حمة ملايين مسلم سنة ١٣٢٥هـ - ١٩١٧م فأصبحوا عام
١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م أربعمئة ألف، وشبه بذلك ما حدث لملايين المسلمين في روسيا
وعيرها من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.

أما الصين الشعبية فلم تكن أقل اعتداء على المسلمين من روسيا حين اعتصب
بلادهم وحاولت إلقاءهم، وك في الصين خمسون مليون من المسلمين وأكثر من ٤٢
ألف مسجد كجاء في حصاء ١٩٣٦م ويسكن هؤلاء المسلمون مقاطعات واسعة

أهمها سيكيكس ومشورب وهابي وهنان وسان بوء وعيرها ولم يكن مصر المسلمين
في الصين أفضل من مصر إخوانهم في الاتحاد السوفييتي^(١)

وهناك شعوب إسلامية كاملة محرومة من حقوق الإنسان، وتسحب عليها
المؤامرة العالمية ضد الإنسان المسلم ومن هذه الشعوب شعب (ألبانيا) المسلم الذي
وقع فترة طويلة تحت يدي الاحتلال الشيوعي، وشعب أفغانستان الذي حكم بحكم
شيوعي مقيم ثم باحتلال أمريكي عاثم، وشعب أريتريا المسلم الذي يحكمه مصري
أثيوبي، وشعب أثيوبيا المسلم الذي يريد المسلمون فيه عن ٦٥ / وتحكمه أقيمه صربية
رأب أن تستر في ثوب الشيوعية، وشعب الصومال وعدد المسلمين البدان يحكمهما
حكمة شيوعه، وشعب تنزانيا المسلم (تنجانيقا و زنجبار) الذي كان يحكمه مصري
يتستر في الشيوعية وهو (جوليوس نيريري)!!!

ولحق أنه من الصعب ستعراض كل أجراء الخويطة الإسلامية لتعرف على
أوضاع مسلميها المتهين فحتى تلك الشعوب التي يدور وضعها من الناحية
الشكلية القابلية سبيل فإن إمداد الحقوق فيها بواسطة بعض أبنائها الذين ربهم
الأسعير على عيه، ونعوض إليهم لإسلام أمر مقرر معروف بحيث إذا لا يكون
مبطلين إذا هنا: إن علم المسلمين يحتاج إلى (هذه إسلامية) ترعى حقوقه المخصوصة
وكرامته المستباحة هذه تنشئ من صفوة الأمة ومخلصيها وفقهائها في انقائهم الدوب
العام، والخاص، ويكون عملها أن تدافع عن إنسانية المسلمين الصائفة في علم تحكمه
عصاة من الدناب، تشدق ليل هار باخرية والإحياء والمساواة والحضارة وهي من
كل هذه المعاني الكريمة براء.

* * *

الدور العالمي

لن يستطيع المسلمون الخروج من مشكلاتهم الصغيرة والحربية في أكثر أركان

(١) محيي الدين القسبي، حاصر اندام الإسلام، ص ١٦، ١٧، مطبوعات الجامعة الإسلامية

فكرهم وحياتهم، إلا بالإصرار على رفض التمزق الداعي والابهار النفسي الذي تحدثه هذه المشكلات، ولن ينم هم ذلك إلا بالإحساس بمسئولية كوية وعامية، ليس تجاه أنفسهم ومجتمعاتهم فحسب، بل تجاه الإنسانية كلها

وهذا ما تحدده لنا الآية الكرمة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]

وكي يقول المفكر الهدي اسلم (وحيد الدين حال) (إنه لم يوجد عصر من العصور تفتحت فيه آفاق العمل لرسالة الإسلام العلمية مثل القرب العشرين، بفضل التسامح الدبوبة ثوره الإسلام التوحيدية).

هناك كل أنواع التأييد للمفكر الإسلامي وانتصوير الإسلامي ليكون واحة، تقدمه العلوم الإنسانية، التي تدرج تحتها علوم النفس والاحتياج والتربيع والتشريع، كما أن ما اكتشف من حقائق الكون، قد دحض الأساطير التي قدمتها الأديان الأخرى، كاليهودية، والمسيحية، وأكدت في الوقت نفسه أحقية الدين لوحيد الحدير بهذه التسمية، وهو الإسلام

وما قدمه العصر من وسائل الدعوة الإسلامية والخصيرة الإسلامية

١- فصل أساسه عن الخرافات التي كانت تسمى دس، بعد أن فقدت الكسبه قدرتها على الإرهاب ولسيطرة والسلط بين الإسلام وحده هو الذي يقدم الدين والدين في سياق معقولي واحد

٢- شيوخ حرية الرأي والبحث، وهو أمر خطر عن الأديان الأخرى إلا الإسلام

٣- شيوخ تدمير ظواهر الكون وتسحيرها.

٤- شيوخ النهج العلمي والفكر التاريخي، الذي قضى على الأسطورة والمفكر

الخرافي

٥- توفر الوسائل الإعلامية كأجهزة الإعلام السمعية والمرئية والمطبعة

وثمة جانب آخر خطر يساعد على تحول المسلم إلى رسول حصار إنسانية في هذا العصر بحيث ينظر إليه على أنه المنقذ من خطر القاء الإنسان لشامل وهذا الجانب يتمثل في الأوضاع التي انتهت إليها الحصار الأوربية التي توشك أن تقضي على إنسانية الإنسان ومستقبله

وفي ظل هذه الحصار (لا بدري إلى أين نحن سائرون ولكنا سير) كما عر الشاعر الأمريكي (بينه).

أما (رينيه دوبو) فيعبر عن هذا الأسير في كتبه إنسانية الإنسان، ويصف الحصار الأوربية في كلمات قليلة.

(كل حدة شخصه دجحه، وكل مدينة باجحه، دعمتها أجهزة منظمة من العلاقات التي تصل الإنسان بالمجتمع وبالطبيعة، وهذه العلاقات الأساسية تضطرب سرعة وعمق الآن بسب الحياة المعاصرة التي يحياها، والخطورة ليست مقصورة فقط على اعصاب الطبيعة، بل في هديدا مستقبلا الشريعة نفسها)

وعن (دوبو) نقل كلمة رئيس بلدية (كلفرد) منهكي (إذا لم تكن واعين هيد كرنا التاريخ على أن الحيل الذي دفع إنسان إلى القمر، بينما هو عائن إلى ركبته في الأحوال والقادورات).

ومن نستطيع تتبع كل ما فيه المشخصين حصار أوروبا من أمثاتها وحدث كالكسيس كاريل في كتبه (الإنسان ذلك المجهول)، أو أروولد تويبي في دراسته للتاريخ، أو إشسحر في كتابه عن أمول لعرب. أو روجيه حارودي في كتبه (حوار الحصارات) أو كورسانات جيوروجيو في روايته (الساعة الخامسة والعشرون) وهي الساعة التي يمر بها (جيه رجو، إلى أمول الحصار الأوربية وسهرها، رانساح حصاره حلدة فادمة من الشرق (حيث يكسح رجل الشرق المجتمع الآلي، ويسعمل لنور الكهربائي لإضاء الشوارع والبيوت، لكنه لن يمنع به مرنة الرقيق، ولن يرفع به معبد وصوامع كما هو الحال في بربرية المجتمع الآلي العربي إنه لن يصيء (بور بور) خطوط القلب والمكر إن رجل الشرق سيجعل نفسه سدا للآلات والمجتمع لأي)

إن الفكر الإنساني المتحرر المستوعب لأزمة الحضارة المادية، التي تكاد تحس
إنسانية الإنسان، وتثمر الجنس الشرقي .

هذا الفكر الإنساني سيجد في الصيغة الإسلامية للحضارة المحصر والملاذ
والملاحأ.

لكن انهم أن يدرك المسلمون دورهم، ويحفظوا له، ويستغلوا الإمكانيات المتاحة
للدعوة في هذا العصر ويتقدموا بطلب واثق مؤمن، وعقل قوي متمتع إلى اساحة
التي سديهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم]

* * *

واخيراً

عالم الإسلام المرتقب:

مقرأ كثيراً أن الإسلام (ماء كامل متورن) وأنه (نظم شامل للحياة)، و (دين
ودولة) . .

وهذه الأقوال لشيوعها قد بدأت تفقد معانيها الحق، وفعاليتها الواجبة في الفكر
الإنساني .. وقد أصبحت - في رأي الكثيرين - وكأنها كلمات إنشائية فارغة المحتوى ..

ويحب أن نوضح أن هذه المصطلحات التي شاعت في الفكر الإسلامي الحديث
تعني - في تصورنا - معنى واحداً لا يفهمه كثير من الذين يلوكونها

إن هذا المعنى هو (الحقيقة الإسلامية) التي نهدم به إلى إنسانية القرن الخامس
عشر

وهذه الحقيقة الإسلامية ليست هذا الإسلام الموجود في محبة كل ماء، وليست
الإسلام المذهبي الذي يركز فيه على مذهبية سنية أو شيعية أو صوفية

ليست إسلاماً رجعيّاً أو تقدميّاً أو ثوريّاً

ولست إسلاماً (يساريّاً) أو (أمريكياً) .

كلاهما الحقيقة الإسلامية بناءً على طوائفه وبه أسسه، ويصحح لنظام دقيق من (النسب) المتوازنة والمنسجمة والمكممة، فلعقيدة دورها الأساسي، وللنظم الاجتماعية والاقتصادية والربوية والسياسية حجمها ودورها . وللأخلاقيات حجمها ودورها ..

وهكذا تتسلسل الحضارة والقيم في الإسلام حاصلة لا اعتبارين

١ مكانة وأولوية لا تتعداها

٢- حجم لا تتجاوزه

وهذا البناء الهندسي الدقيق يقفه من قول الرسول ﷺ « لا يربى ناصع وسول شعة » وليس من حق أحد أن يعطي شعة من هذه الشعب (مكانة) ليست هذه، أو (حجم) لا تستحقه . كما أنه ليس من حق أحد أن يركز على شعة من الشعب بحيث تكون طلاها أكثف من غيرها فتبدو كثير من الشعب المجاورة لها باهتة أو عذرة عن أداء دورها

إن هذا الإسلام - هذا النظام النسبي - هو الإسلام الذي يسهل - علمياً - كل التيارات الاجتماعية والاقتصادية والروحية الواحدة عليها، والتي تسعى لتغيير صبغة حياتنا . كما أن هذا النظام هو وحده الحقيقة الإسلامية التي تستطيع أن تقدمها إلى إنسانية القرن الخامس عشر للهجرة!!

وعندما سجع في الاحتياط للإسلام بنظمه وحقيقته، وبحسن التعبير عن هذه الحقيقة، وترجمها إلى واقع مُعاش، فإن الناس - في كل العام المتحط المرسك - سيدخلون في دين الله أفواجاً... لماذا؟

لأنهم سيجدون في الإسلام الإشباع بكمال لكل احتياجاتهم الروحية والعقلية والنفسية والمخسدية . وسيجدون العدل الذي يهيمن على كل الخريبات، ويحفظ لكل منها حجمها ودورها . وسجدون أنهم لا يستطيعون أن يلتمسوا في الإسلام شيئاً فلا يجدونه، أو أنهم مضطرون لأحد بعينه وترك بعينه كما فعوا مع غيره من الأديان والمذاهب

فهي عقيدة الإسلام ستتحقق الحاكمية لله وحده، وستسود شريعته، وسترول -
سائلي سائر الحاكمات الشريعة، وينتهي الطغيان من على الأرض
وسيجد الناس أن هناك ميراً ثابتاً عادلاً تعرض عليه كل الأراء وكل الأشياء
حيث منها ما يثبت، ويهي ما ينهي

وستحل العبادات الإسلامية عندما يطبقها الناس على حقيقتها في إطار من الوعي
بدورها، والشعور بمكانتها الحقة ستحل هذه العبادات محل سائر الأحقاد
الاجتماعية، وستوحد المساواة والرحمة والصدق مع النفس ومع الآخرين . وستحس
من خشية الله ومراقبته حقيقة واقعة وستعوم الأخلاق الإسلامية بعملية الترميم
الشامل لكل المصحات التي ربما تظهر في بعض مراحل التطبيق من حراء سيطرة
الطبيعة البشرية الضعيفة

وكذلك تقوم الأخلاق بعلاج الحالات التي توجب الالتزام بروح الشريعة .
إياها مرحلة (الإحسان) و(الإيثار)

وفي كل ذلك - لو فهم الحقيقة الإسلامية - كما أرادها الله - متحد الإنسانية
حقيقتها الصائغة ومنهجها القويم

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الَّذِي ظَلَمَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا ۝ ﴾ [المح].

(صدق الله العظيم)

* * *

الخطاب الديني ومبدأ الحوار الإسلامي

الإسلام والمسلمون بين تشويه الخاصة وجهل العامة في أوروبا:

إنهم يجهلون حقاً، فالدين يجهلونها من ربحان للاستشراق أو الاستخبارات لا يمثلون إلا لغة صليبة ولأنكى من ذلك أن هؤلاء - بطبيعة عملهم - لا يملكون الحق سواء بل بصوروسا في أغلب الأحوال صورة نمطية بعيدة عن الحق والخير، تسمح لهم تشويهها وإعلان الحرب علينا إن اقتضت المصلحة ذلك

وقليل منهم يتعدون بصباتهم وأبصارهم فيصلون إلى الحقيقة من خلال هذه السحب المراكمة التي تحول دون ظهور شمس الحقيقة

إن التاريخ الذي يتم تدريسه للتلاميذ الأوروبيين الصغار كما تقول لدكتورة فورية العشماوي^١ - يعلمنا أشياء مختلفة عما يتم تدريسه للتلاميذ العرب المسلمين في مدارس حوب البحر الأبيض المتوسط

فجد أن سي الإسلام ﷺ يتم تقديمه أحيانا على أنه (رسول) وأحيانا أخرى على أنه (شاعر) ملهم يرى رؤى جادة.

أما حقائس الإسلام فتقدم تقديما ينمى مع المفهوم اليهودي المسيحي للإسلام نكر ما فيه من انحرافات وتشويهات يجرح شعور المسلمين...

وهذه المناهج الدراسية تقدم الحروب الصليبية على أنها هجوم أوروبي لتحرير ييب المقدس من أيدي الكفار - أي المسلمين - الذين كانوا حسب ادعاء لأوروس يحتلون فلسطين ويسيطرون معاملة المسيحيين الشرقيين أي المقيمين بها، وكذلك المسيحيين القادمين من أوروبا يرياره ييب المقدس، وتعمل هذه المناهج لدراسية التندد بوحشية الصليبيين وعدم نساخهم مع سكان القدس حين انزعوها من أيدي المسلمين عام

(١) صوره لإسلام في العرب من خلال المناهج الدراسية، وثاني ندوة صوره لإسلام في العرب من خلال

المناهج الدراسية بيتا النسا شعبان ١٤٢٠هـ - نوفمبر ١٩٩٩م

(٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م) بيما التاريخ العالمي وابوسوعات العنصرية الكسرة اعترفت بأن الصليبيين دمحو، أكثر من ٧٠ ألفاً من المدنيين من أهالي القدس دون تمييز بين النساء ولأطفال والشيوخ أو بين مسلمين ويهود وحتى مسيحيين من أهالي المدينة انهلسته العزل من السلاح، وكذلك برمت المدهج الدراسية الصمت التام أو الإغفال التام لتسامح المسلمين الكبير حين استعاد المسلمون القدس عام (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) عن يد القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي الذي أصدر العفو لدم عن كل الأهالي

وعن أكثر الأمثلة دلالة على ظهيرة الإغفال اتعمد حقة ثق للإسلام ودوره الحضري هي إغفال المدهج الدراسية العربية الاعتراف بفصل الفلاسفة والعلماء المسلمين عن النهضة الأوروبية^(١)

ورداً كان الطفل يشأ على هذه الصورة في هذه لس الصغيرة، فإنها تطل عاتفة نوعيه دائماً، ولا سيما أن مدهج المراحل الثانوية والجامعة لا تحلب عنها إلا قليلاً.

ورداً كتب هذه هي صورة الإنسان المسلم عن تاريخه وعلاقته ومناطق اشتراكه مع الإنسان الأوروبي (مطلوم دائماً) (المعصوم كذلك دائماً) و(الساحر عن الإسلام) ولو من خلال إنادته للشعوب... دائماً ..

إذا كتب هذه هي صورة لإنسان المسلم - بهذا الميراث الأوروبي الظالم - فإن عمدة هذا المسلم هي أيضاً عفدة تعوم على الفهر في علاقه بالله بالإنسان، فالإنسان محكوم بالقدر الإجمالي لا يملك أية مساحة من الحرية ولا يملك حديد مصير حياته بل عليه أن يرضخ هذا المصير . وهذا على الأرجح تكمن جدور طاهرة اميل إلى الاتكان على القدر التي يمكن ملاحظتها عند المسلمين.

وبما أن لعلمسات المادية المعاصرة تتحد من الإنسان وحتيائه مركزاً لتفكير والسطيم الشرعي، فإن الإسلام يقدم على أنه صورة مناقضة لهذه الفلسفة؛ لأنه يحدد الله مركز الكون ثم حرية الإنسان فليس هذا أهمه في النظام انكوبي عند المسلمين .

(١) تورية عشماوي. صورة الإسلام في الغرب من خلال منهج الدراسية

وبالنسبة للشباب في المباح العربية هذه الصورة التي يستح هم منها أنها صورة حقيقية، وهي محلقة وبيدائية ولا تساعد المجتمع على النمو والتطور كما هو حال المسلمين^(١).

وبالنسبة للقرآن يعمون الشباب هناك أن القرآن كتاب ألقه محمد بالمسلمين، وقبلها ما يقولون به كلام الله المقول على لسان منه محمد، ويرغمون أن القرآن يتضمن أفكاراً كثيرة مقولة من العقيدتين اليهودية والنصرانية، كالاغتراف بالله واحد ويوم القيامة، ويحتوي كذلك على كثير من القصص الواردة في الإنجيل متجاهلين حقيقة وجود قدر مشترك بين كل الأديان والعصمات حول القسم الإنسانية المشتركة. ومنجاهين المروق الدقيقة بين القرآن والعهد القديم والحديث في كثير مما يتصل بالله وبكأن الأنبياء، وتفسير العلاقة بين الله والإنسان إما في الإسلام علاقته ربوبية وعبودية لا مكان فيها لوساطة ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ يُولَدَ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص]

هكذا بإيجاز يمكننا القول، إنهم مجهولون حفاء لأن مستشرقينهم ورجال العلم واللاهوتيين، فصلاً عن كتبهم ومناهجهم لا تقول عما الحق ولا تتعامل معاً بصدق وتعمل منذ قرون لتثويبها حتى لا تتبح للعرد الأوروبي حرية المقدرة وحرية القرار في اتحاد الدين الذي يراه مناسباً له.

عوامل التشويه للإسلام في الحضارة الأوروبية.

في العصر الحديث استطاعت المصادات الأوروبية والأمريكية أن تطور عوامل الصور من المسلمين مستعلة رفعة فترة الخلافة العثمانية في كتب تاريخها؛ حيث تناولت تلك الحقبة بأسلوب يوسع العداء والصراع من المسلمين، مازحة بينها وبين عرص معلوظ بالحروب الصليبية، وبين نظرها لاسعمانية التي استنفها من حلال حكمها

(١) أحمد محمد بن الدين، صورة الإسلام في بلاد العرب من خلال المباح الدراسية (جوانب العلوم الشرعية) (الترجم السابق)

واستغلالها لكثير من بلدان المسلمين ومن العجيب أنها تقلب الحقائق بطريقة تحالف أنحاديات العسل فتدافع عن احتلالها ويبدنها في الخرائط وحدها نهاية ملايين مسلم من الخرائطين خلال احتلالها الذي استمر مائة وثلاثين سنة، وتدافع كذلك عن الحروب الصليبية مع أنها المعتدي في المرتين.

ولهم عدها أن يستعمل التبريح والحصار في التنفير من المسلمين؛ ولدت سكر أيادي عبائهم وفلاسفتهم علمها، مع أنها لقرون طويلة كانت عالة عليهم، كما يؤكد غوستاف لوبون وون ديورنت وسيجيريد هونكة وغيرهم وهم يستعملون هذا كله لصنع حواجر نفسية ضد المسلمين، ولا مانع عندهم من الصغير من الدين كله لتجربتهم المؤلمة مع الكنيسة

أما الإعلام فيه الدور الأكبر في بناء هذه الخاخر التي كلف البشرية الكثير من الصراع واهدم دون النوحه إلى الساء واسعير وقد ذكرت الدكورة (إرم كارين) الباحثة في جامعة (أخر) في بحثها حول عرض الإسلام في وسائل الإعلام العربية في المؤتمر الثالث للمجلس الإسلامي في ألمانيا - أن تشويه صورة الإسلام كان سبب عدم استيعاب وسائل الإعلام حقيقة الإسلام والمسلمين، واعتبرت ذلك تجهيلاً متعمداً للرأي العام الألماني، كما أضاف أنها أجرت دراسة في معهد الإعلام النافع للجامعة (أخر) وتوصلت إلى حقيقة أن وسائل الإعلام الألمانية تشوه صورة الإسلام والمسلمين مرة عن جهل ومرة متعمدة^(١)

لقد استطاعت وسائل الإعلام الأوروبية والأمريكية المعرصة أن توجه طاهرة الإرهاب العالمي وعلى رأسه الإرهاب اليهودي ليل من الإسلام وتشويه صورة المسلمين، وهي تحصره في المسلمين تعطينة عن جرائم انصرب في انوسنة والمركسك، وجرائم لصهيوية في فلسطين، وجرائم أمريكي في أفغانستان والعراق وغيرها

(١) انظر صلاح الدين المحمدي، محاولة القياذات الأوروبية ضمن وثائق سدو صورة الإسلام في الغرب المرجع السابق

ولا يريد أن يستطرد في ذكر الأسباب التي عاقت الخطاب الديني والحصاري عن الحوار وحسن كثير من الشرور على الشريعة، وشرب لعنف في معظم دول العلم وعلى رأسها أمريكا وأوروبا وإسرائيل، ولكم ذكرت تقارير منظمة العفو الدولية أن هناك حالات كثيرة بعدم احترام حقوق الإنسان في هذه الدول الثلاث دون أن يسلم عليها لصوء أو توضع تحت المجهر ولتذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر حوادث حرق بيوت اللاجئين السياسيين في ألمانيا، وفتن اللائحة الصهيونية، والاعتداء على الأخصال في بلجيكا، وقتل بعض النشطاء المدبرة في أسبانيا، وإلقاء المواطنين الجزائري في النهر في فرنسا، والاعتداء على سائق التاكسي الأسود في أمريكا^(١)

ويرى (صلاح الدين الجعراوي) أن عدم اعتراف معظم دول أوروبا العربية بالدين الإسلامي وبالأقليات الإسلامية، مع أن الإسلام هو الدين الثاني في أوروبا، يؤكد أنه لا يوجد احترام لمواثيق وفوائد تلك الدول، ولا احترام مبادئ حقوق الإنسان، ولا التزام بميثاق الأمن والتعاون الأوروبي الذي يصر في أحاسيسه على (ضرورة الحفاظ على الهوية الثقافية للأقليات الدينية والعرقية)

* * *

هذه هي بعض ملامح الخطاب الديني الأوروبي، فهو لم يعد خطاباً من الكسسه الممثلة للدين المسيحي وبين علماء الإسلام، بل أصبح بفصل الصهيونية واليمين المتطرف الصهيوني المسيحي ووسائل الإعلام خطاباً دينياً عميقاً يتصل بكثير من شرائح الفكر الأوروبي والمتأثرين به من المتعلمين وأنصاف المتعلمين، وقد كان لتخلف المسمين وجهلهم وعدم تمكنهم من اللغات الأجنبية وجود كثير منهم يد كسره في تحقيق أهمه هذه الصورة المشوهة والظلمة عن الإسلام والمسلمين دون أن يقل من أثر لأهداف الاستعمارية للطرف الآخر، والذي يخشى عودة الإسلام لصحيح عن الساحتين الإسلامية وغير الإسلامية؛ لأنها في رأيه تشكل خطراً عليه وهذا أمر عجيب...!!

(١) صلاح الدين الجعراوي، المرحوم الساب.

لكن أي كان الأمر فإن خطابا دينيا يجب أن يكون واعيا بهذا الواقع، ولا يأس من مواجهته، وأن يشي وسائل التأثير الحصارية الإعلامية والثقافية والاقتصادية التي تقوم، وأحرى - وهذا هو الأهم - ألا يطلق من شعور عدائي يجعله يقاوم لعنف بالعرف واحقد بالحقد، بل يقاوم التزييف بشرح الحقيقة، والإعلام المشوه بالإعلام الصحيح، والصورة السلبية للمسلم بالصورة الإيجابية المناسبة بأحلاق الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم والمجاهدين والصدقات والأصفياء الذين بشروا بالإسلام سلما بأحلافهم في قارات العالم

صحيح أننا نواجه مشكلة عريضة يقف فيها المحرم في موقف العاصي... والقتل في موقف المقتول أو كما يقول جارودي (من العرب سلب وهب وقتل الأحرار طوال خمسة قرون بمهجه مؤسسه نادرة على أصوليه دينيه طبق لأحطر أساطير التزييف الإنساني لشعب المختار وأرض الميعاد، ومملكة المسيح على الأرض التي تشيد على دماء عشرات الملايين من القتلى ونذرة على علمانية ليبرالية طيف للداروينية الشاملة ذات البقاء للأقوى، وأن للأعرق الأعلى حقوقا على الأعراق الأدنى...) (١).

وبحسب نعيم دعوم شومسكي لمفكر اليهودي الأمريكي عن هذا العرو الأوروبي، بعونة كتابه (خمسة قرون ومارال العرو مستمرا) وهو عنوان كتابه يدل دلالة عميقة على ما فيه (ومع ذلك كله، أي مع عرو العرب للشرق لمدة خمسة قرون، ومع أن العرب هو اندي أطلق حقيقة العنف الشرير الأول، فإنه إذ هت شعوب الشرق والإسلام بدافع عن نفسها أصبحت إرهابية حديرة سحقها)

الخطاب الديني ومبدأ الحوار في الإسلام

في الجزء الأول من كتابه العظيم (إحياء علوم الدين) يرد الإمام أبو حامد العربي (ت ٥٠٥هـ) أدت لحدال والمظرة والصوائط المظلمة فيها، متسعا ظهور الخلاصات

(١) روجي جارودي لإرهاب العربي، مكتبة الشروق الدولية، ط ١، ١٤٢٥هـ

المكرمة في الأمة، وهو يرصدها بظهور أمته (علم الاجتهاد في فروع الشريعة)، وعدم الكلام (عدم العقيدة) منذ عصر التابعين وللسلف الصالح، الذين اهتموا بعلوم الفتاوى والأفصية لشدة الحاجة إليها في لولايات والحكومات، مع اتساع الدولة الإسلامية ووراثتها للعالم القديم

ويكشف أبو حامد العراقي ما يدخل في المناظرات من تلبسات إبليس وتغويه أحماده وأعدائه؛ فهو يصحح دعاوى المسلمين والمتوصلين بالجدال والمناظرة إلى التشكيك في الخصائض، ثم يصيغ.

إن التعاون على طلب الحق من الدين، ولكن له شروطاً وعلامات لا تتغير مع اختلاف الزمان ومستجداته^(١).

ولهذا يرى العراقي أن من شروط الجدال

- أن يكون المنظر محتجداً يقول برأيه، ويجتهد في طلب الحق، وأن يفعله بلا تعصب

- ألا يطرأ لأي مسائل واقعة أو محتملة الوقوع عائق

- وأن يكون المناظرة - قدر الاستطاعة - بعيدة عن المحافل، وعن حصره ولالة الأمر؛ لأن ذلك أجمع لضعف وأبعد عن الرباء

- وأن يكون المناظر في طلب الحق كاشد صالته؛ لا يفرق بين أن تظهر الصداقة على يده أو على يد من يعارنه

- وألا يسمع (أي المناظر) محاوره من الانتعان من دليل إلى دليل، ومن إشكال إلى إشكال؛ بل يعطيه الحق الذي يعطيه نفسه^(٢).

(١) المذكورة أمته بضم، حور حصاراً مع أجل الإنسان أصلاً لا صدام، ص ٢٥، العدد (١١٩)

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

(٢) الإمام أبو حامد العراقي - إحياء علوم الدين، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية - دار الكتب العلمية، بدون تاريخ (١/ ٥٦ - ٥٨)

وهكذا تدلنا قواعد فنّ الخدال والمناظرة على أصالة الحوار في حصارنا، بطريقة رقية تحرم العقل الإنساني وتمكنه من تحقيق التعاون والتعرف بين الحصارين؛ بحيث نستطيع لقول إن الحوار باعتباره صورة راقية من صور التفاعل الحصارى، ووسيلة سلمية تؤدي إلى هدف إنساني كريم هو الوصول إلى الحق - في ظل شروط فن الخدال والمناظرة - المناخ الملائم لتحقيق غايته الكريمة، لكنه إذا فقد هذه الشروط أصبح وسيلة لاستمرار الصراع وتكريسه بطرق أقل عذراً

ورداً ذهباً كما يقول الدكتور / عبد الحث منصور إلى بيان موقف الحصارين الأوروبي والإسلامي - من الحوار (أو الخدال والمناظرة)، في ضوء عامل المرجعية أو القيم الحاكمة؛ فسوف نجد أن التوجه الصراعى، وليس الحوار السلمى هو المسيطر على الفكر العربى بما فيه الفكر الدينى (صراع الآلهة)، والفكر الفلسفى (مقولات بئشه وهيجل)، والفكر الاقتصادى (نظرية صراع الطبقات)، و (نهاية التاريخ لصالح الرأسمالية عند هوكس ما)، والفكر الحصارى الصدامى (مقولات برنارد لويس وتلميذه هنتجتون)، والفكر السياسى (نظريات توازن القوى والواقعية الوضعية)، والفكر البولوى (نظرية البناء للأصالح)، والفكر الاحتمالى (مقولات الداروين وأو حست كوت الاحتمالية)، والفكر النفسى (نظرية فرويد) إلى غير ذلك^(١)

ولعل النظرة العابرة في تاريخ الحصار والغلبة الغلبة التوجه الصراعى على الفكر العربى ليست أمراً نظرياً فحسب، وإن هي أمر يؤيده الواقع، وسواء في التاريخ الداحى للمجموعة (الأوروس الأمريكى) (تاريخ الحروب الدية في العرب، والحروب الأهلية داخل دولها، والحرب الباردة بين شقيها الرأسمالى والمركسى و... إلخ)، أو تاريخها الخارجى (توسعات الإمبراطوريتين الرومانية واليونانية، وعروات الإسكندر، والحروب الصليبية ثلاثة قرون، والحربين العالميتين، والحملات الاستعمارية و... إلخ)^(٢).

(١) الدكتور عبد الحث منصور، دور المجموعة الحصارية الإسلامية في حوار الحصار، مومس منصور
الشفاعة للحوار بين الحصارين، اليمن

(٢) د/ عبد الحث منصور، دور المجموعة الحصارية الإسلامية في حوار الحصار.

فإذا نظرنا إلى الحصار الإسلامي في ضوء مرحيتها الفكرية والقيمية، وكذلك المواقف العملية عبر التاريخ؛ فسوف نجد الحوار يمثل ركبا أساسيا وأصيلًا في الشريعة والحصار الإسلامية؛ إذ يوضح ما المراد من الكريمة - وهو أساس المرجعية الإسلامية - أن العلاقة الأساسية الأولى في هذا الوجود، وهي علاقة الخالق بالمخلوقات، قد بدأت وتأسست واستمرت على أساس الحوار وحده.

لقد أسس الله علاقته مع الإنسان واللائكة والجن على مبدأ الحوار، كما تروي لآيات قرآنية كثيرة، مثل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَمْسُحُ بِسُوحٍ وَيَجْهَرُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٦٧﴾﴾ [الأعراف]، والأصل في القوم - وكذا في العرص - كما يعلم هو الحوار^(١).

والقرآن الكريم حافل بالآيات الكثيرة الدالة على الحوار مع المحالين، ونعد الآية القرآنية ﴿هَلْ يَتَذَكَّرُ الْكَاتِبُ تَعَالَوْا إِلَى حِكْمَةٍ مَوْلَاكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] دستورًا للحوار الإسلامي، كما أن الآية القرآنية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] تمثل دستورًا لحرية الاعتقاد الذي يهيئ طبيعته لإكراه ويدعو إلى الحوار والإقناع.

* * *

إن الحوار بين الناس والحصارات والأفراد (هو ما سماه القرآن التعرف) في قوله تعالى ﴿وَحَعَسَكُمْ شُعُورًا وَمَا أَيْلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، هي يقتضيه التعرف من تبادل الخبرات والمعارف، وتحقيق التفاهم والتودد والتعاون. هذا الحوار ضروري من ضرورات الحياة الإنسانية وبقاء الحضارات. وهذا كتاب فترات الإسلام هي الأصل في ساء الحصار واستمرارها؛ أما الحرب هشدود يؤدي إلى دهاق لأرواح وسديد الإمكانات، ومن يفتق عليها قد يسعد الحس لشري كله قرون - كما نرى في حجم

(١) د / عبد الملك منصوره المرجع السابق

الإفق العسكري في العصر الحديث ومن ها يكتسب الحوار أهميته البالغة من كون الوجود لاجتماعي الإنساني لا يتحقق إلا بوجود الآخر المختلف؛ الذي يمكن أن تتعرف عليه، وتبادل معه الخبرات وصور التعاون وبالتالي تستطيعان مع بالانتقاء والحوار إنتاج المعرفة، وتوليد لأفكار الجديدة؛ حتى تصح الدعاء، وتعني المقاهيم؛ لأن الحوار في مسوياته العليا إسم هو نوع من إسام المعرفة الراقية؛ التي تتجاوز مع كافة صروب المعرفة الإنسانية

وبلرام الحوار، وتواصله بين الأطراف لمجتمع؛ تتخلص شقه الخلاف شيئاً فشيئاً، وبعضه تسع قدرات العقل، وتتعمق مدركه، وفي أحواء حوار يسمو العقل، ويقوى بما ينهياً له من تنوع في الفكر، واختلاف في المذهب^١

صور من حوار الرسول لليهود:

لقد حوار الرسول ﷺ اليهود، كما حوار غيرهم، واستمع إليهم وسمح لهم بأن يشرو ما عندهم من معرفة، بل أدن لصحاته بأن يقلوا أحاديثهم التي تطبق أصل دينهم، ولا تعرض ما جاء به الإسلام، وهكذا احتوت كتب الصحاح والس حواراً متنوعاً؛ طرفه لرسول ﷺ وبعض المسلمين من جهة وأحبار اليهود أو عامتهم من جهة أخرى.

ولمتع هذا الحوار يلاحظ أنه ينقسم إلى الأنواع الآتية:

- أ - الحوار الخليلي ويرر في القضايا المتعلقة بالعقيدة والتي أثارها اليهود
- ب - الحوار الشرعي. وتظهر فيه القضايا التي كانت أصلاً لحكم شرعي.
- ج - الحوار الاجتماعي وهو الذي يهتم بعض العلاقات الاجتماعية التي كانت قائمة بين المسلمين ولهود^٢

(١) محمد زيمان، ثقافة الحوار ودورها في التأسيس لتواصل بين الأنا والآخر، مجلة الإسلام والمسلمون في

القرن الحادي والعشرين، عمان، إردن، لاردن، جامعة البرمرك، نوفمبر ٢٠٠٤ م.

(٢) الدكتور محسن بن محمد بن عبد المظفر، حوار الرسول ﷺ مع اليهود، ص ١٥، لطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ.

١٩٩٢ م، دار دعوة، الكويت

د - الحوار المصيري: وهو الحوار السياسي.

وفي الصفحات التالية نقدم بعض السداج حوارات الرسول ﷺ واسمهم مع اليهود في المجالات الخذللة (الفكرية) والتشريعية، والاجتماعية، وهي المجالات الالصبق بموضوعها

* * *

عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: «سأ أن أمشي مع النبي ﷺ في طرف المسية وهو سوكاً على عسيب معه، فمر مر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وفك بعضهم: لا تسألوه؛ لا يجيء شيء، نكرهونه

فقال بعضهم لسأله: فقم رحل منهم فقال: يا أنا انقاسم، ما الروح؟ فسكت، فقلت إنه يوحى إليه، فقامت فلما انجل عنه قال

﴿وَتَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ لِرُوحٍ مِّنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ أَعْيُنٍ وَلَا قَلِيلًا﴾

[الإساءة]

وقد أجبهم الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرْسُلْتُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ أَعْيُنٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾. فقالوا له: من جاءك بهذا؟

فقال لهم النبي ﷺ: «جاءني به جبريل من عند الله»

فقالوا: والله ما قلنا إلا عدولنا.

وعن ابن عمر ؓ قال: «أتى رسول الله ﷺ يهودي ويهودية قد أحدثا حياء

فقال لهم ما يحبون في كتابكم؟ قالوا: إن أحببنا أحدثوا بحمم الوحة والتحيه.

قال عبد الله بن سلام: ادعهم يا رسول الله ناسورا، فأني ما فوضع أحدهم يده

على آية الرجم، وجعل يقرأ ما قبها، وما بعدها.

فقال ابن سلام أرفع يدك، فإن ناية الرجم تحت يده، فأمر بها رسول الله ﷺ

فخرجوا.

وعن أسس عليه السلام قال: دلع عبد الله من سلام مدمم النبي صلى الله عليه وآله المدينة فأتاه فقال: يا سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي؟

قال: ما أول أسراط الساعة؟

وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟

ومن أي شيء يسرع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء يسرع إلى أخيه؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحرفي بهذا آتياً جبريل

قال: قل عبد الله: ذلك عدو اليهود من الملائكة

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما أول أسراط الساعة. فإنا نحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فربادة كبد الخوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا عشي المرأة فسفها ماؤه كان أشبه له، وإذا سقى ماؤها كان أشبه لها

قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله: إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قل أن تسأهم يهودي عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أي رجل هيكم عبد الله من سلام؟ قالوا: أعلمنا وإن أعلمنا، أحربنا وإن أحربنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاده الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فهدوا أشرباً وابن أشرباً، ووقعوا فيه، [البخاري]

حوار المسلمين لليهود والتجاور عن التجارب الأليمة:

بعداً عن اشعر الشخصية الأليمة التي عانى منها المسلمون في المدينة من اليهود: بعد أن عقد محمد رسول الله صلى الله عليه وآله معهم معاهدة المواطنة الكاملة (الصحيحه الدستور)؛ فبدأ بهم يحاولون - مرة - الاعتداء على عرض امرأة مسلمة في أسواقهم (٢هـ)، ومرة أخرى بتعمدون على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله (٤هـ)، ومرة ثالثة يهدمون على حائنه جماعه عظمى لمواطنيهم المسلمين، وهم في محبة حرب الخندق (سوقريظة سنة ٥هـ)

بعداً عن كل هذه الحوادث، وعن (الحرب التأمرية) الردة الدائمة المتأردة مع

مشركي الجزيرة)، ونحالتها الدستور المدينة

بعداً عن كل ذلك؛ بمنح المسلمون لليهود صفحة جديدة بسلام، حتى لا يظن
المستقبل يرفع ثمن أخطاء الماضي

* * *

كتب الأمة لإسلامية قد نحب من الإعادة بأعجوبة وقب حصار لمشركي
للمدينة في عروه الخسوف؛ في السنة الخامسة للهجرة؛ وقد أوكلت بو قريظة (اليهود) أن
يدمروا المدينة؛ بعد حينهم بلاستور الذي يدرهمهم - كمواطنين - بحماية المدينة مع
المسلمين.

و أن محمدًا أطلق سراحهم لعلوا على زيادة معارضة اليهود في حبر، ولنظموا
محمودًا آخر ضد المدينة؛ حيث لم يكن هناك صبيان لأن يحالف الحبط المسلمين مرة
أخرى، كما أن المعركة الدموية من أجل البقاء كانت مستمرة إلى ما لا نهاية، ونستمر
معها المعبدة والموت، ولا بد أن أحكم الإعدام ضد الخيانة العظمى لليهود بني فوطه؛
قد تركت أثرها المظلم في نفوس أعداء الإسلام " كما أنه لا يبدو أن أحدًا قد
صدمته المدحة (لأنها عذب بكل القوانين)؛ بل لإصافه إلى أن القرطيين أنفسهم كانوا قد
ارتقوا حميتها؛ فهم يعرفون معنى الجريمة التي ارتكبوها

ومع ذلك؛ عمر الأهلية سكان - كما تقول كاترس أرمسترونج - أن سجل هنا أن
نلك البداية الأسارية م تؤثر بصفة دائمة في موقف المسلمين من اليهود؛ فمجرد أن
أقام المسلمون لهم الطوريتهم العائنه الخاصه، وطوروه مطلقًا متقدمًا في شريعتهم؛
أسسوا نظام تسامح؛ ظل يسود الأجزاء المتمدية في الشرق العربي لمدة طويلة؛ حيث
تعايشت مجموعات دينية في ظله جنبًا إلى جنب

وب المعاداة لسلامية حظيئة مسيحية عربية، وليست حظيئة إسلامية، ويجب أن
يكون ذلك حاصر في أذهاب؛ كي لا نحصل لإجراء التعميمات

() من ربيع كارين محمد، ط ١٩٨٨ م مسطور، مصر، ص ٣٠٨

عني ظل الإمراطورية الإسلامية تجمع اليهود - مشهم مثل المسيحيين - بحرية دينة كاملة، وعاش اليهود في السلطة في سلام؛ حتى إعلان دولة إسرائيل في سنة ١٩٤٨ م ولم يعاب اليهود في ظل الإسلام قط ما عابوه في ظل المسيحية!^(١)

أما الأساطير لأوربية المعادية للسامية فقد قدمت إلى الشرق العربي في نهاية القرن الماضي على يد العشرات لتثيرة المسيحية، وكانت أخطاير عادة ما تقاسمها بالارضاء.^(٢)

ومن الحدير بالذكر هنا أن نقول: إن تعاصي المسلمين عن إساءات اليهود السالعة لهم عبر التاريخ، وتعاصيهم عن حانتهم للدسور الذي وضعه رسول الإسلام، وأعطاهم فيه حق المواطنة الكاملة في المدينة المنورة (وطبهم)، ومع ذلك حانوا الدستور والوطن في محنة شديدة؛ كد المسلمون - لولا رعاية الله يبادون فيها

إن هذا التعاصي من المسلمين عن صفحات حياة اليهود الكثرة ضدهم يؤكد أن المسلمين ينظرون إلى الحرب على أنها أمر استثنائي بخص، وأنه لا سعي على المسلمين أن يدعوا بالعدوان؛ لأن الحرب العادلة هي التي تنشئ للدفع عن النفس فقط، ومع ذلك هم في دحلوا الحرب وحب عبيهم أن يقتلوا بالترام أخلاقي مضمون، لكي ينتهي القتال في أسرع وقت ممكن - كما نقول كترين أرمسترونج - وإذا اقترح العدو هدنة أو أمدى استعدادا يسلم، فإن المرأ أن يأمر المسلمين ألا تكون شروط سلام غير أخلاقية أو محربة؛ لكن القراء يؤكد أيضا على أن إساءة الصراع الحربي أمر مفدس، على أن تتم مواجهة العدو بحرم، وأنه يجب تحاشي أي تردد؛ لأن ذلك يعمي أن يستمر الصراع لأجل غير مسمى

إن هدف أي حرب في الإسلام هو إحلال السلام والوفاق في أسرع وقت^(٣)

(١) رمسروميج كاترين محمد ص ٣٠٩

(٢) مرجع السابق، ص ٣١٠

الحوار بين الإسلام، والمسيحية في المرحلة المبكرة:

منذ بداية ظهور الإسلام سنة ٦١٠ م (١٣ ق هـ) وهو يتعرض لحشد الخافدين من أصحاب الوثنيات الوصعبة والديانات الكثانة السابقة وقد يكون هذا الأسلوب مقولاً في حدود معينة، فليس من الهل ترك الإنسان لدينه وعاداته وتقاليده مهما كان مطلقاً واصحاً، بيد أن الأمر يصحح غير مقبول جملة وتفصيلاً حين يتعرف الإنسان على حقائق لدين الحديد ويرى سموها وتصويبها لما خلق الأديان لسابقة من تشويهات لا تليق بالدين ولا بالعقل كما يرى في الساحة الحياتية - تسامحاً وتكريماً، بن وتعود على شئون الحياة من أصحاب الدين الحديد ومع هذا كله يأبى الإنسان إلا تشويه الدين الحديد وتسميه أصحابه والافتتات عليه؛ مستغلاً تسامحهم وصبرهم والفرصة الذهبية التي أحاروها هم ليعمل معهم في أعلى المستويات الوظيفية، محاورين عن ساءته التي لا يعرفون إلا القليل منها، يسبب بعمد هو إلى إهداء الكتب بحمى فيه إليهم ١١

والحق أن هذه هي قصة يوحنا الدمشقي (٥٠-١٢٣ هـ، ٦٧٠-٧٥٠ م) مع الإسلام، مع الكرم الكبير الذي أسبغ عليه حلفاء بني أمية، وهم يعمدون أنه - وأباه من قبله - يتعصبون للأرثوذكسية

- لقد عمد يوحنا الدمشقي إلى كتابة كتابين يشير فيهما إلى الإسلام على مستوى التاريخ والعقيدة والقرآن والأحلاق والممارسات

- ولقد انتهج منهجاً مبتوراً متعسفاً في كتابته عن الإسلام؛ وبذلك لم يدحل في منهجه، وهو يدرس الإسلام، مسائل جدلية حول ما إذا كان محبي محمد قد ورد في نوايا أنبياء تقدموا عليه، أو ما إذا كان قد أتى بمعجرات تفوق مثيلاتها لدى عيسى وموسى بعداً وأهمه، أو ما إذا كان الأسلوب البلاغي في القرآن دسلاً على سوء الرسول ﷺ

بل من المؤسف أن يقول إن يوحنا رفض التعرف الموضوعي على الإسلام، وإن المسيحية الأرثوذكسية هي التي استقطبت وحدها جل اهتمام يوحنا الدمشقي، فهو

يدرس الإسلام - ابتداءً - لتفصيل الأرثوذكسية عليه، ونشويته وبصيده حقائقه، وهو تحيّر (غير علمي)، ومن أكبر أدلة تعمد يوحنا الدمشقي نشوب الإسلام ما اعترف به دانييل ساهاس من أن يوحنا كان يحاول التشكيك في كون الإسلام دين إبراهيم الخفيف من خلال وصفه المسلمين، على نحو لا يحلو من الخبث

ويسدو أن يوحنا الدمشقي هو أول كاتب يبرنطسي استخدم هذا لتشيويه (الأشمويوشي) كما يقول ساهاس - لأغراض الحد من العنف وتخصير الذاكرة أي لمجرد الشغب الجدلي الباطل

كذلك فإنه يصف المسلمين بـ (المفسدين)؛ وهي التسمية التي درج اليونانيون على إطلاقها على المسلمين، لرمعهم عن الله كمنته وروحه، ردًا على تهمة الشرك التي يوجهها المسلمون إلى المسيحيين بسبب عقيدة التثليث

ومن حشّه وفساد مهجه أيضًا (وهو الذي يعيش مع المسلمين) أنه يصور الرسول ﷺ واحدًا من أنواع عبدة أديان، لا يعرف من لعهدين، القديم والحديد، إلا ما صحت قيمته^(١)، ومن المعروف أن الرسول محمد ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، يقول فيه كتاب الله القرآن ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحِطُّ بِسَبِيلِكَ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُتَجَنُّوْنَ ﴾ (١٨) [المكوب] فمن أين للنبي محمد ﷺ العلم بالعهد القديم وهو أمي من أهل مكة لتي لا يعيش فيها اليهود، وابن هو تأثير العهد القديم - أو الحديد - في القرآن الكريم، مع أن القرآن يرفض معظم ما يقويه العهدان القديم والحديد عن الله وعن عيسى والأبياء جميعًا، ويدافع عن (الوحيد) و(عصمة الأنساء) و(نصرية عيسى وبنوته)!!

وأيًا كان أمر المهج العاسد الذي استعمله بعض شديد (كما يقول ساهاس) يوحنا الدمشقي، فإنه قام بإيجاد مباح جدلي صاحب مع المسلمين كما أن عصري الإنارة والحدّ اللذين استخدمهم الدمشقي في مناقشاته العقيدية، ومراسه الفلسفي في

(١) دانييل ساهاس مجلة لاجتهاد بيروت، عدد ٢٨، ص ١٢٦ بتصرف.

تطوع مقولات الفلمسة اليربانية والمنطوق، شككت- كما بقول ساهاس- "مور" كان من نبيحتها أن سترعب انشاء المسلمين، وشدت اهلهم مهم إلى ما يتجاوز المصميين الفكرية (يمصد الباطلة) موضوع المناقشة^(١)

كما أن بوحد الدمشقي، لدي عشر في فترة متقدمة خلال العصر الأموي، كان واحداً من الذين أهتموا لمسلمين دراسة الإسلام، لأعراض ذابة على وجه لتحديد، باستخدام بهدح وإحارات مستفافة من حصاره أخرى، (وهو يعامل حصاري مقبول)^(٢)

* * *

وهكذا وعصر تطورات وتقنيات ومحاولات، ووجود مساحات فكرية وعقدية ينتهي فيها لإسلام مع أرثوذكسية بوحد الدمشقي - عميد الدمشقي إلى توطيها توطف حصارياً، ومخدم به مباشرة عقدة الأرثوذكسية، لكنه في النهاية مخدم قصة الحوار والجدل الذي لمكر في تلك المرحلة الأولى الخطيرة التي التقى فيها اسظم الإسلامي (العقدي والفكري) بالمنظومة المسيحية. -

* * *

عندما قدم جيش سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) من العراق بعد الفادسية، وسقوط دولة عرس، أراد بعض الصحابة أن تقسم الأرض بين فيها على المسلمين، لكن عمر رفض ذلك وقال: والله لن يُفتح عدي بلد فيكون فيه كبير بيل، بل عسى أن يكون عشا على المسلمين، وإد قسم الأرض فما يُسد به الثغور؟ وما يكون للذرّة والأرامل هذه البلد ويعبره من أهل العراق والشام؟

فاكثروا على عمر في تقسيم الأرض ومن فيها، فكان عمر لا يريد على أن يقول: هذا رأيي فإلوا له فاستثّر، فامتشار عمر انهم حريص الأوبين فاحتلفوا، وكان عثمان وعليّ وطلحة على رأي عمر

(١) عدة الاجتهاد مرجع سابق ص ١٣٢-١٣٣ بتصرف

(٢) دانييل ساهاس الاجتهاد ٢٨، ص ١٣٤ بتصرف.

ثم أرسل عمر إلى عشرة من الأنصار، خمسة من الأوس، وخمسة من الخزرج من كثرانهم وأشرفهم، فلما اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وقال

إني لم أدعكم إلا لأن تشركو في أماتي فيما حلت من أمركم، هني واحد كأحدكم، ونم اليوم تقرون بالحق، حائضي من حائضي، ووافقي من وافقي، وسب أريد أن تسعوا الذي هو هواي، معكم من الله كتاب يظن باخو، هو الله لنز كت نطقت بأمر أريده ما أردت به إلا الحق

قابوا. بل تسمع يا أمير المؤمنين

قال قد سمعتم كلام هؤلاء لقوم الدين يرعوب أي أظلمهم حضرة قهم، وإني أعود بالله أن أركب طلي، ولقد عثما الله لهرس وأرضهم وغلجهم، فسمت ما عمووا من مال أو متاع ير أهله، وأحرجت الخمس فوجهته على وجهه وقد رأيت أن أحسن الأرض بعلوجها، يرعوبها ويؤدون الخراج عليها فيكون فينا المسلمون، للمقاتلة والدرية ولم يبق بعدهم. ثم قال عمر: أرأيتم هذه المدن العظم (لشام وخريره والكوفة والبصرة ومصر) لاسد هامن أن تشجر بالحيوش، وإدرار العطاء عنهم، فمن أين تُعطى هؤلاء إذا عمت الأرضين وعلوج؟

فقالوا جميعا: الرأي رأيك، فنعهم ما قلت وما رأيت.

فقل عمر قد بان لي الأمر، واتخذ قراره بترك الأرض لأصحابها يرعوبها ويؤدون الخراج عليها فكان ذلك حيزا للمسلمين ولغير المسلمين، بسب الشورى والخوار بين الحكيم والمحكومين للمصلحة العليا

* * *

وعندما قدم عمر بن الخطاب إلى الشام وكان يركب على بعلة فتلقاه معاوية في موكب نبيل، فأعرض عنه عمر؛ فجعل يمشي إلى جسده راجلاً، فقل له عند الرحمن من عوف أتعت الرجل فأقبل عليه.

قال عمر يا معاوية. أنت صاحب الموكب مع ما يلعي من رقيب ذوي الخدب سالك

قال نعم يا أمير المؤمنين.

قال ولم ذلك؟

قال لأن في بلاد لا تمنع من أخواسيس، ولا بد لهم ما يروغهم من هيبه اسلطان؛
فإن ألزمتني بذلك أقمت عليه، وإن هبتني عنه انتهيت
قال عمر: إن كان الذي قلت حقاً فإنه رأي أريب، وإن كان باطلاً فإنها حدة
أديب، لا أمرك ولا أنهاك^(١)

* * *

وقام رجل إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك فقال: إني مكلمتُك يا أمير المؤمنين
بكلام فيه بعض الملطة فاحتمته إن كرهته، وإن ورائه ما تحبُّه إن قبلته
قال هاب يا أعرابي قال هب سأتلق بسبي به حرستُ عنه لألس من عظمتك،
تأدية لحق الله وحق إمامته

إنه قد اكتنفتك (أحاط بك) رجال أساءوا لاحتبار لأنفسهم، فاتبعوا ذبيك
بديهم، ورضاك بسخط رثهم، حافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فهم خرت (معدون)
لأحره سلم بلدك، فلا تأمنهم على ما اتهمت الله عليه، فبابهم لس يألوا (يقصرو)
الأمانة نصيباً، والأمة عنفاً وحسب (ظلم وإدلالاً) وليسوا مسئولين عما حترخت،
فلا تُصلح بديهم بفساد أحرثك، وإن أعظم الناس عنفاً من باع أحرته بدياً غيره^(٢)

* * *

أما الخليفة الراشد (عمر بن عبد العزيز) عليه السلام فالإجماع يكاد يتفق على أن الركيزة
الأولى لسياسته الداخلية والخارجية تقوم على أسلوب المراسلات والحوار مع الفرق
المعارضة في الداخل، والهيوى المخدجيه، فقد نهج طرق الحوار مع فرق المعارضه مثل

(١) المرجع السابق، ١١٩، ١٢٠

(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو يعلى ورجال ثقات (٢٣٦/٥).

الخوارج والتفدية، وغيرهم، على أساس أن هذا الحوار هو الوسيلة الإسلامية الأولى
للتعامل مع المخالفين.

وما هو معروف من تاريخه أنه وجه رسائل إلى حكام السند والهند ومزركهم،
حثهم فيها على اعتناق الإسلام، وأنه بإمكانهم إذا ما فعلوا ذلك الاحتفاظ بسننهم
وممتلكاتهم، وقد تحوّل بعضهم إلى الإسلام عندما سمعوا بدين عمر، وقد أرسل عاهل
الثالث في أحد رسائله جوابية يطلب فيها من عمر أن يرسل له فقيه لكي يتعلم مبادئ
الإسلام

وثمة مراسلات دارت بين عمر بن عبد العزيز والعاهل البيزنطي لسو الثالث
تطوي على اجدال الذي يدور بين المسيحية والإسلام

ويطعن المسعودي على سفارة أرسلها عمر إلى (ليو الثالث)، وكانت مهمة هذه
السفارة التي تجهل الأشخاص الذين شاركوا فيها غير واضحة، غير أنها كانت (في أمر
من مصالح المسلمين وحق يدعوهم إليه)

وثمة رواية أخرى لابن عسكراً، أحد المؤرخين المتأخرين، والذي يهتم بالروايات
الشامية، تطعن هذه المرة على سفارة أرسلها (ليو الثالث) لعمر

وعلى الرغم من الصعوبات التي تكثف عملية الحصول على النصوص التي كانت
موضوع هذه المراسلات، فقد أمكن حصر أربعة أنواع من نصوص المراسلات، منها
النصوص ذات الأصل الأرمي والتي ترجمت ضمن كتاب (Ghevond) إلى اللغة
الفرنسية و قام Arthur Jeffery بدراستها ونزحتها إلى الإنجليزية

وفي هذه النصوص وجه عمر بن عبد العزيز إلى (ليو الثالث) عددًا من التساؤلات
ولاستفسارات حول المسيحية ومبادئها، في حين نجد أن رسالة ليو الثالث تصم
الجواب والتصير^(١).

وهذه النصوص جميعها، تعطي - بدون أدنى شك - صورة للجدال العقائدي

(١) عمر الدين جيسوس، سياسة عمر بن عبد العزيز الخارجية وموقفه منها، أصل لدنة، مجلة لاجهد،
بيروت، العدد ٢٧، ص ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١

وللاهوتي بين المسيحية والإسلام، والأغلب على الظن - وهذا ما تشر إليه نتائج دراسة توارخ كتابة هذه النصوص - أنها كتبت في فترة تدوين المعارف التاريخية في العلم الإسلامي، من في أوج عملية التدوين والبرهنة، لكنها على أي حال نوع من ائحدان والحوار يدل على منهجية ائحوار في ائحصارة الإسلامية، كما يدل على وجود ائحوار بين أصحاب القرار السياسي في ائحصارتين الإسلامية والمسيحية^(١)

* * *

وفي داخل الدعوة الإسلامية عرف عمر بن عبد العزيز رحمته الله بأسدونه المنعير في حل المشكلات من خلال ائحوار . فقد كتب رحمته الله إلى ائحوارح:

(من عند الله عمر بن عبد العزيز أمر المؤمنين إلى هذه العصاة، أما بعد

أوصيكم بنهي الله، فإنه ﷻ وَمَنْ يَنْفِ اللَّهَ يَحْمِلْ لَهُ عَرْجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ [الطلاق] أما بعد . فقد بلغني كتابكم والذي كسم فيه إلى يحيى بن يحيى، وسليمان بن داود، وقدموا صاحبكم والذي أتى إليهم، وإن الله تبارك وتعالى يقول ﷻ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْقِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣﴾ [الأعداء]، وقال ﷻ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ بِالْقِيَمَةِ أَحْسَنُ مِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّى عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالشَّاهِدِينَ ﴿٤﴾ [الحجاء] وقال . ﷻ فَلَا تَهْجُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَسَدُ الْأَعْلَانِ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَزَ أَعْمَلَكُمْ ﴿٥﴾ [عبد]

وفي ادعواكم إلى الله، وإلى الإسلام، وإقامة الصلاة، وبيت، الركعة، ولأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأدعواكم أن تدعوا ما كانت تهاق عليه الدماء قبل يومكم هذا في غير قوة ولا تشجيع، وأذكركم بالله أن تُشْهِو عليا كتاب الله وستة نبيه وبعض يدعواكم إليهما، هذه نصيحة ما يصحب لكم

(١) عمر الدين جوسس، عمله الاجتهاد، بيروت، العدد ٢٨، ص ٣٣

فيها، فإن تقلدها فذلك نعت، وإن تردوها على من جاء بها فمدين ما استمش
 الصحون، ثم لم ير ذلك وضع شيئاً من حق الله، وقد قال العد الصالح لقومه: ﴿وَأِنْ
 قَوْلُوا فَإِنَّ أَحَافَ عَلَيْكُمْ صَدَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود ٣٠]، وقال عز وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو
 إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسِعْهُ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف ١٠٨].

* * *

حوار بين الخليفة المأمون ونصراني مرتد:

وقال الخليفة المأمون لمرتد إلى النصرانية: خترنا عن شيء الذي أوحشتك من دينك
 بعد أسك به، واستيحشتك ما كنت عليه؟

قال المرتد: أوحشتي ما رأيت من كثرة الاختلاف فيكم

قال المأمون: ما اختلاف. أحدهم كالإختلاف في الأدب، والتكبير في الجنائز،
 ورجوه القراءات، ووجوه الفتيا، وهذا ليس باختلاف، إنما هو تحير وسعة وتخفيف،
 فمن أدب مثي وأقدم مثي لم يخطيء من أدب مثي وأقام هرذي، ولا يتعابرون بذلك ولا
 يتعابرون

والإختلاف الآخر: كبحو اختلاف في تأويل الآية من كتابها، وتأويل الحديث مع
 اجتماعنا على أصل التنزيل، واتفاقنا على عين الخبر.

فإن كان الذي أوحشتك هذا حتى أنكزت، فقد سعي أن يكون البسط بجميع
 التوراة والإنجيل متفقاً على تربيته، ولا يكون بين جميع اليهود والنصارى اختلاف في
 شيء من التأويلات، ويسمي لك ألا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل المظاه،
 وبو شاء الله أن تُرسل كتبه، ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لا يحتاج إلى تفسير لمعل

قال المرتد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن المسيح عبد الله، وأن محمداً (رسول الله)
 صادق، وأنت أمير المؤمنين حقاً

* * *

حوار إسلامي مسيحي في بلاط السلطان العثماني؛

ومما يذكره المؤرخون أن مطران سالونيكت، (جيورجيوس بالاماس)، كان سليل عائلة نبيلة، نشأ في بلاط القسطنطينية إلى جانب أندرونيكوس (Andronikos) الثالث؛ الذي قُبضَ به أن يصحح إمبراطوراً بعد ذلك، وكان إصاغةً إلى ذلك - واحداً من أئمة اللاهوتيين البيزنطيين، ورعيي لحركة هسيكست (Hesychast) التي اعتمدتها الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية عقيدة رسمية لها^(١).

وبينما كانت جحافل السلطان العثماني (أورخان) تحتل كاليفوليس (Kalipolis)، أُلقيَ الحجرة الأثرية القصص على بالاماس، وهو يسبح من جزيرة نيبيلوس (Tenecos) إلى القسطنطينية، واقتل إلى سبيل (Bithynia)، وقد مددت إقامته هناك بعد أن تبين للأتراك الهوية المميزة لسجنائهم.

وقد تهاهب بلاغة المطران بالاماس إلى السلطان (أورخان) الذي نادر إلى عقد ندوة عامة في بيقية (Nicaea) حيث دعا عدداً من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام لتمثيل الحجاب الإسلامي في هذا اللقاء^(٢).

وبدا أن المناقشة ستجرى بلهوانة، وهي اللغة التي كان يجدها يهود بيضاء، ويُرجح أن عدداً من المترجمين قد توعدوا إلى الندوة لمساعدة الأتراك على التفاهة وفائع المساجلة.

وقد تناولت المناقشات مسائل جوهرية منها موسى والأنبياء، والبعث وصعود المسيح، وإحجام مسيحيين عن الاعتراف برسالة النبي محمد ﷺ، والختان، وبدأ في تلك الندوة أن المسلمين كانوا معتطين بما سمعوا، وقد حيوا (بالاماس) باحترام كبير قبل أن تحتتم المناقشات، وهذا يدل على احترامهم للحوار فهي تكن آراءهم في الموضوعات، وفي المقابل أودم أحد اليهود عن اعتنقوا الإسلام عن إهانة المطران وصره، غير أنه اعتقل فوراً وجيء به إلى السلطان لتأديبه!

(١) بليراميتش، أرخانبار، مجلة الاجتهاد، بيروت، العدد ٢٨، ص ١٤٠-١٤١

(٢) مجلة الاجتهاد، المراجع السادس ص ٤٢-٤٣

وقد كانت مناقشات (اللاماس) اللاهوتية مع المسلمين معروفة تماماً لدى معاصريه؛ وفقاً لدلائل تشير إلى ذلك في كتابات كل من بطريق القسطنطينية فيلاريتوس (Philothéos)، وعالم آخر يدعى ميكوفوروس غريغوراس^(١).

وقد كان (غريغوراس) ماثلاً بعيداً لعقيدة الـ (هسيكاست) وبالتالي حصياً لللاماس لا سبيل إلى تمحيصه، وبناءً عليه فقد جاءت روايته التي ضمنها معلومات حول إقامة المطران في بيشيب واصحة المقاصد، العرص منها الإساءة إليه وإدلاله وعلى الرغم من ذكر (غريغوراس) لوقائع الندوة الدينية العامة التي نظمها أورحان، فإنه يشير إلى أن هذه المسجلة لم يُقصد منها سوى إبراز (القطعة الحديدية) ممثلة في حركة (الهسيكاست)؛ وهكذا جاء الانتعاش لكتابة بالاماس ولعقيدته من غير المسلمين^(٢).

وفي إحدى الليالي اسرودة سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م، وبينما كان السلطان العثماني بايزيد جالساً في أنقرة بالقرب من المدفأة بصحبة أسد عراقي به مشهود له بالعص وولديه الاثنين، أثرت مناقشة حول بعض المسائل الدينية، ثم استؤنفت المناقشة في وقت مبكر من صباح اليوم التالي. وفي هذه المناقشات الدينية كان منوئل الثاني بالولوغوس لأمير طور البرطقي صفاً على السلطان بايزيد ومشاركاً فيها، واستمرت على هذا الموال حوالي عشرين يوماً متتالية. وقد استعين بلعب من المترجمين يتقون العربية والعربية التبر كان يتحدث بها بعض المستدين، وكان مستمدون في تلك الحصة يتدخلون بطرح أسئلتهم؟ وأحياناً كثيرة كان السحار يتطور فيصمي على الحاصرين مناجاة حيوية.

ومهما يكن لأمر فقد عطف هذه المناقشات موضوعات معترفاً بها حول اللاهوت، والتصور الإسلامي للجنة، وطبيعة أسات، والحيوانات والكائنات الشرية، والرسول ﷺ وعقائده، والأسياء، وموسى، والروح القدس، وطبيعة الإيمان، والتصورات الإسلامية حيالثالوث المقدس أو الشرك، إلى غير ذلك من موضوعات أخرى أثرت في أجواء من المودة والصداقة.

(١) السابق، ص ١٤٤

(٢) بليربيت أ رناريد، مجلة الاجتهاد، ص ١٤٥

وفي الوقت نفسه تقدمت هذه الهادج صورة إشباع الأخلاقي، والحوار لدى
الإسلامي البرطقي من قبل مستويات رفيعة دينياً ومياسياً^(١)

* * *

الحوار والمناظرة في الأندلس:

وفي الأندلس شهدت قصور الأمويين، والعمريين (١٣٨ ٤٢٢ هـ/ ٧٥٥
١٠٣٠ م)، وملوك الطوائف (٤٢٢-٤٧٩ هـ/ ١٠٣٠-١٠٨٦ م) ألواناً من المحاورات
والمساحلات قامت بين شعراء وأدباء كابن العريص، وابن شهيد، والبريدي،
والمسطلي، والطبي، وأبي العلاء صاعد، وقد صارت قصصها وروايتها مادة طيبة
لحركة الفكر في الأندلس^(٢)

وكانت هناك مساجلات أخرى هدفها الانتصار لم رأي، ومقرعة الخصوم سوء
من خارج الدين الإسلامي أو من داخله، من أصحاب المذاهب الفقهية والكلامية
الأخرى ومساجلات أبي محمد بن حزم، وأبي الوليد الناحي من أشهر المساحلات
التي تعكس هذا النوع من المبادرة الفكرية التي تعهد بها المجالس وتخصرها المثقفون من
مؤيدين ومعارضين

ولم يكن محال هذه المناظرات التفاضل والكسب فقط، كما أنها لم تكن لمجرد
التسلية، وإنما كانت أسلوباً من أساليب امتحان القدرة الفكرية والفنية والطريف من
أخبار هذه الامتحانات هي تلك التي يقوم بها النعماء بعضهم لبعض في المجالس
العديدة، ويترك الأمر لسانح هذه الامتحانات لمخ الإلقاء العلمية، وقد كان لبعض
المناظرات أثر عظيم في تقرير مصير العلماء^(٣)

(١) السابق، ص ١٤٦-١٤٧ بتصرف.

(٢) د/ طه الخاوري، من حرم صورة أندلس، طبع ونشر دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٥٣

(٣) د/ وديعة طه لعجم، مقال العلاقات بين النعماء، مجلة عالم الفكر، عدد ١، محمد إيريس سنة ٩٧، ص ٢٥٢، ٢٥٧

وشأن هذه الماطرات في الحياة العلمية القرطية ولأندسية عامة شأنها شأن الرسائل العلمية في عصرنا، بل لقد كانت أبعاداً أثراً؛ لأنها شملت دوي المكنة والمرس في العلم، ولم يسلم منها كبار الشيوخ^(١).

وكانت هذه الماطرات تقوم على أسس علمية رصينة، في أغلب الاحيان، يؤكد هذا ما قبل من أن متكلمي اجتماعهم فقال أحدهما هل لك في الماطرة؟ قال على شرائط ألا تعصب، ولا تعجب ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تقس عن عيري وأن أكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلاً، ولا تجور نفسك تأويل آية إلا جورت لي تأويل مثلها، وعلى أن تؤثر التصديق، وتقاد لسعارف، وعلى أن كلاً منا يبني ماطرته على أن الحق ضالته، والرشد غايته^(٢).

الحوار الحضاري والديني في الحروب الصليبية.

لم تكن الحروب الصليبية - كما هو المتوقع - حرباً كلها، على امتداد كل الأمام أو الشهورة؛ بل كانت تتخللها فترات سيم كثيرة، تملأها ضرورة الحياة والطبيعة الإنسانية، لحرب استمرت زهاء قرنين من الزمان.

وفي ضوء هذا لا يبدو من المستغرب أن تردهر العلاقات التجارية وثقافية بين الصليبيين لذين احتلوا الرها، وأنطاكية، وحرابلس، وبيت المقدس، واستوصوها، وبين المسلمين في هذه الأيام التي يتقاتل الناس فيها حياً، ويتبادلون لتجارة والثقافة حياً آخر؛ في عمله حوارية من أطراف العلاقات الخدسة في التاريخ.

وبدا كان (النار) الدين دمروا بغداد، وقصوا على الخلافة العباسية في العراق، قد خرجوا - وهم المنتصرون - مسلمين؛ بعد أن عمدوا - بفطوره غير مركبة - إلى التعرف الموضوعي على الإسلام. فإن لأوروبيين الذين يحملون تراثاً مركباً، وفطرة دنيوية مصلحية بحتة (براهماترم) قد خرجوا - وهم المنتصرون أولاً والمهمومون أخيراً -

(١) المق

(٢) د، وديحة طه النجم، العلاقات بين العباد، ص ٢٥٨، وانظر د، أحمد شبي، تاريخ القرية الإسلامية، القاهرة، دار النهضة المصرية، ص ٨٥

بإدراك حقيقة الإسلام؛ مع اتحاد قرارهم بعدم الاقترب الموضوعي منه، والعمد إلى تشويهه، والاكتفاء بنقل علومه وثقافته العامة، ومنه، وبواحي تقدمه؛ وذلك حشية على أوروب من الإسلام. - ورادوا انطى بلة فكونوا كذائب من المستشرقين ثم المسعريين بلحفظ على الشبهة؛ ولذلك فقد ظل الجهل والسحر قرون يحيطان بمعرفة مبرطة والعرب للإسلام وللعالء الإسلامي؛ والبريطانيون الذين تصارعوا مع المسلمين لثلاثة قرون كان لديهم أحهم الشعبي الذي بصور المسلمين يعبدون ثلاثين إلهاً أكبرهم (مهوما)، كما يدكر ذلك (ريشارد سودرن)؛ مسعراً فطاعة الأساطير المنتشرة عن الإسلام في العرب خلال القرن التاسع إلى الثاني عشر الميلادي. وعلى الرغم من التعايش عن قرب مع مسلمين لعدة قرون في أسبانيا والحروب الصليبية، مما يقرص معرفة أفص؛ فإن واقع الحال يذهب باتجاه معابر^(١)

ومن أدلة (الجهل مضيق) الذي كان عليه الصليبيون قبل أن يتعرفوا على المسلمين في الحروب الصليبية، ما هو معروف من الطليعة العوالية لسوكيات الحملات الصليبية الأولى؛ لس ضد المسلمين وحدهم، بل ضد البيروطين أيضاً، ويضاف إلى ذلك أنهم عدا احتلو مدينة (طربلس - الشام) التي أصبحت إحدى مستعمراتهم - لم يترددوا في إتلاف مكتسبها العامة بمائة ألف كذب ومع هذا فلهزم وما يحمله من احتكاك مباشر، وغير مباشر، والبرعة في معرفة العدو كل هذه الأمور استدفع الصليبيين باتجاه التعرف أكثر على معالم المسلمين والافتناس من المظاهر المختلفة للحصارة العربية الإسلامية التي ستعرض بعسها كحصارة أرقى على رجال العرب^(٢)

* * *

أحل، لقد حفرت الحروب الصليبية (الفرجة) أهمج على النعم من المسلمين، وقد اتسعت معرفتهم بها في العلم العربي من جغرافية بشرية، وتاريخ، وعلوم؛ مما خلق عندهم مهصة في دراسة النقوس، والطب، والمطق، وبدءوا بتكوين نقابات من

(١) شمس الدين الكلبي، حقه الحروب الصليبية، والوضع عن طري في الحاقه التاريخي بحقه لاحتفاء،

عدد ١٩، بيروت

(٢) المرجع السابق

المدرسين أنسوا عليها فكرة الجامعة وهكذا شأت الجامعات من جامعة باريس إلى أكسفورد، وكمر دج بدءاً من القرن الثاني عشر الميلادي

كما اتسعت حجرة الصليبيين وثروتهم، ووقفوا على فنون الشرق وصاعته، وما فيه من رونق وفن ودقة والرائح أن المستوى العام للمعيشة في العرب كما يشير إلى ذلك رسيهان لم يرتفع إلا بفصل رعية الحساكر واحتجاج العائدين في أن يدجنوا في أوطانهم إلى محاكاة ما اشتهر به الشرق من مظاهر الحياة^(١)

وأيضاً - كما يعرف (رسيهان) - سيصبح الأوروبيون - بفصل ما يأخذه من المسلمين في الحروب الصليبية - قادرين على أن يميزوا بين السلوك، وأصاليب الحياة الحضرية الإسلامية (العلوم، والتفنيات، والذهنيات، وتلفيف العربي والإسلامي .) (وهذه يأخذونها وقد يعترفون أحياناً بمصلحتها وقد لا يعترفون في أحيان أخرى كثيرة!!) . لكنهم - كما يؤكد (رسيهان) يظنون محافظين على جهنهم وعدائهم للإسلام وعقيدته (عقيدة الوحيد) وهو ما يمثل ظمناً درجياً وأخلاقياً كبيراً

ومع ذلك كله يؤكد رسيهان على القيمة الحضارية للحوار أثناء فترة الحروب الصليبية مشيراً إلى أن هذه الفترة التي امتدت قرنين ونصف (من أهم مراحل التاريخ المؤثرة في المدينة العربية؛ إذ إن أوروبا لم تكذب تخرج من مرحلة عداوات المتبربرين الحرمان الطويلة لأمد؛ التي يطبق عليها العصور المظلمة (العصور الوسطى)؛ حتى كانت بفصل المسلمين تراغم ما يطبق عليه النهضة الأوروبية بأحد في الظهور^(٢)

ويحتم بالإشارة هنا إلى أن هذه التسامح والامتناع من المسلمين جزء من دينهم؛ فهم دائماً يفتحون ذراعيهم للحوار، وبجاهل آلام الماضي؛ متعصين عن انظلم الذي يعاملهم به الآخرون؛ تاركين الأمر بحكمه الله العادل

(١) شمس الدين الكيلاني، حقبة الحروب الصليبية

(٢) ملأ عن المرجع السابق تصرف

اقتراحات في مجال الحوار المعاصر:

لعلنا نسطر القول فيما يتعلق بالواقع الديني الأوروبي بالنسبة لك نحن المسلمين، وعلى الطرف الآخر سطر القول في انطبعة حوارية الديانة الإسلامية من خلال التأصيل الإسلامي والتجربة الحضارية التاريخية

وحب أنشير إلى أن احتمالات العنف والتسامح الفردية أو العابرة أو المحلولة واردة على الخافين، لك هذا تكلم عن الطواهر العامة التي تؤكد تجربتنا التاريخية والتي لا تنفيها حالات الشدود. كما أن القواعد لا تعني عدم وجود حالات شادة بصفة عامة

ومع كل ما ذكرناه، ولأننا لطرب الأكثر فائدة من الحوار، لأننا أصحاب دعوة ورسالة ولأن دينا في طبيعته دين حوار ورحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء] كما كان دين المسيح عليه السلام في أصله قبل أن تسقط على خصوصه الاهواء، مكتمه بما يشم منه رائحة السف، وهي بعدة جد عن طبعه لمسح عليه السلام الذي كان يأمر بإدارة الحد الأسر لم صرث على حداء الأيمن وأبص لأننا الطرف الذي لا تحدعه القوة، وهو لا يملك القوة المصحوبة بالاستعمار، والحدود للإددة والاحتلال، ومصادرة خصوصيات الآخرين باسم (العولمة) ونرواهم باسم (الحزب) ..

لذلك - ولغيره - فإننا يجب أن نحاور في خطابنا الديني - حتى ولو كنا - عبر قرون كثيرة - الأقوى والأعلم. فهكذا أثنت حضارتنا، بك التي انطلعت من كتاب ربنا وسنة نبيه عليه السلام. لقد أمرنا الله في كتابه الكريم ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَخَذِلْهُمْ إِنِّي هِيَ أَخْسَرُ﴾ [الحل ١٢٥] أما رسوله الكريم ﷺ فقد ذكرنا في الصفحات السابقة كثير من صور حوارنا مع اليهود والنصارى والوثنيين. المسلمين والمجاريين.

وفي الدانة تشير إلى أن نحن المسلمين وحدثنا الدين من صميمهم ومن وحيهم - أن

يحددو إطار خطبهم الديني مصطلقين من الثوابت التي لا تتغير في دينهم، ومن المتغيرات التي تواجه التحديات في كل عصر، عن طريق باب الاحتمار المفتوح دائما في ظل صوابط الثوابت القرآنية والسوية

ونيس من حق غيرنا امريكان أو يهوداً أو حكما يسرون في هذا الفلك أو ذاك أن يحددوا لنا إطار خطاب الديني وأن يخصصون بالتالي لفكرهم لعلهم أو لعقائدهم الدينية ولو وقع هذا كما يراد لنا الآن- لفقد الحوار شرطه الأول الذي هو تعبير كل طرف عن فكره وتقديمه للآخر لا ليرص عليه الإيمان به، فلا إكراه في الدين، ولكن ليس الرئيد من العي، لا تدليس أو تأويل من مسشرقين أو مستعربين

إن خطابا الديني الأصيل نفسه هو الذي يحرص علينا أن نجتهد في مواجعة النوارل والوقائع وتغير العصور والأماكن بما يلائمها لكن ذلك كله يبقى في دائرة الثوابت والصصوص، وإلا فقد صفة الإسلامية. فالإمام الشافعي في مذهبه الصميم في العراق، وفي مذهبه الجديد في مصر، هو نفسه الإمام الشافعي المنتم بالكتاب والسنة. لم يحد عنها قيد أملة

وقد غلب الظرف أن محاطب دعة وعمياء المتخصص بأصلوب يختلف عن خطابا لغير المتخصص، أو أن محاطب الأوروبيين بأصلوب يختلف عن خطابا للمهندوس في الهند أو أن محاطب النساء أو الأطفال أو الحكام بغير ما محاطب به غيرهم لكن هذا كله يجب ألا يحرف الكلم عن مواضعه، بل يجب أن يظل في دائرة الحكمة وفقه الدعوة والخطاب والبلاغ.. ومراعاة مقتضى الحال..

وقد علمنا القرآن الكريم في أساب برول آياته ألوانا من هذه (الحكمة) في البلاغ، عبر مراحل بروله الملكية والمدنية، كما علمنا الرسول ﷺ أن الله يبعث هذه الأمة في كل قرن من يجلد ها أمر دينها ومع ذلك، فسيح القرآن- عبر سنوات بروله الملكية والمدنية- سيح مكمل مسجهم لا تناقص فيه قال تعالى ﴿لَقَدْ يُلَوِّ الْأَيُّ أَرْزَلْ عَلَى عَذْرَ الْكِتَابَ وَلَمْ يَحْمَلْ لَهُ عِزًّا﴾ (الكهف) كما أد تجديد الدين- في الإلهام

الإسلامي والمترم للإسلام- يجب أن يكون من داخل الصلوص و لثوات، لا من داخل سسبة العفلول، والإسقاطات المكربة والندھية، أو التأويل المتعسف الذي يحرف الكلم، ويهرؤه كي يحب ويهوى، وليس حسب دلالات الكلمة أو لخدمه في صوء صوابط المعاجم وإقرار أهل الاختصاص في لمجامع العلمية أو المفهية

* * *

ضرورة الحوار للإسلامي

لقد درج الناس على ربط (الخطاب الديني و الحوار) بالحوار مع غير المسلمين، وسواء أن الحوار في داخل المجتمعات الإسلامية أهم، وهو من قواعد الانطلاق السالح- في الحوار مع الخارج -

لقد آن أواب لوصول إلى الفواسم الجامعة وشعب الإيها المتفق عليها، بين كل العاملين في المجتمع الإسلامي تحت شعارات مختلفة، مثل السلفية، والصوفية، والجماعاب الإسلامية والحركات الإسلامية، وحركات الدعوة والعلماء المتخصصين والدعة المخصصين، سواء كانوا من أهل الاختصاص أو لم يكونوا ماداموا قادرين على اللاع والانطلاق وفاقا بضوابط الكتاب والسنة، فدعوة واجب إسلامي عم يؤدي عبر مسنويات مختلفة، ومساحات مختلفة ولعل هؤلاء همعا يلزمون بالالهاء على الكتاب والسنة الصحيحة، تاركين لأهل الذكر أمر الفتوى والاحتهااد، منترمين بالعمل المشترك في المتفق عليه والإعداد في المحتفب فيه واصعين ميراث لفكرهم وعمهم، وهذا ما فرده ححه الإسلام أبو حامد العراقي في عباراته التي يرفض فيه الإهراط والتفريط ويجمع بين الفل والعقل.

قال أبو حامد^(١):

(إن أهل السنة قد اطلعوا على طريق الجمع بين مقتضيات الشرايع وموجبات

(١) الاقتصاد في الاعتقاد النادرة مطبعة الحلبي بدون تاريخ، ص ٣

العقول، وتحمصوا أن لا معارضة بين الشرع المأمور والمحق المعقول، فمن حدد على التقليد واتسع الظواهر ما حدد، لا من ضعف العقول وقلة المصادر، وأن من تجعل من العلاسفة وغلاء المعتزلة في صرف العقل حتى صادموا فوطع لشرع ما أنواه، لا من خبت المصادر، فميل أولئك إلى التمريط، وميل هؤلاء إلى الإفراط، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط، بل الواجب الاحتوم في قواعد الاعتقاد ملازمة الاقصاد، والاعتناء على الصراط المستقيم، فكلا طرفي قصد الأمور دميم وأنبي يستنب الرشد لمن يقع بتقليد الأثر والآخر، ويذكر مذهب البحث والنظر، أو لا يعلم أنه لا مستند لشرع إلا قول سيد الشر عليه السلام، وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه في آخر

وكيف يهتدي للصواب من اقتنى بعض العقل واقتصر، وما استضاء سور الشرع ولا استبصر؟ هيهات، قد حاب على القطع وابتات، وتعثر بأذيال الصلالات من لم يجمع بتأليف الشرع والعقل هذا لشتات

إن إصلاح البيت الإسلامي من داخله عن طريق الأمة - أولاً - والدول - إن استطاعت أو أرادت - ثانياً - هو المرحلة الأساسية لانطلاق دعوة الإسلام - فكرياً وسوياً - بدون (مؤجاء) نقف فوق (الأحوة) وبدون (تكافل اجتماعي معوي ومادي) وبأكيد عوامل الاتفاق وإحصاء مجالات الاختلاف لحللول المدرجة اعتماداً على العقل و لوعي والثقافة والنصو - بدون هذا ستبقى اساحة الإسلامية حبيسة التار بالآلفات مكتبة بعدد من لاساءات والشعيرات التي خرجت من طور الوسيطة إلى طور العاية، ومن الآلية القابلة للتعبير إلى الهدف والمقصد الشرعي الذي لا يقبل التعبير بل قد يتصور من كونه الفرع والسافة إلى عساره الأصل والعريضة

فإذا سجدت الأمة بصمومتها في عمور هذه العقنة الكأداء، وانتشر الوعي بالحقيقة الإسلامية المتمثلة في القرآن الذي عاشه الرسول ﷺ على الأرض، وعاشه معه جيل خير أمه أخرجت للناس ففتحوا قلوب العالم بالبيان وعمولهم بالمعرفة الكاملة السوغة إذا تححا في هذا يكون قد قطعنا شوطاً كبيراً في الطريق بلحوار المكافئ الذي مع غير المسلمين ويكون خطاسا الديني مؤهلاً لحوار، ونقف على أرض صلبة.

عنده حاصرة المصي التي هيست على العالم عشرة قرون كما يقول ول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة)، ولده واقع كريم يطلق منه تساعم فيه المعنويات والماديات والدينيات والأخرويات ويعصد بعضها بعضاً. صعه الله ومن أحسن من الله صعة.

وفي خطاب ادبي المعاصر يجب أن يخاطب كل القادات الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والتربوية والرياضية والأمنية والإعلامية وبنظراً لأن الشعوب العربية شعوب غارثة- وإن كانت نخضع لتصليل السياسي والإعلامي- فإن من الواجب الاهتمام بالحوار الثقافي معها- وهو في مطورها حوار ديسي وديوي وبالتالي نقوم بإعداد تعريف عام بالإسلام يشرح القضايا التي يستمر عنها الأوروبيون عادة- على أن يقوم بإعداده لجنة من المقيمين في أوروبا أو لمردين عليها، والمدرسين لطبيعته الحياة العربية، وإعداد دليل لبعض الألفاظ ومصطلحات، بعيداً عن حساسيات بعض المصطلحات التي يمكن أن تسيء إلى الحوار، وبأحد أن يكون رأي الإسلام والمسلمين الوعين الإسلام حاصراً في كل قضية تطعو على السطح، وفي كل مصطلح يراد تحريمه للإساءة إلى الإسلام مثل مصطلحات الأصولية أو الإرهاب أو التطرف، وبحث توسيع دائرة إرساء الشرارات والمجلات الصادرة باللغات الأوروبية عن المؤسسات الإسلامية إلى غير المسلمين بعد تمحيصها، وفتح المحلات لاستقبال الوفود التي تمثل المعاهد والدارس والكنايس في مؤسسات الإسلامية في الشرق والعرب والحوار معهم والرد على استفساراتهم، وإقامة ندوات للحوار بين رجال الكنيسة، وبين رجال المؤسسات الإسلامية بعد ترديد المدعويين بشرات تشرح الإسلام شرحاً موضوعياً، ويمكن دعوة السياسيين والبرلمانيين وسائر المسئولين في المؤسسات وعر المناسبات للتعريف بالشعطات وإقامة نوب من التعارف والحوار^(١)

ويسني إبرار لمشتركت بين الأديان، والأصول الموحدة ها، والأهداف المشتركة، والتعريف بفترات السلم والعدوان، ومناطق التفاعل الحضاري كساسا، وجرر البحر

(١) صلاح الدين - جعفر دوي، المرجع السابق (بتصرف)

الأبيض والحروب الصليبية، وما انتق منها في فترات التعايش السلمي من إيجابيات معرفية

كما ينبغي الاتصال بإدارات المدارس والكليات والمؤسسات الثقافية، وعقد حوارات معهم وتعريفهم بحقائق الإسلام، وتصحيح المفاهيم المخلوطة عنه وعن أثره في الحضارة.

وهناك في الحوار الاجتماعية محلات يمكن طرحها، ومنها التعريف بحضارة إحدى الدول الإسلامية، ومناقشة مشكلات البلد الأوروبي الذي يعيش فيه المجتمعون ..

وكل ذلك في إطار الود والعلاقات الكريمة، والمعاملة الإنسانية للعرب في أفراحهم وأحزانهم حيث يحرص الإسلام حسن المعاملة مع المسلمين وغير المسلمين ويدا هذا الوقوف معهم في الأزمات التي يمكن أن يمروا بها، وكما يرى الدكتور صلاح الجعمر وي " فإنه يمكن أن تكون هذه المعاملة في صور شتى منها: إرسال كروت تهتة في المناسبات لسلامه، أو مواساة السطة الحاكمة إذا توفي بعض أعصابها، أو تهتة الأحرار و لأشخاص الفاترين في لانتخابات أو مواساة الخيرة أو التفاعل الإيجابي مع أي مشكلة تنم بالمطقة

وفي احباب الإعلامي يسعى رصد ما يكتب في الصحف و لمجلات، وتصحيح كل ما هو مخالف بأسلوب يتناسب مع العقلية العربية، والمشاركة في البرامج الإذاعية والتلفزيونية المنصمة البعيدة عن الإثارة، شريطة أن يكون المتحدث المسلم مُدًا بمبادئ الإسلام وتعاليمه، بعيدا لئله القوم مطلعا على قضاياهم، حسن المظهر والأداء، مع حسن المجادلة والحوار، والتحلي بالهدوء التام

ومن المفيد أيضا في المجال الإعلامي دعوة بعض الإعلاميين لبرسة لدول العربية والإسلامية ولقاء بعض قادة الفكر، وبنثق العلاقة مع المنصمن من رجال الإعلام

العربي، والتعاون مع بعض القوات والإدعائات وتزويدهم بمرمحين معدة سلما من المسلمين عن الإسلام والمسلمين، وإنتاج برامج مشتركة معهم تحسن صورة الإسلام وتحسن تقديم حصاره لمسلمين . ويقدم بصورات للتعاون المستعصي المشترك، مع بيان أهميته وضرورته، موضحة - في المقابل - أخطار هذا الصراع الديني أو الحصري أو السياسي والمكثري على الأطراف المتصارعة وعن الحصار الإنسانية المعاصرة كلها.

إننا من خلال خطاب الديني الأصيل والمعاصر، الجامع بين النقل والعقل، والوحي والعلم، والمصالح الإسلامية والإنسانية نستطيع - بالحوار - أن نخدم ديننا، ونخدم سببة الإنسانية التي يدفعها الصدام الديني - الحصري - إلى الموت والدمار

* * *

الوسطية والسلام الفكري

إشارات وإضاءات

* إن أي مجمع في حياته لا يكون قد شاد بعد (عالم أشبهه)، بل كل ما هالك أن (عالم أفكاره) يبدأ في التكرير، دود أن يشتمل -أحياناً- إلا على بواذر تفكير أيديولوجي

* إن اسشاط الاجتماعي والثقافي لفكرة ما مرتبط في الواقع ببعض الشروط النفسية الاجتماعية التي بدورها تفقد المفكرة وعليتها

* ودأفد عليا المفكرة رهن بشروط نفسية واجتماعية، تتنوع بتنوع الرمان والمكان
* من مظاهر الخلط بين صحة الأفكار وفاعليتها، فإن فكره أصيلة لا تعي ذلك فاعديتها الدائمة وفكره فعالة ليست بالصورة صحيحة، والخلط بين هذين الوجهين يؤدي إلى أحكام خاطئة تلحق أشد الضرر في تاريخ الأمم

مالك بن نبي

(مشكلة الثقافة - مشكلة الأفكار)

* * *

الوسطية. من فكر الفرد إلى السلام الفكري العالمي

لا أريد أن أقهر إلى (السلام الفكري العالمي) الذي تحققه الوسطية، على أساس أن هد السلام إما هو سيحة طبيعية للمسيحية أو وسطية، في عالم الفكر أو في عالم الحوار الفكري، والثقافي العالمي القائم على الموضوع الكامله التي تدعمها لنا الآية القرآنية ﴿قُلْ يَتَاهِدِ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ﴾ [ال عمران: 64]، والآية الأخرى ﴿وَبِنَا أُولَئِكَ كُمْ لَعَلَّ هُنَّ أَوْ فِي صَدْلٍ مُّبِينٍ﴾ [مبا: ٢٤]

- إن هذا (السلام الفكري العالمي) هو مرحلة تالية للسلام الفكري الذي يجب أن يتحقق في داخل الإنسان المسلم الفرد وفي داخل الأسرة المسلمة، التي تمثل الخلية الأساس التي يقوم عليها المجتمع، ومن ثم (السلام الفكري) الذي يجب أن يتحقق في داخل المجتمع الإسلامي. والحضارة الإنسانية!

إن (السلام الفكري) الذي سعي أن تبرز إشعاعاته وجللانه عبر ثلاثه الفرد رجالاً، كآ أو امرأة والأسرة والمجتمع هو الطريق الأكثر فاعلية وجدداً لتحقيق السلام الفكري العالمي..

ولس كانت الوسطية هي المهجة المعتمدة في كل هذه المراحل، فإن الحصاد (السلام الفكري) سيكون، وفرداً طبيعياً بكل مرحلة سابقة وبالتالي بعمل عمله في المرحلة التالية، وتكتمل دوائر السلام في داخل الكيان الإنساني كله

في بداية الدعوة نزل الوحي عن رسول الله ﷺ بأمره بتحقيق القراءتين المعروفة والكوبية، حتى ولو كان أميً فتعامل مع المعرفة أو الثقافة والكون لا يقتضي بالضرورة الإلمام بالكتابة والقراءة بالمعنى الحرفي لها

فكم تعامل فلاسفة في العصر اليوناني وأبدعوا حتى وإن كانت هم أخطاء مع المعرفة والكون دون أن يمتثلوا للقراءة والكتابة

- وكم ظهر فلاسفة في الهند والصين ومصر، وكانوا عبثة مع أهمهم لا يعرفون القراءة والكتابة

- وتعبيراً عن القصور في المحال المعرفي التقليدي المائى على التراكم الكسبي المعرفي ركروا على تراكم الكيف المعرفي من خلال التدبر العميق في الآيات الكونية وفي آيات الوحي التي من الممكن أن تكون قد وصلت إليهم

- إن المهجبة الوسطية في شىء محالها هي السي أصابع لطريق لتحرير الإرادة الإنسانية في اتجاه المرح بسبب متوالية بين عناصر احصاءه من عقل وعقيدة، ومادة (تراب)، ووقت، وهذه المهجبة استطاع الإنسان امتلاكه (دأسمال حصارى فطري)، وتقدم هذا الإنسان من خلال عالمه الهادئ الفطري حداً ومن خلال هذه الحثائر الأونية لحدساره يشق طريقه نحو عالم الإبداع في عالم الحامع والظواهرات ووسائل الاتصال المختلفة.

ولتاعم الفكري الذي يربط بين العقل والقلب والمادة والروح. دون صراع هو السيل ليلاد (بسان) سمير ليعدل مع نفسه ومع كل القوى من حوله وهو السيل ليلاد (أسره) تقوم على عصري الكاسل العادل، والتراحم البشري والوجداني

* وهو السيل ليلاد (مجمع) تنظمه الوسطية في كل أموره ويحتكم إليها كس أعضائه، رجالاً كان أو امرأة، عبداً أو فقيراً، حاكماً أو محكوماً، قريباً أو ضيقاً، مشرقياً أو غرباً فكهم راصي بأراده الله له، متفاعل من خلال الموقع الذي وضعه الله فيه، وهو يتكامل مع الآخرين، ولا يصطدم بهم، لأن ميران الوسطية العادلة يحكم الجميع

* إن الوسطية تعني - في مجمل دلالات المعجم والاصطلاح - العدل والتوازن، والقصد، والاستقامة، وإصاف الآخرين، والموضوعية، والخيرية القيمة والعندية التشريعية .

ولهذا سميت الأمة الإسلامية الوسط ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة ١٤٣] أي لتكونوا الأمة المعتدلة التي تعيد الناس إذا ما انحوا ورددوحت معاييرهم إلى الصراط المستقيم صراط النعم عند الإفراط

والتمريط والظلم، في حاشي الرضا والعصر، وللسلم والحرب، والقوة والضعف
 صراط إشباع حوائب اماندة واعقل والروح، في تسيح واحد، وبسبب موازنة .
 صراط المدرج وللتكامل بين حقوق الإنسان الفرد، وحقوق الأسرة، والخراب،
 مسلمين وغير مسلمين، وحقوق ابوطر-بكل شرائحه- وحقوق الأرحام. وحقوق
 الله. قل كل ذلك، وفوق كل ذلك.



إن اوسطية - إلى جانب معانيها الدعوية و لاصطلاحية الدالة على العدل والخيرية
 والتوسط والتوازن - تحقق وطيفاً بكل سائر (السلام الفكري والروحي) المستمد من
 انعاده عن الطرة المائلة إلى الانحراف، إفرطاً وتمريطاً، والتي تريد - تحت ضغط
 الخوف من الله (التقوى) والمعالجة لدرجة الخروج عن شمولية الحوائب. والاكتماء
 بكتيف جانب على حساب احر. وإيماناً بأن الله من حوائب ضرورية لعمر
 الكون وتحقيق الاستحلاف

- وما ينظر هؤلاء اسر لثلاثة الذين تفاؤوا عاداتهم، فقرر أحدهم أن يصوم فلا
 يفطر، وقرر الثاني أن يقوم المس ولا سام، وقرر الثالث أن يحرم النساء على نفسه .
 نظر هؤلاء إلا أنهم في قمة الإحلاص والتجرد والعبودية الكاملة لله . لكن هؤلاء
 الثلاثة لو مشوا في الطريق الذي أرادوه سيكونون من أبعد الناس عن (الوسطية)
 الصانطة لإيقعت اشراط الديري والأحروري . وسوف يجدون أنفسهم بعد فترة
 وجيزة قد فقدوا السلام الفكري الداخلي نتيجة اضطراب انقوى واسرعات
 والإمكانات الداخلية . فلجسم حاجاته من العناء والحس والترويح والنوم
 وللمجتمع كدتك حاجاته، كما أن العمل والكدح في الأرض سنة من سن
 الوجود، وكل ذلك يندرج إلى جسد وعقل مؤهلين قادرين على تحقيق الماعلة وشروط
 الاستحلاف..

- وهذا عاظم الرسول ﷺ (بالوسطية الإسلامية)، وبين فهم أن -وهو أنقهم
 لله وأحشاهم له - بصوم و يفطر ويقوم وسام ويتروح النساء، أن هذه (الوسطية

والثباتية) من شأنها أن تحقق الصلات بالله إن توافرت لها كلها بنية عمادة وحس
العبادة

- وأن هذه الوسطية، المحققة للسلام الفكري المتكتم لشتى شؤون الحياة هي سته
وطريقه، ومن رغب عن سته ﷺ فليس منه أي يس مؤمناً بسنة الرسول ﷺ وليس
- بالتالي - على نهج القرآن والسنة الشريفة

ولنلاحظ هنا إشارة الرسول ﷺ المربعة - حين بين هؤلاء النمر الثلاثة أنه مع
مدرسته لكل جوانب العبادة والحياة - ألقاهم الله وأحشاهم له فكأن هذه المدرسة
(الوسطية) هي المحققة للقوى والاستحجام الفكري والروحي

... فما المذهب اللاوسطي القائم على رفض الحياة وإغفال حتى الطبقات المحسنة
الضرورية، وتكثيف العبادة على حساب اخوانب أخرى، فحسه أن الرسول ﷺ
رفضه، وأظهر شيئاً من العصب عندما سمع به وأظهر خروجه عن منهجه لأمة
كلها. حتى تعلم الأمة طبيعة هذا الدين وبالتالي - يعمل في إطار الوسطية العادلة.

* * *

السلام الفكري العالمي:

* فإذا ارتدنا من مستوى الفرد والأسرة والمجتمع الإسلامي - إلى مستوى السلام
الفكري العالمي الذي يؤصده الإسلام، من خلال السطير الفكري (القرآن والسنة)،
ومن خلال السدوك الإسلامي الأوسطي مع العالم الذي يقوم على احترام فكر
الأحرار وحرمتهم العقيدية والتعيش مع أفكارهم بعيداً عن الإكراه أو التشويه
والسب والقذف اللاأخلاقي (كما يفعل هؤلاء الرسمون والإعلاميون والمناوون في
العرب حين يسيئون إلى الرسول ﷺ والمسلمين في جميع الأرض) قال تعالى ﴿لَا
إِكْرَاهَ فِي دِينٍ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وقال تعالى ﴿وَلَا تَقْسُوا الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْخَرُوا مِنْكُمُ عَذَابُ اللَّهِ وَيُغَيِّرَ عِلْمَكُمْ كَذَلِكَ رِيَاءُ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ [الاحزاب: ١٠٨]

* ولقد سعى الإسلام إلى أن تقوم بين الناس (علاقات إنسانية) في السلم وفي

الحرب، والعلاقات الإنسانية أركى وأشمل من العلاقات القانونية والدولية والرمزية؛ ذلك لأن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه أح للإسنان، وكل الناس محصون في القرآن بعبارات تدل على هذه الشمولية، التي لا تفرق بين الناس من ناحية الأصل والحق الإنساني يقول الله في كتابه الكريم: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِيَّاكُمْ مِنْ دُونِ أَنْتُمْ وَجَعَلَكُمْ شُعْرًا وَقَبَائِلَ بِتَعَارُفِهِمْ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُمْ إِنْ أَلْفَ طَيْمٌ خَيْرٌ ۖ﴾ [الحجرات]، ويقول ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا نَبِيَّ آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧]، ويقول ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُ إِلَى اللَّهِ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَنَسًا مَلِينًا﴾ [الأنعام]، وعندما مرت جازة يهودي على رسول الله ﷺ قام الرسول إحلالاً لهذه الحشرة، أي هذه الإنسان الذي أمى رحمة الدنيا وهو الآن يعبر إلى آخره ليلقى ربه بما كسب بده، (علاقته)؛ فالرسول يستشعر عن هذه اللحظة ودواعيها، ويعرف ما وراءها، فهذا الإنسان المكرم لبس حيواناً يساوى في مكان الدب، بل هو إنسان كان له عقل وبصائر في هذه الحياة؛ إيجابية كانت أو سلبية، ﴿أَوْحَيْتُنَا أَنْتُمْ حَلَفْتُمْ عَيْتًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ﴾ [البروج]، إن هذا الإنسان (الميت) اليهودي إنسان على أية حال ويربطه بالمجتمع علاقة إنسانية يجب أن تفكر في كل لأحوال.

وحدير بالذكر أن هذه العلاقة لا ترتبط بدين أو وطن أو قوم أو حياة أو موت؛ ولهذا جسد الرسول ﷺ هذه العلاقة، ليعطي للمسلمين وللإنسانية درساً لا يجوز أن يُسى أو يُهمَل؛ وعندما تساءل أحد الصحابة عن موقف الرسول ﷺ الكريمي هذا اليهودي رد عليه الرسول ﷺ بحديثه الرائعة قتلاً "أليست بهتاً"، فانهس عضو من أعضاء الكون الإنساني؛ بصرف النظر عن عصريتها القانونية أو الدولية

لهذا العدل وما يزال أساس للعلاقات الإنسانية؛ (والعدل هو الوسطية)، أم الحرية والمساواة مقومان في الإسلام على أساس العدل، وإلا فهما امتداد ظلم على حساب حقوق الآخرين، فحين تمتد الحرية الفردية لتلتهم حقوق الأفراد الآخرين؛ فإنها تتحول إلى ظلم وتصحح عند على العلاقات الإنسانية، وكذلك حين يتساوى الخامل مع

العمل، والجهل مع العالم، والضعف مع القوي يحتل الميزان ويرتفع السعلة والأرادن على حساب المحدين والأذكياء، ويوسد لامرئى غير أهله وتحتل موارد الحق والعدل، وتنصيع معالم الوسطية الفكرية والروحية والأخلاقية نصعة عامة

لقد كان من الضروري أن يكون لدى الوسطية الإسلامية مشروعها للسلام الفكري العالمي، وذلك لأن الإسلام دين عائني بطبيعته، وتمثل هذه الطبيعة العالمية في الإسلام القائم على العدل والرحمة في ثلاثة جوانب أساسية وهي

أ- عدلية الرمان فهو الدين الخاتم، الذي ليس بعده دين حتى آخر الرمان.

ب- عالمية المكان فهو الدين الذي حطم الله به الحدود المكينية

ج- عدلية معاجة القصد بالانصاف بالإنسان علاجاً يتفق مع الطبيعة الإنسانية في مراحل حياتها المختلفة

ومن جانب آخر تركز هذه العالمية الإسلامية على عدة مبادئ منها

١- وحدة الأصل الإنساني

٢- الهدف من تلك التجمعات البشرية

أما المبدأ الأول فقد ظهر في مثل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَجَدٍ وَخُلِقَ مِنْهَا رِجَالٌ كَثِيرٌ وَنِسَاءٌ﴾ [الباء ١]

وأما المبدأ الثاني، فيظهر في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [المجادل ١٣]. فلتعارف وليس التدابر هدف أصيل يسعى القرآن الكريم إلى تأكيد بعد تأكيد وحدة الأصل اشري، وفي ظل هذين المبدأين يسقط من حساب الإسلام الصراع بكل مظاهره وأشكاله؛ بيتأكد معنى الوحدة الإنسانية لعامة كإظهار خصائص هذا الدين، وفي ضوء ذلك كله، ينهي دور الأخلاقيات عبر الإنسانية - من الصراع والعصرية والأثرة وهضم حقوق الآخرين واحتقارهم

(١) د محمد عبد السلام بنصر، بين الإسلام والغرب صراع أم حوار، ص ١٨٨، ضمن أعمال ندوة الإسلام والغرب حوار أم صراع، جامعة القاهرة كلية دار العلوم، ٢٠٠٢م.

وقد رعم بعض الجاهلين أن لإسلام بكر الديمقراطية ويتحد منها موقفه
الخصومة والمعداء، ولا يبالى بحقوق الإنسان ولا يعمل على دعمها وتأييدها والحق
أن الإسلام لا يعادي، لا التحاور لحرمت الله وثواب الدين، وكل ما لا يتجاوز هذا
النطاق، فهو طيب مباح، أو واجب.

وإسلام في الحقيقة أول من نادى بحقوق الإنسان وشدد على ضرورة حمايتها
واحترامها، فمقصد الشريعة الإسلامية تتمثل في حماية حياة الإنسان ودينه وعقده
وماله وأسرته وعرضه وأمنه.

كما أكد الإسلام مدأين أساسيين لحقوق الإنسان وهما الحرية والمساواة. في إطار
العدل والشرع.

- والإنسان في المنصور الإسلامي - كن إنسان - مخلوق كرمه الله وأسجد له
ملائكته واتخذ حليفة في الأرض ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الاسراء: ٧٠]

والحكم في الإسلام لابد أن يقوم على أساس من العدل والشورى. والشورى
مدأ أساسي ملزم، وكان النبي ﷺ يستشير أصحابه ويأخذ برأيهم.

- وأتاح الإسلام الفرصة لتعدد الآراء، وأباح الاجتهاد وشجع عليه، حين جعل
للمجتهد المحقق أجرًا، وللمجتهد المصيب آخرين، مادام اجتهده، مسوفياً شروط الاجتهاد

* * *

وحتى في الحروب وهي كره للمسلمين ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾
[البراءة: ٢١٦]

تتمثل أسبابها في دفع عن النفس، وفي رد العدوان: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يُقْتَتَلُونَ
بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج: ٣٩].

بالإضافة إلى تأمين الدعوة إلى الله، وإتاحة الفرصة للصالحين الذين يريدون
اعسابها ولناسر جميعاً لكي يعرفوها، ومن ثم يقررون رفضها أو قبولها بعد أن يعرفوها
من مصادرها الحقيقية

ومن دواعي الحروب المشروعة المطالبة بحقوق الملونة والمعتصة، كما في فلسطين، والعراق، وأفغانستان، وأيضا بصره الحق والعدل في أي مكان في العالم

لكن هذه الحروب تحصر في الإسلام لصوابط تتجلى فيها الوسطية العادلة، حتى في أشد سعات الحياة وفي صورها الاستثنائية الشدة وهي الحروب . ومن هذه الصوابط التي وضعها الإسلام عدم الاعتداء على المدنيين من شيوخ وأطفال ونساء وعياد في دور عاداتهم، فلا قتال إلا للمقاتلين، ولا عدوان على غير المقاتلين شريطة ألا يبعثوا المعتدين بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وإذا جبروا للسبب وانتهوا عن القتال فبقس منهم، بالإضافة إلى المحافظة على الأسرى ومعاملتهم المعاملة الحسنة التي تليق بالإنسان، وكذلك المحافظة على البيئة، فيهي عن قتل الحيوانات إلا أن يشارك في القتل، وتحريق الأشجار، وإفساد المياه والزرع والثمار، وتلويث والآبار، أو هدم البيوت أو اعتصاب النساء. ١١

== القرآن والسلام الفكري:

مرل القرآن على سي أتي، وعلى أمة أمة، لكن هؤلاء الأميين كانوا يجلسون بين يدي رسول الله ﷺ ليركيبهم بالعكر الذي يحقق لهم الرقي الوجداني والعقلي، ويعطيهم مما تبغ ماء الحياة على السلام مع انفس والآخريين، قال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الْدُكُورُ أَامَمُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَكَفَّةٍ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [سورة: ٢٠٨]

وكان صحابة رسول الله ﷺ - وهم أميون - يجلسون بين يديه وكان على رؤوسهم الطير، وكان رسول الله ﷺ من حابه بنحوه بدو عطفه وبعدهم وبمنهم ويطهرهم ويركيبهم بالمسح الرباني الذي يتزل عليه من أسماء، يقوم هو بتفسيره وتعليمه ليكون مسح صلاح وسلام للإنسان من داخله ومن خارجه.

ومن خلال دروس القرآن التي يلقها السبي ويشرخها للناس حقق للأميين رقي فكريا أصبحوا به خير أمة أخرجت للناس وخير سمراء للقرآن ولرسول الله ﷺ في أي مكان حلوا فيه، وفي أي ابتلاءات أحاطت بهم

وهذا التربية القرآنية السوية، تحقق لهم سلام فكري جعلهم دائماً يشعرون بالمسئولية، يمتنعون للوصول إلى درجة الإحسان وهي أعلى مراتب الصفات الفكرية والظاهرة السلوكية حين تُدرس العمل والعبادة على أساس أن الله يراك ويراقبك في كل حركة وكلمة وفعل

وقد انتصر هذا الفكر المرتبط بالروح والإيمان والمحرك لكل الصعاب الإنسانية على عالم المحسوس والقيم المادية، فأصبح أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعضل هذه التربية الروحية الفكرية قادراً على أن يتبرع بكل ماله، وأصبح (عمر) رضي الله عنه قادراً على أن يتبرع بنصف ماله، وأصبح (عثمان) رضي الله عنه قادراً على أن يتبرع عن كل فائدة التجارية لوجه الله، مع أن تجار المدينة ساوموه على أن يعطوه بيتاً عظيمًا، وأصبح الأنصار قادرين على تقديم أعظم مودع إيماني عرفه التاريخ، حين حلقوا بحراهم المهاجرين بهم، وفاسمهم أموالهم، وكان هذا بدافع الحب والإيمان والتربية الأخلاقية السوية بعداً عن أية شوائب مصلحية.. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّطُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [الحشر: 9].

وبصرف العلامة الخرائطي مالك بن نبي - مثلاً - على تألق الروح والفكر فوق كل مستويات الواقع المادي المحسوس وذلك في شخص بلال بن رباح فعندما يتحرر الفرد حريئاً من فنون الطبيعة المبطورة في حسده، ويخضع وجوده في كنيته إلى مقتضيات الروحانية التي طبعها المكرب الدنيوية في نفسه، فإنه يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب قانون الروح .

وهذا القانون نفسه هو الذي كان يحكم بلالاً حين كان تحت سوط العذاب يرفع ساقه ولا يتر عن تكرار قوله المعروف (أحداً - أحداً) إذ من الواضح أن هذه القوة لا تمثل صيحة العزيمة، فصوت العزيمة قد صممت، ولكنه لا يمكن أن يكون قد أُلغِيَ بواسطة التعذيب، كما أنها لا تمثل صوت العقل أيضاً، فالعقل لا يتعقل الأشياء

(١) مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، بيروت، ص ٦٧، ٦٨

إنها صبيحة الروح التي تحررت من أسر المعابر بعد ما تمت سيطرة العقيدة عليها
 مهائياً في داتبة (بلال بن رباح) وصيحه الروح هذه إنما تألق وتغوق بأثير الفكر
 الذي عرسته الله به النبوة القرآنية فيها. وهذا تساوت بروح مع انكسار، وورد في
 بعض الكتب المقدسة أنه في البدء كانت الكلمة كما ورد أنه في البدء كانت الروح^(١)
 وقد كان المجتمع الإسلامي يحكمه هذا التعريف نفسه فقد كان شأنه شأن (بلال)
 لا يتحدث لغة عربية اللحم والدم من ناحية، كما أن صوت العقل بمعادلته
 الحامدة كان لا يزال صامناً في هذا المجتمع الوليد من ناحية أخرى

فألغة السائدة في هذا العصر كانت روحية المنطق، إذ هي ست الروح أولاً
 وقبل كل شيء وأيضاً ست الفكر استقى ماشره من قم النبي العظيم ﷺ ناقص
 القرآن ومهصرة إنما الروح في صوت بلال كانت هي التي تتكلم، وتتحدى بلغتها
 الدم واللحم، كما أن ذلك الصحابي - بلالاً - كان يتحدث بلسانه المرفوعة، وهو
 يقول: (أحد - أحد) الصبيحة البشرية، ويرفع بها في لحظة معينة، مصير الدين الحبيب
 كما أنها هي نفسها التي كانت تتحدث بصوت تلك (المرأة الرانية) (العامدية)^(٢)
 التي أقبلت إلى (أرسون) لتعلن عن خطبتها وتطلب إقامة حد الرمي عليها بإصرار
 لا حدود له...

فهذه النوافع جميعها تخرج عن معايير الطبيعة المادنة والعرائرة وتخصص لحواريين
 الروح والكلمة وحدها

* * *

== القرآن والوسطية وستمراية السلام الفكري:

لم يشن المراد جيل الصحابة الذي رباه الرسول ﷺ وحسب، بل امتدت أشعته،
 وب يقدمه من إصاءات فكرية قاعدية في الدرع، وإلى يومنا هذا، وإلى يوم القيامة

(١) مالك بن نبي، شروط النهضة ص ٦٨

ههو - كما وصفه أحد المشرقين - مرآل عصا طرئ كذب عهده بنو حرد أمس
 فالقرآن بإضاءاته وإشعاعاته . هو هو لم تأت الناطل قط، ولم يعمل فيه الشر، حتى ولو
 تأمر بعض الشر عليه، وحاووا تحريمه، كما حاولت كثير من المرححات (لعائيه) في
 الدعوات المحتجة، بتأثير الصعظ الكسبي، ولكن كل ذلك ذهب كما ذهب كل ريد،
 وكل ريب، وبقي القرآن الذي تعهد الله بحفظه . كما هو باقيا باحق، حجة على
 الشريعة، مهيمًا على ما سقه من كتب نسبت إلى الله، وأكثر صفحتها تحشد بها لا يلبس
 بجلال الله وعظمته ووحدانيته، وربما لا يلبس بعصمة الأنبياء وكرامتهم الإنسانية،
 وبمرله لاصطفاء لكن المشككة عبر العصور . جاءت من التلقي، الذي تغير قلبه،
 واحتلظ بكثير من الشوائب . وجدانه وعقله، ولم يعد هو الإنسان الصحيح أو
 السامي بل عبث وبذل، وحاول اللطيق، فضاع سلامه الفكري الداخلي، واحتلب
 موارينه في التعامل الخارجي، وفقد إشعاع القرآن والعادات، وانصبط علم المعاملات
 ولم يعد (وسطًا) يتمي إلى أمه الوسطية الشهيدة على الناس الأمرة . بالفعل والقول
 - المعروف، والبهية - بالفعل والقول - عن المكر . والمؤمنة بالله إيمانًا مطلقًا وثاقًا
 لا يتزعزع ولا يهن أو يحور أمام حذرة العلم وطعته ومحرقي العقل باسم لعقلانية

* * *

إب القرآن قادر . لو فتح لسان قلوبهم له كي فتحها الصحابة والسعوى في كل
 وقت على إحراج أحياء قريبة من الأحياء السابقة، ذلك أن القرآن لا يعطي مدونه
 الحقيقى ولا يتتح كسوره ويكشف أسرارها ويعدم ثباته إلا لمتلقي النقي التقى صاحب
 القلب المقسوح والعص الصادق اراغب رعة حقيقه في تعلمه والاستفادة منه والعمل
 بمقتضاه، وقد ورد عن بعض الصحابة عليه السلام قوله (ك نؤتي الإيمان قبل أن نؤتى
 القرآن)، ولذلك كانوا يتدققون لقرآن ويتفحصون معه، ويدركون معانيه وأهدافه،
 ويصوعون به ذلك الباريح الوحيد الذي صمعه في أقصر وقت وبأقل استكاليف ﴿إِنَّا
 إِنَّا نَذِيرٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرِ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

وسلاحظ هنا الجمع بين السدير والسيرة، أي الوسطية في الترهيب والترغيب

وكم أحسن الصحابة فقه كتاب الله، علياً أن يحسن بحس أيضاً هذا الفقه، وعم
توجيهاته كما عمل الصحابة فهم عرّف القرآن الصحابة أن الله سميع بصير وأنه
﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَحْوِ ثَلَاثِينَ إِلَّا هُوَ رَاجِعُهُمْ وَلَا حَسَدَ إِلَّا هُوَ مَسَادُ مَهُمْ وَلَا آدَمَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا
أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَسْتَعْتَبُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْيَوْمِ ﴾ [الحجرات ٧]، ﴿ يَقْنُتُ مَا يَدْعُ فِي
الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَبْرُكُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ [سبا ٢]، وأن ﴿ كُلُّ شَيْءٍ بِمَا كُنْتَ
رَبِّهِ ﴾ [الذثر ٢٨]، فويت مرافقتهم لأعمالهم وعبادتهم لأنفسهم، بفصل م حصل لهم
من اليقين بأن الله تعالى يرهم ويحاسبهم على أعمالهم

وَحِينَ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ ﴿يَدِيهِ مَلَكُوتٌ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمن ٨٨] ، وَأَنَّهُ ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرؤ ٦٣] : مَاثٍ فِي مَوْسِمِ الطَّلَعِ لِعَبْرَةِ تَعَالَى ، وَقَوِي عِنْدَهُمُ التَّطَلُّعُ إِلَى اللَّهِ ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَانْتِظَارُ الْمَرْحِ مِنْهُ ، وَعَدَمُ حَشْيَةِ الْخُتَابَةِ وَاطْعَاةُ ، وَتَرَبُّوا عَلَى مَوَاجِهةِ الصَّرَاءِ بِالْصَّرِّ ، وَالسَّرَاءِ بِالشُّكْرِ

وحيث علموا أن الله سبحانه ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْعَتِيقُ﴾ [الدَّهَابِ ٥٨] وأنه ﴿يَنْشُطُ الرِّيحَ بِمَنْشَأَةٍ شَرْيْقَةٍ﴾ [الرعد ٢٦] وأنه ﴿مَا يَفْجَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لِمَنْ يُعِيرُهُ﴾ [فاطر ٧] ، أيقروا بأن إرراق من الله ، فلم يعد امره يقلقهم ولا يشعدهم ، هم تدلّ قلوبهم لشر من الشر ، ولم يكسّرهم وسهم الطمع ولا الجبن .

وحيث علموا أن الله هو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يملأ أمر الدنيا والآخرة،
تعدت قلوبهم بالله في السر والعلن، وتحدثت بهوسهم من الخوف والخص، وأصبح
ذكر الله سبحانه حياً في قلوبهم.

وحيث علموا أن الله يثيب على الحسنة بعشر أمثالها وقد يزيد، ويعاقب على السيئة بمثلها وقد يعفو، وأنه تعالى أعد الجنة للمؤمنين، وفيها ما لا عين رأت ولا أدرك سمعت ولا خطر على قلب بشر، وعد النار للكافرين، وفيها من العذاب ما تهون أمامه جميع شدائد الدنيا، تخلصوا من شهوات المال والحرص وطعم الآحري والاسعلاء عليهم، وامسكوا على شهوة العمر والسحريح، وشهادة الرور وحب الانتقم والشمي،

وتحرروا من الشح والخوف، ولاستسلام عواطف القراءة أو الصدقة أو الحوار^(١)، أو
الجواب المؤثرة الأخرى

لقد كان لصحابة رضي الله عنهم، يحرسون على اتباع الرسول ﷺ وتثقل أخلاقه ولبس به
في عبادته لله ومعاملته للناس، لعلمهم أن ذلك هو شرط رجاء الله واليوم الآخر ﴿لَقَدْ
كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُتُوَّةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ (١)
[الأحزاب]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢) ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَحْضُرْ اللَّهَ وَسَمِعَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٣)
[البقرة] ولعلمهم بأن الفعل هو الثمرة المقصودة بالقول، والأقوال والنصوص العطية في
حقيقة أمرها أدوات تسليع أمر الله وسبه، فإذا لم يتبع صاحبها بالعمل والتطبيق وقع في
دائرة الخلل ولا من قلبه والعبد بالله المتأق ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ
﴿كُذِّبَتْ عَنْكَ اللَّهُ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٤) [الصف] وفي الحديث: آية
المباقي ثلاث إذ حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان^(٥).

لقد كان كل واحد من الصحابة يرى أنه مؤتمن عن كتاب الله وسبه رسوله ﷺ في
العمل بها والتبليغ لها وحراستها من محاولات تحريف العالين، وبيع لمبطلين، وعبث
المتدعة والمسددين، وتعصيل الظلمة واستئدين، فكل واحد كان حارساً على الإسلام
مبلغاً له مدافعاً عنه بهله ونفسه ورأيه، وبكل ما آتاه الله تعالى من قوة لا يؤتى الإسلام
من قبله^(٦)

لقد كان كل واحد منهم رضي الله عنهم كما يعون الشيخ المشير الإبراهيمي (يقطد الصمير،
مأاحج الشعور، مضبوط الأنفاس، رقيق الورد، مرهف الحس، مسعاً لما يأتي الناس
وما يدرون من قول أو عمل، مريع الاستجابة لدحو إذا دعا داعيه، وإلى وجدته إذا رجع
سربه، أو طرق بالسرحاه).

(١) انظر تصرف الشيخ عبد الله حاب الله، المنهج السلمي في التعبير الاجتماعي، دار تعرف، الخراب،
ص ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦

(٢) متفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) انظر بتصرف الشيخ عبد الله حاب الله، المنهج السلمي

(كانوا يحدون أنفسهم بالفرع لحرب السطل لأول ما تنجم ناحته، فلا يهدأ لهم خاطر حتى يوسمونه إبطاً ومحواً، ولا يسكرتون عليه حتى يستشري شره ويستمحل أمره فتستخبط جدوره ويتوأمن بغير من العامة مكاناً مطمئناً)

(وكانوا يذكرون دائماً عهد الله، وأنه أحد عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق، وأن الحق هو ما جاء به محمد عن ربه فداية الشر وصلاح حالهم)

(وكانوا يزبون أنفسهم دائماً بميران الكتاب ولسنة، فما وجدوه من ربيع أو عوج قوموه في الحال بالرحوع والإبدية، كما يفعل المهتوبون بالحسميات في عصرنا هذا في وزن أقدامهم كل شهر)^(١)

وتأكيد مذهب الوسطية في تحقيق السلام الفكري، أقام الإسلام شرائعه على الدرج والبدء، بالأهم فالأهم، ولابتعاد عن مسائل الخلاف والأحد بالتيشير وانتهاج البشير والزرعيب، قال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج ٢٨]، ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة ٢٦٥]

وعن أسد الله السبي رحمه الله قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تعسروا»^(٢)
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدين يسر، ولن يشك الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالعدوة والروحة وشيء من الدلجة [آخر الليل]»^(٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال نال أعربي في المسجد فقام الناس إليه يهجمون فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «ادعوه وأريقوا على بوله مخلاً من ماء أو ديوياً من ماء، فإنها بعثتم ميسرين ولم تعنوا معسرين»^(٤)

وعن عائشة رضي الله عنها - قالت: «ما حر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين، إلا احتسب أيسرهما ما لم يكن شئاً، فإن كان إثنين كان أيسر الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله تعالى»^(٥)

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ٤، ١١١

(٢) رواه الشبخان

(٣) رواه البخاري

(٤) رواه البخاري

(٥) رواه البخاري

لقد أكرم الله سبحانه صحابة رسول الله إكراماً ليس به مثيل، لانتاعهم مهج رسول الله ﷺ في العدل والرحمة والأخذ بأسباب الفوف، محبتهم سحراً بأنها اقتديت بهتديت، وأكرم الشريعة هفتواها الإسلام كما أمره على محمد ﷺ وحكموه فيها وأقاموه حياتهم على هداه، فعم بوره أرحاء الأرض وأصاء ربها ومسالكها المختلفة، وأنار حواش المس اشترية بالعقيدة والعبادات الصحيحة والآداب الرفيعة والخلق العويم، وختم شهواتها وقيد هواها بالأوامر والنواهي الربانية التي لا حيار معها ولا مراوحة فيها، فتمتلت الشريعة التي دانت به من الجهل إلى العلم، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الخوف إلى الأمر، ومن الموصى إلى النصاء، ومن الساعص إلى التحاب، ومن التنازل إلى التآحي، ومن التسافر إلى التعارف، ومن الاضطراب إلى الاستقرار، ومن الاستبداد إلى العدل

لقد قاد الإسلام العالم الإسلامي الذي ام به، وحصح لأحكامه، إلى السعادة والخير بأصليين كبيرين هما (القوة المصحوبة بالرحمة)، ووسيلتين كبيرتين من وسائله في إرساء النظام والأمن والاستقرار وهما (العدل المشوع بالإحسان) وبأحكامه الهادية للتي هي أقوم في عمارة الأرض وبناء الدولة وإصلاح المجتمع وتربية الأفراد

إن القوة وحدها لا خير فيها، لأنها استبداد واستغلال و سعباد وقهر، والرحمة وحدها لا خير فيها، لأنها ضعف وحرر وهوان، والعدل وحده لا يكفي، لأنه قد يمضي إلى الخناء، والإحسان وحده لا خير فيه؛ لأنه قد يمضي إلى الاستهتار ويشجع على النمر، أما إذا اضمعت القوة والرحمة، وتكامل العدل والإحسان، فإن الخير يعم والحقوق تحفظ، ولتكامل يتحقق بين شرائع الأمة وسحبها المختلفة، وصولاً إلى التمدد والترقي والكمال الذي تستطيعه الطبيعة الشريعة.



** الأخلاق الوسطية والسلام الفكري.

كان الرسول ﷺ، يدعو المسلمين إلى التفاؤل، انطلاقاً من تحريم القرآن لبأس تطيقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رَوْحِ آفَاقٍ إِلَّا النَّوْمُ الْكَفِيرُونَ﴾ [يوسف ٨٧].

() انظر بنصره الشيخ عبد الله جاب الله، المهج السلمي

وعندما رأى رجلاً مهموماً يجلس في المسجد وعرف أن عليه ديناً يؤرقه، فتح هـ
مناجيات الأمل حين يصحبه بأن يقول «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، ومن
العجز والكسل ومن الحزن والسحل ومن غلبة الدين وقهر الرجال»

ولا شك أن أكثر طرود لهم، وأكثر عامل في تحقيق الاستجاء الروحي
والمفكري هو الرضا بقضاء الله وقدره مع الأحدثس لله في التعبير.

لا شك أن أكثر عامل لتحقيق هذا الهدف النفسي والأخلاقي، هو التوسط
والتوازن في التعامل مع الخير والشر، واستراء والضراء، والصديق والعدو، والمسلم
وعير مسلم وفي هذا الإطار نجد بين أيدينا فيسوفاً مسلماً مثل أبي محمد علي بن
سعید بن حرم (ت / ٤٥٦ هـ) يرى أن الحياة الاحتياجية تدور حول هدف واحد يراه
غاية النشاط الإنساني كله، فكرياً أو سلوكياً، وهو هدف (طرد الهم)، وهو كما يقول
إن حرم عرض يسري الناس كلهم في استحصانه وطنه، ولا يسحركون حركة بن
ولا يتكلمون كلمه إلا من أحله فمن أعطى وجه سيده ومن مقارب للخطأ، ومن
مصعب "، وهو (هدف قد انقضت الأمور كلها عنه وكل الأهداف الأخرى لا
تخطى بمثل الإجماع المعهود عنه، إذ في الناس من لا دين له ومن لا يستحسن أدى
الناس . ومن يريد الخمول على الصيت والشهرة ومن لا يريد المال . ومن يعض
البدات ويؤثر الجهل على العلم، وليس في العالم كله من يستحسن أهم ولا يريد
طرحه) (وليس من سبيل لطرد (أهم) إلا التوجه إلى الله عز وجل بالعمل
للاخرة)^٣

ونكاد أن حرم يشير إلى دور (الوسطية) في طرد الهموم والمؤرقات والصراعات
الفكرية لدخلة، حين يرى أهمية الجمع بين (البدات المعنوية والحسية) لكن (إن
حزم) بعض (البدات المعنوية) على البدات الحسية، معتمداً على مقياس مقنع وهو أن
الدين يدفعنا إلى البدات لروحيه، يعضدونها على البدات الدنية وهم قد دفعوا من

(١) ابن حرم الأندلسي رسالة في مداواة النفوس ص ١١٦، من رسائل ابن حرم، بتحقيق حسان عباس -

مكتبة الخانجي بمصر والمثني ببغداد

(٢) ابن حرم الأندلسي، المصدر السابق، ص ١١٧

(٣) ابن حرم الأندلسي، المصدر السابق، ص ١١٨، ١١٩

الذات المادية وعرفوا - وقدرها، وفصلوا الذات المعنوية، أما أصحاب الذات
المادية فلم يجرؤوا الذات الروحية، فالأولون أصدق حكمًا^(١)

ويرى ابن حزم أن هناك مرضين لها حظورة كبيرة على السلام الفكري في مستوى
المرء والمجتمع، وهذان المرضان هما العجب والكذب

ويرفض ابن حزم العجب (الكبر) في كل حال، فسواء كان مصدره (الفصل)^(٢)
أو (الفعل)^(٣) أو (الشحاعة) أو (الحماة) أو (المال)^(٤) أو (الحسن) أو (السيئ)، فكل
ذلك يدل على نقص، وهو مرض يحتاج إلى علاج، وهذا المرض يتفرع عنه اثنين والرهو
والكبر والتعالي^(٥) ورفض فكر الآخرين ابتداءً من باب التصحيم الذاتي والاستعلاء
الفكري

أما الكذب - فهو الداء الذي لا براء منه عند ابن حزم - هما رؤي كذاب قط ترك
الكذب ولم يعد إليه، وهو أصل كل فحشه وجامع كل سوء، وحالت لفت الله عز
وجل^(٦)، وهل يكفر إلا كذب على الله عز وجل^(٧)، أي أب الكفر جزء من الكذب

وفي إطار اهتمام الوسيطية الإسلامية بالأخلاقي كطريق لتحقيق «سلام الفكري
المردي والجماعي»، شرع الإسلام بالحاجات المادية، وأعطاهم حقها من الوجود
والمعاشة والتكريم، ولم يركز على الروحانيات وحدها، على أساس أن الحاجات
الأولى لا تشيع العلاقات الإنسانية وحدها، والثانية وحدها لا تصلح كذلك للحياة
تعميرًا أو تسمية، ومن هنا ربط الإسلام ربطًا عجيبًا متنسفا بين لروح والمطلبات
المادية، وتميزت ومسطيته في سانه للسلام الفكري داخل انكيان الإنساني من خلال
آليات نغرس في إنسان القيم الإيجابية مثل الحق والعدل والصدق والتواضع.

(١) ابن حزم، المصدر السابق، ص ١١٦

(٢) ابن حزم، المصدر السابق، ص ١٥٠

(٣) ابن حزم، المصدر السابق، ص ١٥١

(٤) ابن حزم، المصدر السابق، ص ١٥٣

(٥) المصدر السابق، ص ١٥٨

(٦) ابن حزم، طوق الحياة تحقيق الطاهر مكي، ص ٨٥

(٧) طوق الحياة، ص ٨٦، ٨٧

وحب الأحرار والرحمة وتدرّبه على أن يكون كائناً أخلاقياً على مهب الرسول محمد ﷺ الذي حصر إرسال الله له في أنه نُعث لیتَمَّ بعد عرس عقيدة التوحيد مكرّم الأخلاق ، في حين حصر الله رسالة بييه ﷺ في أنه أرسله رحمة عامة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء]

لقد كان لرسول ﷺ آية في الرفق والرحمة بالخدم وبالصعفاء يقول انس بن مالك رضي الله عنه « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، متفق عليه وعنه رضي الله عنه قال « مَا مَنَسْتُ دِيحًا وَلَا حَرِيرًا، أَلِيسَ مِن كَهْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَقَدْ حُدِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ مِائِينَ، بِمَا قَالِي قَطُّ أَفْ وَلَا قَالِ شَيْءٌ فَعَلْتُهُ وَلَا شَيْءٌ لَمْ أَفْعَلْهُ إِلَّا فَعَلْتُ كَمَا » متفق عليه أي أخلاق هذه وأي سمو هذا؟ إنه لكل الشري في بي صورته وأشكاله، وكم كان الإسلام عطياً وبه صلوات الله وسلامه عليه بحال الأعراف القائمة وقتها بقوله « بخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فبطعمه مما بطعم، وللبسه مما لبس، ولا تكلفوهم ما عليكم، فإن كلفتموهم فأعْيَوْهم» رواه مسلم

وهذا سلوك السوي دُرُسٌ لأدعياء ارحمة الكذابين الذين يرفعون الشعارات الخوفاً، ويأرسلون أفسى وأعنف الخطب في حق كل من يقع تحت أيديهم من شعوب ومن الأفراد، فتحت دريعة تحرير البلاد والعداء وترسيخ الحرية والديمقراطية، حربوا البلاد واسترقوا الأحرار من العبد وسلبوهم صنوف العبد في أبي عريب وجوانسامو وفي سجون الكيد الصهيوني، وحتى في حق كل الشعوب الإسلامية والعربية

وبالإضافة للتوجيهات التروية التي تزرع القيم الإيجابية، ثمة توجيهات أخرى تقوم بتطهير عالم النفس الداخلي، وإحاثات القيم السلبية مثل أمراض الحسد والحقد والغش والظلم والأثرة وغيرها.

كما أن هذه الوسطية تتمثل في المحافظة على حقوق الإنسان الفكرية والعملية دون

() حديث «إنما نُعث لأتمم مكارم الأخلاق» رواه أحمد ومالك، والبرار

تفرقة نسب اللول أو المال أو التعليم شريطة أن تتوارد الحقوق مع الواجبات وقد حملت بصوصم الروحي بالحث على العدل والخير والإحسان لكل بشر، سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، أي لكل خلق الله من البشر في أوقات لسلم وفي أوقات الحرب، وفي البوادة أو المصومة فاعدل غير محدّد بالظروف أو الاعتبارات المصلحية أو الرمال أو الأجاس، بل هو فوق كل الاعتبارات، وهو صمام أمان لتحقيق السلام الفكري في إطار المرد والمجمع الإنساني كنه!!

إن هذا الطابع البعدي للرسالة الإسلامية، يجعل الوسطية وتحقيق السلام الفكري العام حصيصة أساسية في الأحلاق الإسلامية التي يجب أن تكون مطلقة تشمل كل الناس، وألا تكون أخلاقاً عصرية تحترم قومًا وتجاهلهم على حساب الآخرين - كما يقع الآن في عالم الإنسان الأول أو الأسفل الشمالي - فالأحلاق الإسلامية عكس ذلك، ولا تحصح إلا للخلق وللمسلمين المطلقين، ولبرحة العالمية ونحن نلمس في تعاملنا مع رسالة الإسلام - قرآن وسنة - أن هذه الرسالة بطبيعتها رسالة رحمة وسلم وسلام وأمان للناس كافة

* * *

القيم الإنسانية والعنصرية في حروب النبي ﷺ

أربعة عشر عاماً من التعذيب والاضطهاد قبل الإذن بالقتال،

طيلة السنوات التي أمضاها الرسول ﷺ في مكة المكرمة وهي ثلاثة عشر عاماً قمرية (٦١٠ - ٦٢٢ م) تعرض - ولمسلمون معه - لأشنع أنواع التعذيب والإيذاء، ولم يحاول يوم أن يرد السيئة بمثله، بل كان يصبر الصبر الحميل، ويسأل الله لقومه الهداية فيهم قوم لا يعلمون.

وعندما مر الرسول ﷺ على آل بصر، وهم بعدون لم يملك إلا أن يقول لهم: «صبراً آل ياسر» وفي روايه: «أنشروا آل بامر، فإن موعدكم الجنة»، ومدت ياسر شهيداً تحت وطأة التعذيب، أم سمية فقتلت بحربة أبي جهل، وأما عمار ابنها فقد صر عن التعذيب، ولشدة رطأته سمح له الرسول ﷺ بمداواة الكافرين عملاً بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [الحل ١٠٦]

- وعندما شدد العذاب واسكبل بعد وفاة عمه (أبي طالب)، وروحنه (حديجة بنت خويلد) ﷺ. سألته (حناب بن الأرت) أن يسأل الله وأن يدعو لهم، وأن يستعصر الله ليرفع عنهم هذ البلاء، وأظهر الرسول ﷺ شيئاً من العصب قائلاً: «كان الرجل يمس فلکم بجر له في الأرض، فيحمل فيه، فيجاء بالشار، يوضع على رأسه، فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صعاء إلى حصر موت لا ينجاب إلا الله والدنوب على عنقه، ويكنكم تستعجلون»^{١٧}

- وحتى الذين كانوا يرفعون من صحابته الأبرار في هجرة من مكة إلى الحبشة أو المدينة، فرهم كانوا يتعرضون للملاحقة والتفريق بين أعضاء البيت الواحد، كما حدث

(١) علي سامي مشار، شهداء الإسلام في عهد النبوة، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة

(٢) رواه البخاري، في باب المناقب، رقم (٢٣٤٣)، والإمام أحمد في مسنده

ليست أم سلمة؛ يد حبل بين أبي سلمة وروحه وانه، ثم حبل بين أم سلمة والحجرة هي
وانها حيث فرّق بينه وبينها، وطلبت تسكي ما شاء الله لها أن تسكي، إلى أن رقت قلوب
بعضهم ما فأعادوا إليها طمأنينة وخرجت به وحدها مهاجرة من مكة إلى المدينة

وهكذا تعرض المسلمون في مكة لمختلف أوصاف الظلم، من حرمان حتى من حق
الحياة ومن الهجرة، وقد تعرضوا لمختلف أنواع الحرمان، فقد فارقوا روحاتهم
وأولادهم؛ حيث وقعوا في الأسر، فقد كان هناك من هضى نحو ثياب
سوات وهم مقدورون بالسلاسل وحتى عذبوا بعضهم إلى ملك الحبشة؛ لأنه كره
وصفه الرسول ﷺ ملك لا يُظلم عبده أحد. لاحقهم المشركون وحولوا تأليته حتى
يسلفهم إياهم ليعذبوهم أو يقتلوههم لكن الجاشي كان رجل عدل وصدق، وحث
في الأمر وتبيّن له صدق المسلمين، فرفض تسليمهم ورد هدايا التي قدموا بها إليه



وعندما هاجر الرسول ﷺ بعد معاناة شديدة من مكة إلى المدينة، وأقام دعائم
الدولة الجديدة التي تحتاج إلى هبة وقوة ردع، حتى يستطيع أفرؤها من المسلمين
وعينهم أن يعيشوا في أمن وسلام، لم يكن قد أدرك للمسلمين بعد في الدفاع عن
أنفسهم

فلما بدأت الملاحقات الفرسية تسعى للتكسر مع اليهود والسفهاء في داخل المدينة
(وهم عناصر من الدولة تعيش في داخلها) من أجل الإجهاد عن الدولة الناشئة،
وشعر الرسول ﷺ والمسلمون بذلك، لدرجة أنهم كانوا يبيتون ليهم في المدينة حائمين
لا يعرفون من أين يُهاجمون، وبأية كيفية سيأتيهم الخطر الذي يمكن أن يعتالهم -
مهاجرين وأبصار - وأن يمتص بناء دولة المدينة الإسلامية الناشئة

في هذا الوقت العصيب جاء (الإدراك) من الله سبحانه ونعاز للمسلمين بالفتن
دفاع عن أنفسهم كأفراد، ودفاع عن العقيدة التي آمنوا بها، ودفاعاً عن دولة الإسلام
الناشئة التي لا يمكن أن تستمر - دولة لها هبة - إلا إذا كانت قادرة على الدفاع عن

نفسها من جانب، وعلى إقناع الآخرين بأنهم أمام دولة قادرة على تأديبهم إن جحدوا عليها من جانب آخر..

ومرة أخرى يؤكد على مصطلح (الإدانة بالقتل)، لدلالته الكبيرة؛ فإن مجرد التعبير القرآني (بالإدانة بالقتل) كما جاء في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لِيُذَيَّبَنَّهُمْ فَأَتْلَوْهُمُ ظُلُمًا وَاظْلَامًا ۚ وَلَئِنْ تَصَرَّفْتُمْ أَتَقَدَّرُ ۚ﴾ (١١) الذين أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِبَصِيرَةٍ إِلَى آخِرِ آيَةٍ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ فَكَلِمَتٌ صَوِّمٌ وَبِيعٌ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدٌ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلِيَصْطَرِكَ اللَّهُ مِنْ بَصَرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (١٢) [الحج].. مجرد هذا التعبير يدل - بوضوح - على الملح قبل بروز الآية، ويدل على طروء القتل في الإسلام، وأنه ظل محتوياً طيلة أربع عشرة سنة قمرية.

ويعتق العلامة الأستاذ (محمد فريد وجدي) على هذا الإدانة - بعد هذه المدة من تحسن العداء والأحوال - بقوله: "هد ولم يعزل الإسلام حتى في هذا الموضع - موطن الدفاع عن النفس والدين - أن يصح لأساعه بعدم العدوان؛ لأن الإدانة حاصلة بحماية (حق) لا موضوع (انتقام) ولا (شفاء جزارات الصدور)، وهذا من محراب الحكومة لسوية، فإن القائم عليها ينبغي أن يكون كالخراح؛ يصح مشرطه حيث يوجد الداء لاستئصاله، مع عدم المساس بالأعضاء السليمة، ومقصده استئصال حياة المريض لا قتله، وإعالم كله في نظر الحكومة السوية شخص مريض يعمل لاستدامة وجوده سليماً قوياً" (١٣).

وعن الآية الكريمة التي يقول الله فيها في كتابه الكريم ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ بَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكُونُوا شِيعَةً وَمَخِيراً لَكُمْ﴾ [سورة النساء، ٢١٦]، تدل على الرعة السلبية عند المسلمين، فالأصل عندهم الرعة في السلم، والخروج إلى السلم إن وجدوا إليه أدنى فرصة، حتى ولو بشيء من استمرار المقول!

(١) محمد فريد وجدي: أسيرة محمدية تحت ضوء العلم والعلماء، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية ١٩٠١م، ص ١٦٦، وانظر د. علي جمعة: شهاد وإجابات حول الجهاد في الإسلام، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ص ٤٤.

وفي هذه السياق الذي يؤكد أصالة السلم يقول الله تعالى نبيه محمد ﷺ
 وللمسلمين: ﴿وَأَنِ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَجْزَأَ مَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٦)
 [الأنفال]. ويقول أيضاً ﴿فَلَا يَأْخُذُ بِكُمُ اللَّهُ بَآئِنَاتِكُمْ فِي الْأَسْوَاحِ مَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
 عَلَيْهِمْ مَكِيدًا﴾ [النساء ٩٠]. ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَعَلْنَا قُرْآنَكَمُ الْكِتَابِ
 تَكْوِينًا وَإِنَّهُ لَكُنْزٌ وَهُوَ يُنْزَلُ عَلَى قُلُوبِنَا وَأَعْلَىٰ الْقُلُوبِ الْأَعْلَىٰ﴾ [البراءة].

ومعروف أن المسلمين عندما خرجوا في غزوة بدر الكبرى (١٧ رمضان ٢ هـ) لم
 يخرجوا للحرب. وعددهم، ووسلهم، وطبيعة اتفاقية العقبة الثانية (الكبرى)
 (٦٢١ م ١٢ بعد الهجرة) من المؤكيدات الدالة على ذلك. كما أن القرآن الكريم صريح
 في تأكيد هذا المعنى السلمي النصي عند الرسول ﷺ والصحابة يقول تعالى
 ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال ١٧]. فهم ما خرجوا إلا
 استخلاصاً لبعض أموالهم المصادرة في مكة، وإلا تأكيداً لقريش أنهم دونه، وأن عليها
 قول لسلام معهم والاعتراف بهم، وهو الأمر الذي لم يتحقق إلا في ذي القعدة من
 السنة السادسة للهجرة في صلح الحديبية الذي رضي فيه الرسول ﷺ ببعض الشروط
 المجحفة إيثارة لسلام.

إطار الجهد الأخلاقي والحضاري:

وحتى (مصطلح الجهاد) يدل بذاته على أن الأمر فيه مشقة لا تسرع إليها النفس إلا
 إذا فرص عليها، فالجهاد (لغة) يعني المشقة، فيقال: جاهدتُ جهداً أي بدعت المشقة،
 وأن الجهاد في (الشرع) يعني بذل الجهد في قتال الكفر والملففين ضد وجود لدواعي
 لذلك، وهو في هذه الحالة ليس طريقاً لعرص الهيمنة ولا للسيطرة ولا لسرقة ثروات
 الآخرين، أو إحلال بلادهم؛ بل هو نوع من العبادات يجب أن تلتزم فيه آداب العبادات،
 وسبح نصح هذا في الآيتين الكريمتين التاليتين قل تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 ارْزُقُوا وَأَتَّقُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٧٧)
 وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج ١٧] ودل تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ

أَذَلَّكُمْ عَلَىٰ خَيْرٍ مِنْ أَعْيَابِكُمْ ۚ إِنَّ عَذَابَ الْيَمِّ ۝ (١) لَوْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ رُسُلِهِ، وَتَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْرٍ لَكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ (٢) يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ (٣) وَأُخْرَىٰ يُجَاهِدُهَا بَصَرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُنِيرُ الْفُؤَادَ ۝ (٤) [الصفا]، والجهاد يأتي ضمن منظومة عبادية أساسية

ونمّه ملمح آخر بعطي (الجهاد) معنى عبادياً وإسبائياً وحضارياً، ويُعبده عن أن يكون مجرد وسيلة للعلبة على الأعداء واعتصاف أراضهم أو هزهم على الدحول في الإسلام - هذا الملمح يقودنا إليه المعنى - أو الإطار العام - لمعنى الجهاد ومجالاته فالجهاد ليس حرباً فقط؛ بل الجهاد جهد متعدد الأفاق؛ فهو جهد (أولاً) مع النفس لكبح الشهوات، وجهد جماعي (ثانياً) لعرض الخير وبيع الشر في قلب المجتمع، وجهد مسلح أخيراً مفروض على المؤمن بمفرده، أو على الجماعة بأسرها، تبعاً للظروف - ولا يمكن أن يتعد الجهاد (طابقاً عسكرياً) إلا في الحدود المنصوص عليها في الشريعة القرآنية، وعندئذ يصح قتالاً مقدساً وديناً عادلاً في ادفاع إليه وفي مباشرة وفي عاقبته.

والحرب العادلة الوحيدة المقبولة في الإسلام هي المرخص بها في التبريل، والتي تُشر في (سبيل الله) ١، ولذا حظ هذا التعبير عن الجهاد بمصطلح (سبيل الله)، ومعنى هذا أن كل حرب و جهد يبدى - في غير سبيل الله - لا يمكن أن يكون جهاداً ولا حرباً مشروعة بل هو (حرب مادية) استغلالية أو مصلحية ليس لها صلة بالقتال الإسلامي الذي حارب في صدره سور الله ﷻ بعد أربعة عشر عامًا معه الله ﷻ ومن معه من أية محاولة للدفاع عن النفس والمعاملة بالمثل وهي الرحلة الملكية، وظليعة المرحلة المادية بعد الهجرة الشريفة

وشر كان (بقتال) في الإسلام محاطاً باندائره (العادية)، و (لإيمايه) انطلاقاً من قوله تعالى ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ على أساس أن القتال إذا لم يكن ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فليس جهاداً إسلامياً؛ بل ثمة إطاراً آخر يعمق هذه الوظيفة للجهاد، ويربطها بأداب الإسلام وقيم

(١) ترانسكريبوار، الإسلام، ص ٢٩٢

الإسلام، هزيمة الرسول ﷺ والمسلمين بدءاً، إنها هي (السلاح لا الحرب)، وإنما هي (التيسير) وليس (التثسير و التثوير)، هي (الدفاع عن المستضعفين) من الرجال والنساء والولدان الذين تصدر حقوقهم الإنسانية، ويحرمون من حرية الفكر والعقيدة؛ من تُعرض عليهم الفسنة - بالترغيب والترهيب - ليكفروا بالله - وهي - مع كل ذلك - وظيفة (الشهادة على الناس) بما تتضمنه من بشر الإيمان بالله، ولأمر مدعروف والهي عن المنكر، ولوقوف مع موارد الحق والعدل بالسبب للإنسانية كلها

والصروح القرآنية الكريمة تؤكد هذه الوظيفة المخططة لأمة المسماة، وهي تؤكد على أن حركة المسلمين (الحركة) أو (السلمة) لابد أن تكون محاطة بسياج من القيم والأخلاق ولأداب الرفاقية التي ترى فيها الإنسانية (مهيمنة اسحاء) التي تحمى بها، قال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُرِيلَ لَيْتَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [النساء ٦٧]، وقال تعالى ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَوْلَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَكُمْ أَنْ تُبْغِضُوا هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا يَكُونُ الرُّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى نَفْسِكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج ٧٨].

يستنح العلامة (محمد فريد وحدي) من وظيفة الشهادة على الناس أن المسلمين مطالبون بحكم هذا التقدير السهوي الكبر هم بالمداومة على مراعاة دانتهم في جمع حركاتهم وسكناتهم، والشأن على الطريق السوي في رعاتهم وبرعاتهم، والقيام على القسطاس المستقيم في معاملاتهم ومراعاتهم ثم إن هذه الحكمة العاقية التي أعطاه الله هذه الأمة تعرض عليها أن تكون رعاة إلى التوفيق في كل فصيلة، سباقه إلى التحدي بكل حصيلة نبيلة، وهذا يعسر ما اشتهر عن هذه الأمة من سعة الصدر في معاملة المحالين، ورحب اندرع في حماية المستضعفين، مما كان له أثره في بشر ديبها وحياء لعتها، ما لا يستطيعه الحرس الحراره، ولا الدعايات القائمة على أشد الوسائل الإرهابية^(١)

() محمد فريد وحدي، من معاد الإسلام، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ص ٨٢

وقد حقق لرسول ﷺ هذا الكمال الأسمى، وحققه لسلم الصالح معه، عند
 جاء أبواب استعين الدعوة ومبادئ الظروف المناسبة، فقد استعمل الرسول ﷺ القوة
 بعد حساب دقيق ومطعمي، وحسنا أن يقول هنا إن جميع من استشهد في جبهة
 الإسلام في العهد النبوي بعد أكثر من سبعين غزوة وسرية كان مائة وبيضا من الشهداء
 فقط، ما عدد من قتل من لحساب الآخر فهو في حدود ثلاثمائة إنسان أو أقل، أي أنه
 حلال عشر سواب وأكثر من سبعين عروة وسرية لم يقتل من مسلمين واشركين إلا
 أقل من أربعائة إنسان، يسي تجاوز عدد صحابيا الحرب العملية الثانية أربعين مليوناً من
 القتل تحفه الصراع الوحشي بين الطرفين، وهذا بالطبع دون حساب الخرحى
 والمشوهين والمعوقين الذين مات معظمهم بعد ذلك، وكذلك فإنه كي يستقر نظام
 بطل في روسيا قتل ما يقارب مائة مليون إنسان، حتى كان من الممكن إحداث سحر في
 الدماء المرافقة هناك وساء نايات من جحهم، كل هذه الوحشية التي لا مثيل لها كان
 من أجل توطيد نظام جديد اسمه (الشيوعية).

وهكذا - لا إحصائيات - أثبت العصر النبوي - إن في سلمه أو في حربه - أنه عهد
 احترام للإنسانية الإنسانية، واحترام لأفكاره، ومشعره، ولم تصل دعوة (الإنسانية
 Humanizm) الحقة غير كل العصور إلى هذا المستوى، وليس من المنتظر أن تصله
 أبداً، ذلك لأن الرسول محمداً ﷺ هو صاحب ذلك العهد!!

فالؤمن - حسب تعدياته ﷺ - يقاتل ويحارب، ولكنه لا يسد أبداً أبواب الصبح،
 ولا يريم القيم الإنسانية ولا يهيبها، ولا يقتل أي إنسان دون سب، ودون حق، ولا
 يحتل البلدان الأخرى، ولا يمتص خيرات الأمم الأخرى^(١)!

(١) محمد فتح الله كوس، الرسول ﷺ عائلاً، التنظير والطبق، ترجمة ورخان محمد علي، دار البيل للشر -
 إسطنبول تركيا، الطبعة الثالثة ١٤٢٥ هـ من ١٩، ١٨

الطبيعة الإنسانية والأخلاقية لأسباب الحرب وضوابطها في الإسلام :

من المعروف أن الدول والأمم ذات الطبيعة اللادسية أو العصرية لا تحتاج إلى أسباب أخلاقية للحرب، بل تتركز حروبها على الطسعة الاستعلائية والاستعلائية، ومحاربة حقوق الآخرين الإنسانية فكرية ودينية واقتصادية واجتماعية وكل ما تأتي به من أسباب هي ذرائع كاذبة، تشبه ذرائع التطرف والإرهاب وحقوق الإنسان وبشر الديمقراطية المعاصرة . في سبيل السيطرة وإبادة الأمم واستغلال ثرواتها . ويكفي أن (الحرائر) احتلت لمدة مائة وثلاثين سنة بسبب حادث معتل بين الولاى الحرائري والقنصل المرنسى . وأبيد فيها حلال هذه المدة ثمانية ملايين مسلم

أما في الإسلام فالأمور محتضمة بما قام لها تحضع لدين، ويحرس كعبادة، ويجمع فيها العيش والتدليس، كما أب طبيعة الحرب الأخلاقية والإيمانية والإنسانية لا تنفصل عنها وإلا أصبحت حروباً ضيوية استعلائية!

ويكاد الإجماع يعقد بين فقهاء الإسلام على أن أهم أسباب الحرب في الإسلام لا تخرج عن الأسباب التالية

١- مقاومة العدوان على المسلمين ولادهم وعقائدهم، ومقاومة العدوان على غير المسلمين المستضعفين من جانب قوى الشر إذا طلب ما هؤلاء المظلومون مساندتهم.

٢- مقدمة الظلم العالمي بوسائل مختلفة ممكنة، وإسلام صد الظلم، ومع المظلوم دائماً نصرف النظر عن الدين أو الجنس، وقد أشى الرسول ﷺ على حذف الفصول مع أنه كان قبل الإسلام

٣ مقاومة القوى الظاهرة التي تمنع أهل الدين والحق من التعريف الصحيح
بدينهم ليتحد الناس قرارهم بشأن الإيثار به، قال تعالى ﴿وَقِيلُوا لَهُمْ حَقٌّ لَا تُكُونُوا لِنِاسٍ
وَيَكُونُوا لِلدِّينِ لِلَّهِ فَإِنْ أُسْهِوا فَلَاعْدُونَ لَهُ أَعْلَىٰ لَطْفٍ لِلَّهِ﴾ [البقرة] لكن ذلك يجب أن يتم في
إطار قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٦٥]

٤ - القتال ضد البعثة وبو كانوا مسلمين

٥ - نقص العهد من لمشركين كي قاتل الرسول ﷺ قريشاً، وقام بفتح مكة حين نقصت العهد واعتدت على حليته قبيلة حراة.

٦ - الحرب الوقائية ضد الذين يعملون على إرهاب المسلمين، وبطشهم في الإسلام بطريقة غير علمية هدفها الإساءة والشويه والافتراء.

٧- رفض لأعداء لمبدأ (الأمن) الذي يسمح بالتعايش السلمي والتبادلات التجارية واختوار المكري والحضاري؛ لأن هذا يعني أنهم ماصرون بدار الحرب علساء وأن محور سياستهم الاعتماد على القوة والحرب

٨- مقاومة الخارجين على نظام الدولة المسلمة والمتآمرين عندها من منافقين وحونة و مواليين للكافرين؛ الر رفض لوحدة الصف مثل القبائل التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ

وإذا كانت هذه هي أسباب الحرب في الإسلام، وهي أسباب كي ترى تعكس الطعة الإنسانية والأحلاقة للحرب في الإسلام فإن الصوابط انعامه للحروب في الإسلام تؤكد - كذلك - الطيعة الإنسانية والحصارية لسلوكيات الحرب في الإسلام

ومن هذه الصوابط التي يطلق عليها (فرانسوا بوارار) المبادئ الأساسية (لنظام القانوني) انطوى في المراتع المسلحة الدولية والداحية على السواء، وهي المبادئ الموجهة في الإسلام - كما يقول بوارار - داخل منظومه لقوة وبرحة مع الصوابط التالية

١ - حظر التجاور والعرش والظلم في جمع المجالات حرسه أو مسلمه، والقسم لا تتجراً

٢- منع إرال الأصرار الرائدة على الحاجة بالعدو، كالقتل، والفسوة، والتعذيب المهيين

٣- حظر أعين التدمير غير المفهده ولاسي إنلاف امردوعات أو قتل اخصوات

أو ما يتصل بإفساد البيئة، وتلويث المياه، وهدم البيوت، ولا في حالات الضرورة
الحرية

٤ - رفض لأمنحة المسمومة والتعمير، الجماعة العشوائية، لا ناكل

٥ - التمييز بين المقاتلين - وهم يحمون في الحياض الإسلامية شارات مميزة - وبين
المدنيين غير المشتركين في القتال

٦ - احترام المسجونين من الاتهام، كإخراجه، والحدود المتضمنين بأمان محلي أو
دولي

٧ - المعاملة الإنسانية للأسرى الذين يُبادل بهم أو تُحرّدون من جانب و حد شرط
ألا يبقى أي أسير مسلم في قبضة الأعداء

٨ - حماية السكان المدنيين احترام أديانهم - وبالتالي حصانهم - ورؤساء هذه
الأديان، ولا شرعية قتل الرهائن واغتصاب النساء

٩ - تأكيد المسؤولية الفردية - إلغاء كل عموية تصدر بحق أشخاص عن جرائم لم
يرتكبوها بأنفسهم.

١٠ - لا شرعية في مقاسمة الأذى بالأذى ولا لتدابير الردعة التي قد تكون محلقة
للمبادئ الإنسانية الأساسية

١١ - التعاون مع العدو في الأعمال الإنسانية.

١٢ - مع كل عمل محالف لأحكام المعاهدات التي يعقدها المسلمون معاً^(١)

١٣ - ضرورة تأكيد الطابع الأخلاقي والسيل والإنساني في أثناء الحرب في الحوادث
التي تتطلب ذلك.

١٤ - وإذا صحوا للسلام وحب لنحوي إليه من المسلمين عندما يتأكدون من
صدق نوايا أعدائهم

(١) مراسل بوارز، إنسانيه الإسلام، ص ٢٩٤

وهذه الصوائط المستفدة من توجيهات الرسول ﷺ جزء لا يتجزأ من نظام الحرب في الإسلام. وعندما تكون الحروب محدده بهذه الصوائط فلهاها. بالضرورة لا بد أن تلتزم بجميع الوسائل للكرامة التي تحققها عديتها - بأقل التحاورات والخسائر التي تفرضها طبيعة الحروب ١١

المنهي عن قتلهم في السنة النبوية وفقهها:

أشرنا إلى بعض الحروب المؤكدة لأخلافة حروب الرسول ﷺ وإسائتها وسبوتها عن الأساليب اأهمجية والأطباع الدنيوية وفي هذه الصفحات نتحدث عن جانب له صلته المباشرة - من الأساسه - بهذه الطلعه اأخصاره حروب الرسول ﷺ من الدحيتين العكرية والتشريعية

إن أسسه الشريعه التي هي أفول الرسول وأفعاله ترحرر عدد كبير من لتوجيهات والوصايا التي كان الرسول يأمر فيها سراياه وحيوشه وكل المسلمين بالامتناع عن قتل المدينين اأدين لا صله لهم بالقتال تحطيطاً أو محاربة أو نجساً

ففي حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن الرسول ﷺ كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه ومن معه بتقوى الله (أي مراقبة الله والخوف منه) في معاملاتهم العسكرية مع الأعداء مدينين أو محاربين . ثم يقول لهم: 'اعزوا باسم الله في سبيل الله، فاتلوا من كهر بالله'، اغزوا ولا تعلوا، ولا تعدروا، ولا تخشوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث حصال أو حلال، فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم' ادعهم إلى الإسلام، فإن أجاوبك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى النحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأحبرهم أسهم إن فعلوا ذلك فبهم ما لهم من أحرين وعبيهم ما على المهاجرين، فإن أنوا أن يحولوا منها فأحبرهم أسهم يكونون

(١) لا بضم من هذا أن الكفر هو ما عت اأفقال بدليل أسهم لو ححو لتسلم نل منهم، وبدل أنه لا يكره في القرآن، كما أن (الحرية) بدليل لعدم اشتراكهم في الدفاع عن أنفسهم؛ فإن اشتروا في الدفاع عن أنفسهم فلا جريه عليهم

كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في العيمة واليتيم إلا أن يجاهدوا مع المسلمين (فهم مواطنون) فإن هم أبوا مسلهم الخزية، فإن هم أحابك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقايلهم

وردا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل هم دمة الله ودمة ميه ﷺ فلا تجعل هم دمة الله ولا دمة ميه ﷺ، ولكن اجعل دمتك ودمة أصحابك، فديكم إن تحمروا دميكم ودمة أصحابكم أهول من أن تحمروا دمة الله ودمة رسوله ﷺ

وردا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تُرهم على حكم الله فلا ترهم على حكم الله، ولكن أرهم على حكمك، فإنك لا تدري أنصيب حكم الله فيهم أم لا»

وقد ورد في الحديث المنص عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وُجدت امرأة مقتولة في بعض معاري رسول الله ﷺ، فبهي رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان»

وفي سنن أبي داود عن رباح بن الربيع رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فرأى لئاس مجتمعين على شيء، فبعث رجلا فقال: انظر علام اجتمع هؤلاء؟ فجاء فقال: على امرأة قتيل! فقال: ما كانت هذه لتقاتل!»

وفي رواية أخرى صحيحة لابن ماجه: «انطلق إلى حاند بن الوليد فقل له: إن رسول الله ﷺ يأمرنا بقول لا تقتلن ذرية ولا عسيفا، (أي أجيلا أو حادما أو عدا لا صلة له بالأمور القتالية بطريقة مباشرة)

وقياس على هذا فالعاجون في الحقول، والعجم في المصانع، وعمل الطفلة في الطرقات، والأطباء والأحرار الذين يقومون على المرضى والخرى هؤلاء ومن على شاكديهم في بلاد الحرب يصدق عليهم وصف العسفاء، حتى ولو كانوا من بلاد الأعداء؛ لأن لئس الشرعي يطبق عليهم بوصفهم أحرار

وقد ورد في سنن أبي داود عن أس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث

() أخرجه مسلم في كتاب جهاد والسير، رقم (٣٢٦١) وأبو داود في كتاب جهاد، رقم (٢٢٤٥)،

حيثاً قال «انطلقوا باسم الله لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تعلقوا وضموا عتائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين» وهو حديث موصول وصححه ابن حبان، كما أن هناك أحاديث أخرى تقويه، وهو يفيد أن الشيخ المسن الصغير لا يقتل، بالإضافة إلى الطوائف الأخرى لعاجره عن القتال

لكبر حديث أبي داود والترمذي المروي عن الحسن بن مسهر عن جده، والذي يقول إن رسول الله ﷺ قال «اقتلوا شيوخاً مشركين واستنقوا شرخهم»، (والشرح جمع شارح وهو الشاب الذي لم يبلغ الحنم)

وهذا الحديث - إذا صح - يعني الجمع بينه وبين النص السابق الذي يهي عن قتل الشيخ الهادي، يقصد به التصريح بقتل الشيخ الذي بقي فيه مع للكفر ولو بالرأي كما في (دريد بن الصمة) وقد أحصره أصحابه ليدنر لهم الحرب وقد ردد عمره على المائة، فقتله أبو عمر الصحابي، وذلك بعد حين، وم يذكر لسي ﷺ ذلك كما نسب في الصحيحين^(١).

وفي هذا السياق يذكر أيضاً أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث معاً قال «تألقوا الناس وتأبوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم، ولأن تأتوي بهم مسلمين، أحب إلي من أن تأتوي بأبنائهم وسائهم وتقتلوا رجالهم»^(٢)

فإذا كان المحارب الذي حمل السلاح وفتر، ثم تحلى عن هذا السلاح بأسر أو استسدر (أي تسليم نفسه) فحولت صفته من محارب إلى (أسير) وبحول هو من شخص مستهدف للقتل، إلى شخص له حقوق الأسرى. إذا كان المحارب الذي حمل السلاح يتمتع بحقوق الأسرى، وتعرض الحماية على حياته، فإن المدني الذي لم يحمل السلاح ولم يقاتل، ويب وُحِد في (أرض المعركة) لأي طرف من الظروف، فوصف بالقوات المحاربة يدها عليها فإنه من باب أولى يصبح (أخيراً) أو (أسيراً)، ولا يجوز

(١) محمد خير ميكل، جهاد و قتال، بيروت، دار ليارق ٢/ ١٢٤٧، ١٢٠٩

(٢) الشيباني، شرح السير الكبير ١/ ٧٩١، وانظر المرجع السابق

أن يعامل بنفسه كما يعامل به (الأسير المقتل)، كما أن المدي الذي يحجز عن حمل السلاح أو المنصرف عن القدس لأموال الملاحاة، أو الصاعقة، أو العنادة في الصوامع، أو العاحر لمصر أو عمى - هو من باب القياس الضروري لا يجوز قتله، بل من جهة حمايته حياته وعدم التعرض له. وهذا فإن الآراء الاجتهادية القائمة على فقه لسة الشريعة تنفق على أن (القتال هو مباح القتل)، أي أن الذي يقاتل هو الذي يقتل أثناء قتاله وبالتالي، فإن الذي لا صلة له بالقتال لا يقتل، كالصبيان والنساء والمجنون والمرضى أمراضاً معوقة.

وقد روي عن ابن عباس في شرحه لقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ [البقرة: ١٩]، قوله: « لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير » وهذا التحديد لهذه الطوائف على سبيل المثال لا الحصر.

وقد وردت بصرى أخرى تنهى عن قتل الرامح في صومعه (أي غير المشترك في الحرب بالتحريض والتحرير) ونهى عن قتل أهل الكسب الذين لا يحالطون الناس.

وقاس ابن عمر رضي الله عنهما عليها الملاح الذي لا يقاتل، وقال: « تقوا الله في الملاحين الذين لا ينصرون لكم الحرب ». والعبارة الأخيرة تؤكد أن القتال مباح المعتل، في دماؤهم لم يصبروا حرباً فلا يجوز قتلهم. وهذا الفقه أخذ به ابن عمر من قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُعَبِّتُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ [البقرة: ٩٠].

ويقاس على الملاحين الصانع والرعاة والمشتعلون بالأعمال المدنية كلها من ونية المدنيين المعادين عن الاشتراك في الحرب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ومن المعلوم أن المدنيين الذين لهم صلة بالحرب كخوasis، ورجال التحريض الإعلامي المرتطين بالحشوش، أو الذين يقومون بتثريب الإسلام والتحريض على أهله وشركائه الشائعات الكاذبة عنه وعن المسلمين. كل هؤلاء يجوز قتلهم.

ومن الأدلة السوية على ذلك إقرار المرسول ﷺ لذلك المسلم العيور الذي جاء إلى

الرسول ﷺ وقال له: «إني سمعت امرأة من يهودي تسمك فقتلها فأقره النبي عي فعله»، وكذلك روي أن عمير بن عدي سمع عصبها ست مروان تؤدي النبي وتعيب الإسلام، وتحرض على قتال المسلمين فقتلها، فلم يلع ذلك رسول الله ﷺ قال: «إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله فانظروا إلى عمير».

وقد ورد أيضًا في شرح السر الكبير بلشبابي، أن ريد بن حارثة هجّسه قتل فاطمة بنت ربيعة بن مدر، حيث كانت تحرض على قتال رسول الله ﷺ، وقد ورد أنها جهزت ثلاثين راكبًا وقالت لهم: (سيروا حتى تدخلوا المدينة فقتلوا محمدًا)^(١)

وهكذا - كما تدلنا النصوص السابقة - فإن الحصانة الشرعية للمدنيين والصنف غير المشتركين في الحرب تسقط ويجوز قتلهم إذا قاموا بعمل ذي صفة قتالية بالقول أو العمل.

كما أنه في بعض الحالات الاستثنائية حين ش العارات الليلة على الأعداء في الليل أو في النهار، واستخدام ما تقتضيه الحرب صدهم من صواريخ وكتل نارية، واستعمال الأسلحة الثقيلة، وقذائف الحجارة الثقيلة والمتفجرة، وما يُسمّى بأسلحة الدمار الشامل، (من باب معاملته بالمثل).

ففي هذه الحال، لا يمكن التمييز بين من يجوز قتله ومن لا يجوز قتله من أهل الحرب في تلك المراحل المعادية؛ ومن أجل هذا فقد جاءت النصوص الشرعية بمشروعية هذا النوع من القتال، وإن ترتب عليه ذلك لقتل الجماعي الذي يذهب صحته نفعًا لا قصداً، فبيل أو كثير من الأرواح التي يحرم في الأصل قصدها بالإرهاق من صفوف الأعداء^(٢).

وكذلك تنعق الفقهاء على أنه يجوز قتل من يحرم في الأصل قتله من الأعداء أثناء الحرب عندما يتبرس بهم الأعداء، أي حين يحدد الأعداء من أطعمهم وسانتهم

(١) حديث في صحيح البخاري رقم (١٤٠٣، ١٥٠٣)، وفي صحيح مسلم رقم (١٧٤٤)

(٢) محمد خير هيكلي، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ١٢٦٤/٢

وشيوخهم وبنو شاكلهم - ثروت إنسانية، ودروعاً بشرية، يخسرون بها، يعلمهم أن المسلمين يحرم عليهم قتل أطفال العدو وسائيه فيحدون منهم وسيلة إلى حماية أنفسهم من صرب المسلمين لهم.

حاء في الشرح الكبير للمقدمي (وإذا ترسوا في الحرب بالنساء، والصبيان، ومن لا يجوز قتله جاز رميهم، ويُقصد المقارنة؛ لأن النبي ﷺ رماهم بالمحجيين، ومعهم النساء والصبيان، ولأن كف المسلمين عنهم يُقصي إلى تعطل اخده؛ لأهم متى علموا ذلك ترسوا بهم عند حوفهم، وسواء كانت الحرب ملتحة أو لا، لأن النبي ﷺ لم يكن يتحيز بالرأي حال انتحام الحرب)^١

وفي نهاية هذا العرض الذي يتعلق شرعيه التعامل الإنساني الذي يوجب حفظ الحياة والحقوق الإنسانية الأخرى لقطع كبير من طوائف الأعداء أثناء الحرب؛ من مستضعفين غاخرين، وعائدين في صوامعهم، ومن رزاع، وصناع، وتجار، وسياح وغيرهم ممن يشك عدم وجود صلة لهم بالحرب أي أن المدين جميعاً - غير المتصدين بالحرب وقضاياها - يتمتعون بحق الحياة

و أراي غير صالح إذا قلت: أن الرسول ﷺ في أحاديثه، وتوجيهاته كان يحول تحجيم حالات القتل، وتحديدتها تحديداً دقيقاً، لدرجة تمنح الأكثرية الساحقة من الشعب المعادي حق الحفاظ على حياته وإسابقته في الحرب، وتعمل دائرة القتل دائرة محدودة إلى أقصى درجة ممكنة، ولا يتوسع في الحرب إلا من باب المعاملة بالمثل، وضرورة اللجوء إلى ذلك إبقاءاً لطعان العدو، وتجاوزاته

صلاة الحرب (الخوف) ودلالاتها الإيمانية:

من الأدلة القوية الدالة على الطيبة الإيمانية والإنسانية لحروب الرسول ﷺ إلزامه المسلمين بأمر القرآن والتزامهم - واقعياً وعملياً - بإقامة الصلاة أثناء الحرب.. وعلى مرأى من العدو، وفي حدود مرماته - فحتى في هذه اللحظات الحرجة

(١) مقدسي لشرح الكبير ١ / ٤٢، وانظر أيضاً ابن دامة، المغني ١٠ / ٤٥، معلا عن محمد خير

هيكل، المرجع السابق ٢ / ١٢٦٨

التي تكون فيها حياة النبي ﷺ وأصحابه مهددة كل الهديء؛ لأنَّ من الإلزام بأداء المرائض الخمس ليرمية النبي لا يجوز أن تُترك إلا عند وجود عُذر شرعي عند المرأة، أو نسيب الحفل، أو لمن هو دون سن البلوغ . وبعد ذلك لا تسقط عن الإنسان أداء واحد منه أو لم يجده، عرف القلة أو لم يعرفها . بلغ به المرض مبلغه أو لم يبلغ مدام فيه عقل . فلكل ذلك ميسرات شرعية . لكنها لا تسقط أداء أثناء حياة المسمم، مما يدلُّ على المكانة العظيمة للصلاة في الإسلام.

وما كانت الحرب لتستثنى من هذه القاعدة . فيما أن الصلاة اتصال مباشر بالله، فكيف يقطع لمسلم صلته بالله، وهو عن باب الأحرار، يكاد يطردها في أية لحظة أثناء المعركة!!

إن من شأن هذه الصلاة بصورتها الجماعية التي تحدث بها في جبهة القتال وبراها العدو، شر روح الإيمان وروح الاطمئنان في الجيش المسمم، وهي كذلك تشيع روح الاستحفاف بالعدو وثقة في مدد السماء وعون الله . ومع ذلك فهذه الصلاة لا تسمح للعدو أن يستغلها فرصة يصر فيها المسممين، والتنظيم الإلهي لها تنظيم حصص يتفق مع ظروف الحرب . وقد ذكر امرأان هذا التنظيم وحببه الرسول ﷺ والمسلمون في حررهم بدقة كاملة . يقول الله تعالى ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْيَقُمْ صَلَاتَهُمُ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ صَلَاتُهُمْ أُخْرَىٰ ثُمَّ يُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُوا عَنْ صَلَاتِهِمْ سَخِرُوا مِنْكُمْ فَأَمَّا بِيَوْمِكُمْ فَسَبِّحُوا لِلَّهِ وَجْداً وَلَا جُحَاً عَلَيْهِمْ إِذَا كَانَكُمْ أَدَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ أَنْصَبُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخَذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً شَدِيداً ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء]

أي عندما تقف للصلاة فلنقم جماعة خلفك للصلاة معك ولنقف جماعة أخرى على أمانة الاستعداد لأي طارئ، وعندما تنتهي الجماعة الأولى من صلاة ركعة تتأدى القتال موضعهم، فنقف المنة الأولى للحراسة وتأتي الثانية ونصلي خلف رسول الله ﷺ.

أما لأعداء الذين يراقبون المسلمين عن بُعد فهم يرون عجزاً يرون المسلمين

يصلون ومعهم سيوفهم ودروعهم وسلاحهم، وعندما يرون المحكوم إذا هم يرون الفتنة الأخرى، ويرون المسلمين يتقلدون من صف الصلاة إلى صف الحراسة، ومن صف الحراسة إلى صف الصلاة^(١).

وبحق هذا لا سهم بالخائب العمهي في صلاة الحرب أو الخوف، وفي تهما دلائلها الإيمانية والإنسانية، التي تنبئ بطبيعة الحرب في الإسلام، فهي تمارس - عندما يصرص الحرب على المؤمنين وهي كرههم - في إطار عادي مربوط بأعظم ركن في الإسلام بعد الشهادتين، وهي الصلاة، ومربوط - صمًا - بالحب والأمل في أن يحق الله الحق ويبطل الباطل ولعل صلاة الخوف عندما يراها الأعداء تمثل رسالة هم من المسلمين (أهل الله وجد الله) وبأسهم لا يحاربون حمداً أو انتقاماً أو لمعالم دنيوية وإنما يحاربون (في سبيل الله) وأن على هؤلاء الأعداء بالتالي - أن يسمحوا إلى السلم، وأن يدخلوا فيه كافة!!

انسانية الرسول في السرايا والغزوات (المجال التطبيقي):

ذكرنا قبل ذلك بعض النصوص الواردة في كتب الله وسنة رسوله ﷺ، وبعض التحليلات هـ، والتي تشكر - في مجملها - الإطار المحدد للجواب انعقدية والتشريعية التي توحى - بدورها - بانفسات الإيمانية والإنسانية والاحلاقية في حروب الرسول ﷺ.

وبقى هنا أن نقدم الجوانب التطبيقية (العملية) التي نألق فيها الروح الإنسانية والاحلاقية للرسول ﷺ عبر أكثر من سبعين صريه وعرويه...

فعند برل الأدب بالفتن من الله بعد أربعة عشر عاماً من الصبر على أقسى صور الإدلال والمتلاحقة يتوان الرسول ﷺ في الخروج بالمسلمين على شكل سرايا وعروات، وذلك لتأمين حياتهم في المدينة، في مواجهة المبادئ المترصنة بهم، وفي مواجهة قريش التي لا تريد أن تعترف بكيافتهم الحديد، ولا أن ترفع سياطها عن المستضعفين المعقلين لديها المصروعين من الهجرة، ولا أن تكف عن مصدرة أموالهم، وعن متلاحقة الدولة الحديدية بصورة الأمر واسألين والحريص لليهود والمناقين في

(١) محمد فتح الله كولن، الرسول قائداً، ص ٣١، ٣٠

المدينة، وللقبائل الأخرى في الجزيرة

وكانت السرايا أشبه بالدوريات الاستطلاعية التي تسعى لمرص أفقية ويشعر
الآخرين باليقظة ، وأيضاً لاستكشاف الطرق المحيطة بالمدينة، والتي يمكن أن ينفذ
منها الأعداء، وعقد معاهدات اسلام مع القبائل التي تقع مسكنها على هذه الطرق،
فصلاً عن جمع المعلومات عن هذه القبائل وصلتها بقريش ، والتعامل معها بتزويد
المسلمين بالمعلومات عن تحركات أهل مكة ضد دولة الإسلام في المدينة

ومن متبعة حركة السرايا يبدو أن السرايا التي يقل عدد أفرادها عن عشرة أفراد
كان هدفها استقصاء الأخبار وجمع المعلومات إلا إذا حرص الأعداء عليها الدواعي عن
نفسها أما السرايا الأكثر عدداً فكانت سرايا مسلحة ومترية هدفها إرهاب العدو
حتى لا يفكر في غزو المدينة، وكانت على استعداد للاشتباك عند اللزوم - مع جمعها
للأخبار والمعلومات أيضاً وكان عدد بعض هذه السرايا يتجاوز مائتي مقاتل^(١)

وثمة مدمح لها سوقه لتؤكد الطسعة الإسلامية الأخلاقية هذه السرايا، فمن
المعروف أن حرية العرب كانت في عصور كثيرة، ومنها العصر الذي تكلم عنه، نصح
بكثير من قواعد السلب والنهب (لتذكر هنا قصة سلمان الصرمي، وريد بن حارثة
وغيرهم) وكانت الصحراء تبدو ملكاً هذه القوافل التي يمكن أن تستغل أبصاً عن
صريق المال لجمع المعلومات عن المسلمين لصالح قريش وغيرها وتزويج أهل لمدينة

فكانت السرايا هي الخن، الأمل لموقوف ضد هذه القوافل من جانب ومن جانب
آخر سوف يرى الناس في الحرية أن قوافل أو سرايا رسول الله ﷺ، على العكس
من هذه السرايا في سلوكها وتعاملها، فهي لا تعدّ بدهم سوء لأي شخص، لا لئله ولا
لعرصه، ولعلها انزه الأولى في الحرية التي تمرّ فيها قوافل على هذا النحو من أمام
اليوت وامساكن، سمعت على الأمر لا الخوف، وتدعو إلى التعاقد على السلم .
وتقوم قوافل السلب والنهب وسوف يشعر العرب بأن هناك من يمكن أن يطمثوا
إليه ويجدوا في ظلاله الأمن إذا وضعوا أيديهم في يده . كما أن قريش التي كانت تريد
أن تبقى مهيمنة على الحرية كلها لم يعد الطرف الجديد يسمح لها بذلك^(٢)

(١) قرب الأراء إلى القبول أن السرية هي التي لم يخرج عنها الرسول ﷺ، والغزوة هي التي قادها الرسول

من يتربصون به ويتجارتها، وس يكهوا عنها حتى تسألهم وتعترف بكياهم وحنهم في
الحياة والدعوة لعقيدتهم وهذه المعنى لسمية كلها حقتها السرايا - أولا -
والغزوات ثانياً

(١)

وكانت السرية الأولى في رمضان من السنة الأولى للهجرة، جعل الرسول ﷺ
عليها عمه حمزة بن عبد المطلب، ومعه ثلاثون شخصاً، أرسلوا إلى سيف البحر، فلقوا
عيراً لقريش بقيده أبي جهل فيها ثلاثمائة مشرك، ولم يحدث قتال إلا أن أبا جهل
بالطبع - قد فهم الرسالة الموجهة إلى أهل مكة، وهي أن هناك قوة جديدة تفرص
عليهم اسلام والاعتراف به وإلا ستهدد مصالحهم التجارية

(٢)

وفي شوال خرجت السرية الثانية في ثمانين راكباً على رأسها عبيدة بن الحارث،
وفيهما سعد بن أبي وقاص ولم يحدث قتال، إلا أن سعداً رمى بأول سهم في
الاسلام وفر إلى المسلمين المصددين عمرو (الأسود)، وعنته من عروان، وكان قد
أسلم وحبساً في مكة

(٣)

وفي السنة لثانية للهجرة حرح الرسول الكريم ﷺ فل بدر بقيادة ثلاث
عروان وسرايا، فقد خرج ليعترض عيراً لقريش عند (ودان)، فلم يدرك العير،
وعاهد بني صحرة على الأمن والتناصر ثم بلغه أن عيراً لقريش يقودها أمية بن
خلف في مائة من قريش داهية إلى الشام فخرج للاقائهم في مائتين من المهاجرين حتى
بلغ نواط، فوجد العير قد فتنه، ولم يلتق كيداً وكذلك حرح الرسول ﷺ ومعه مائة
وحسون في عروة العشيرة، لملاقاة عير لقريش يقودها أبو سفيان، فمات العير، ووادع
بني مدلج وحلباءهم ثم عاد إلى المدينة ينتظر رجوع القافلة فرجعت وأعلنت به أبو
سفيان.. ثم كاتب - سب هذه العير - عروة بدر الكبرى.

وبلاحظ أن لسرايا السابقة حدث من الاشتباكات الدموية؛ مما يؤكد طبيعتها
ووضوح أهدافها التي أشرنا إليها سابقاً

(٤)

وقد أعد على المدينة كرو من حاصر العهري، وهرب، فحرح الرموون في طهه، ولم يدركه، وهذه تسمى غروة بدر الأولى. - ثم حرح عبد الله بن جحش على رأس سرية من ثمانية رجال، حتى برلوا، (سحلة) في طريق النصره بأمر الرسول ﷺ، ويقوا غيراً لقريش يريد مكة فبها عمرو بن الحصرمي، فقتله في آخر أيام رجب، وأسروا عثمان بن المعيرة والحكم بن كيسان. فكره الرسول ﷺ ذلك منهم وقال: «لم آمركم بقتال» وأفرح عن الأسيرين، وأرسل دية القتيل، ومع ذلك شہر المشركون بالمسلمين وفسادهم بهم قاتلوا في الأشهر الحرم، فنزلت آيات سورة البقرة تدافع عنهم ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنْ أَشْهَرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْأَمْرَ أَخْرَجَ أَهْلَهُ مِنْهُ أَكْثَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْهَيْمَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]

(٥)

وفي غروة بدر الكبرى (١٧ رمضان ٢ هجرية) عدن رسول الله ﷺ صفوف المسلمين، وكان في يده فصح يعدل به، وكان سواد بن غريه مستتبلاً من الصف، فطعمه الرسول ﷺ في بطنه بالفصح وقال اسوي يا سواد فقال سواد يا رسول الله، أوحطني فأنقضي، فكشف النبي ﷺ عن بطنه، وقال استنكف فاعسعه سواد، وقتل بطنه، فقال ما حملك على هذا يا سواد؟ قال يا رسول الله ﷺ قد حصر ما ترى، فأردت أن يكون آخر لعهدك أن يمس جلدي جنداً، فدعاه رسول الله ﷺ بحجر وهذه لسة إنسانية تدل على الطمع الأخلاقي التكريم للرسول القائد، الرحيم مع أصحابه وأعدائه.

ومع بداية المعركة أخذ لرسول ﷺ يتصرع إلى ربّه في إلحاح وخصوع. - فقد روى الإمام أحمد بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال «بقد رأيسا وما فينا إلا باسم، إلا رسول الله ﷺ تحب شجرة بصلي ويسكي حتى أصبح، وذلك ليلة بدر - وهو يكثر من قول يا حي يا قيوم، ويكررها وهو ساحد. - وكان ﷺ يرفع يده ويهتف بربّه ويقول. اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعد بعد في الأرض، اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك. ويرفع يده إلى السماء حتى يسقط دداؤه عن منكبيه، وحمل أبو بكر يقول به مشفقاً عليه يا رسول الله، بعض مناشدتك ربك، فإنه منجر لك ما وعد»

وهذا الموقف أيضا دليل من الأدلة على «طبيعة الإيمانية لحروب الرسول ﷺ»

(٦)

وفي عروة أحد، وبعد حياة عبد الله بن أبي بن سلول، وعودته ثلاثمائة رجل (ثلث مئتين) قام النبي ﷺ ببيعة الجيش وهم سعمائة مقاتل ليواصل سيره نحو العدو، وكان معسكر المشركين يحول بينه وبين (أحد) في ماضق كثيرة، فقال من رجل يخرج ما على القوم من كتب (أي من قريب) من طريق لا يمر بها عليهم؟

فقال أبو حشمة أنا يا رسول الله ثم احتار طريقاً قصيراً إلى (أحد)، ومرت بالحش من هذا الطريق بحائط مربع بن قضي - وكب ماضقاً صريح البصر - فلم أحسن بالحش المسسم قدم يحثو التراب في وحوه المسلمين، ويقول لا أحل لك أن تدخل حائطي إن كتب رسول الله فابتدره القوم ليقتلوه، فقال الرسول ﷺ لا تقتلوه فهذا أعمى القلب أعمى البصر وترفع الرسول ﷺ عن قتل الأعمى، مع إساءته للرسول ﷺ والجيش، وهذه لمة إسياسة برها جديرة بالتقدير

ومن المعروف أنه بعد انتصار المسلمين في موقعه أحد في أول المعركة حالف المرأة أمر الرسول ﷺ لهم ألا يتركوا مواقعهم قائلاً هم ولقائدهم عبد الله بن جبير: «انصح الخيل عما بالبل، لا يأتونا من خلف، إن كاتب لنا أو علينا فائت بكما، لا تؤيب من قلبك» (البخاري وأبو داود باب الجهاد)، وفي رواية لسبحاني أيضاً: «إن رأيتمونا يحطت الطير فلا تبرحوا، وإن رأيتمونا طهرنا فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم.» ومع ذلك برز أربعون منهم، مُعرَّضين فائدهم عبد الله بن جبير وتسعة معه للإبادة

وعندما أورد هذه الشجرة خالد بن الوليد، انقص منها على المسلمين، ثم ركز المشركون جهودهم ضد النبي ﷺ، وطبعوا في القضاء عليه، فرماه عتة بن أبي وقاص بالحجارة فوقع لشقه، وأصيبت رجليه اليمنى واليسرى، وشقته السلى، وتقدم إليه عبد الله بن شهاب الزهري، فشجّه في جهة، وجاء فارس عيدهو (عبد الله بن قميّة) فضربه على عاتقه بالسيف ضربه عبيدة، شكاً لأجلها أكثر من شهر، ثم صرب على وجهه ﷺ ضربة أخرى عيفة كالأولى، حتى دحلت حلقتان من حلق المعصر في وجهه الشريفة، وقال حدها وأنا ابن قميّة فقال رسول الله ﷺ له وهو يمسح الدم عن

وجبه أقمائك الله (فلم يلبث أن هلك عما بطحه تيس أثناء عودته ^(١))
 وفي الصحيحين أنه ﷺ كسرت رباعيته، وشح في رأسه، فحصل سلت الدم عنه
 ويقول: كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله
 ومع كل ذلك كان لا يفتأ ﷺ أن يقول: «اللهم اعصر لقومي فإنهم لا يعلمون»، وفي
 رواية مسلم: «رب اعصر لقومي فإنهم لا يعلمون».

ومع أن مظهر الشهداء كان مرتعاً يصب الأكباد، فحمرة ^(٢) لم يوجد له كسر إلا
 مودة ملحاء، إذا جعلت على رأسه قصصت عن قدمه، وإذا جعلت على قدمه قلصت
 عن رأسه حتى مدت عن رأسه، وجعل على قدمه لإذحر، ومع أن هذا سبب عته
 منلت به وأخرجت كبده لتأكلها ثم لفظتها...

ومع أن الداعية العظيم مُصعب بن عمير ^(٣) كسر في بركة إن عطى رأسه ببد
 رجلاه، وإن عطى رجلاه بذا رأسه، وروى مثل ذلك عن حباب، وهو: "فقال لنا النبي
 ﷺ عطواها رأسه واجعلوا على رجليه لإذحر". (وهو بات).

مع كل هذا المعاء الذي كادته الرسول ﷺ فإنه أمر أصحابه بعد أن انصرف
 المشركون بأن يقوموا صفوفاً، وقادهم أسبوا حتى أتى على ربي عز وجل فصاروا
 حلقة صفوفاً، فقال اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسط، ولا باسط لما
 قصص، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما
 أعطيت، ولا معبر لما ماعدت، ولا معد لما قررت، اللهم، اسط عدا من تركك
 ورحمتك وفضلك وورثك.

اللهم إني أسألك التعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول اللهم إني أسألك العون يوم
 المعيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا، اللهم
 حَبِّبْ إلينا الإيمان وريته في قلوبنا، وكره الكفر والمنوف والعصيان وأحمتنا من
 الراشدين، اللهم توفد مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا
 مفتونين، اللهم قَاتِلْ الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل
 عليهم رجرك وعذابك ^(٤).

ومع كل ما أصاب الرسول ﷺ والمسلمين من جراء مخالفة الرمة لأمر رسول

(١) رواه أحمد في المسند، والحاكم في المستدرک

الله ﷺ الصريح الواضح أولاً ومخالفتهم لأمر قاتلهم ابي ولأه عليهم رسول الله ﷺ وهو عد الله من حير -ثانياً- وما نجم عن ذلك من هزيمة لمحيش السهم بعد انتصاره، ومع أن القرابين النوصية الدولية كلها تطق أقصى العقوبات وسها الحكم بالإعدام على مرتكبي مثل هذه المخالفة إلا أن الأمر الإلهي ارحيم رب على سي الرحمة يقول له: ﴿ وَلَقَدْ مَكَدْكُمْ اللَّهُ وَعَدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ حتى إذا فُتِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ أَنْ تُحِبُّوا مَعَكُمْ مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ ذِكْرًا وَمَعَكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٤﴾ [آل عمران]، ويقول له أيضاً ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَتَوَكُّتَ فَطَا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَتَّصِفُنَّ مِنْ حَوْلِهِ فَأَعِيفَ عَنْهُمْ وَأَسْتَعِيرَهُمْ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران].

وهكذا من حيث كل الآلام والمحس كانت القيم الإنسانية والربانية هي الحاكمة لكل التصرفات في أحد (شوال ٣هـ) فم يسمع الرسول ﷺ لنفسه بأن يحمل مشاعر الاستقام من قومه، وأن يدعو عليهم كما دعا بعض الأسياء على أقوامهم، بل دعا هم في أحدث الظروف بامدية، وحتى الرمة المسلمون، وهم السب في هذه المحنة بسمح الله باستقام منهم، ولقد لقي هذا رصاً من رسول الله ﷺ الذي بعته ربه بالرحمة والدين وعدم العظمة، وأمره بالعفو عنهم والاستعصاء لهم ومشاورتهم -جميعاً- في الأمر، فالشورى ليست هي المسئولة عن اهزيمة، وإنما المسئول هم الرمة الدين عفا الله عنهم، وأمر الرسول ﷺ بالعفو عنهم. وحتى في هذه المحنة الأليم التي كادها رسول الله ﷺ وحتى في مستوى هذه المعاملة البالغة السوء من المشركين -تقف القمم الإنسانية و لأحلافية السوية ثابتة مؤكدة- في احرب والسلم مع -الصدق الباع في قوله تعالى في وصفه بيه محمد ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنباء]

* * *

(٧)

وبعد (أحد) شهدت السنة الرمة للهجرة عدداً من السراي تعرض المسلمون في

بعضها لعدد من الكائنات، من أهمها (سرية الرجيع) التي كانت مؤامرة من المشركين ادَّعَوْا فيها رعتهم في الإسلام واصطحبوا معهم عشرة من القراء قتلوا منهم ثمانية وباعوا اثنين لأهل مكة فصسوهما وتأتي (سرية ثر معونة) كارثة أعظم وأكبر، وكانت شبه مؤامرة، على البحر السابق، وانتهت باستشهاد سبعين رجلاً من الصحابة القراء..

كما شهدت هذه السنة - أيضاً - إحصاء بني النضير اليهود من المدينة، بعد أن حاولوا قتل الرسول ﷺ مرتين .

وفي السنة الرابعة للهجرة - أيضاً - حرج الرسول ﷺ لملافاة أبي سفيان الذي كان قد تزعد المسلمين باللقاء - بعد أحد - في العام القادم في بدر، وقد أقام الرسول ﷺ في بدر ثمانية أيام ينتظر أن سفيان يكمه لم يأت، فعدها نصر للمسلمين، وبدءوا يستردون هيبهم بعد أحد وأثارها

وفي هذه السنة - أيضاً - قررت قسك بني ثعلبة وسي محارب من عطفال المهجوم على المدينة، وعندما وصلت الأحبار إلى الرسول ﷺ حرج مع أربعائة من المسلمين حتى وصل موضع يقال له ذاب للرقاع، عبر أن هاتين لقبيلتين عندما علمتا بقدوم المسلمين حسنا وحسنا في جحورهما، لدا فلم يقع أي قتال، ولكن النتيجة كانت نصراً في قائمة المسلمين أمام العرب وقريش^(١).

(٨)

وفي السنة الخامسة للهجرة (شعبان) حرج النبي ﷺ بجيشه إلى المريسع (على تسعة فراسخ من المدينة) بيواحه بني المصطلق وسيدهم الحارث بن صرار، بعد أن تأكد من أنهم يجمعون حربه فهرمهم، وهربوا، وعاد المسلمون بأسرى كثيرين لكن الدرس الإنساني والاحلاقي المستفاد من هذه العروة تمثل في موقف الرسول ﷺ من عبد الله بن أبي ابن سلون الذي حاول استغلال خلاف بين حبيب لأحد الأنصار، وأحير لأحد المهاجرين حول أيها أحق بسقي بغيره من شرهناك، فأسفر عبد الله بن أبي ابن سلون عن بفاقه عند العودة من هذه العروة عندما قال بمناسبة هذه الواقعة أم

(١) محمد فتح الله كركس، الرسول فائدا (التنظير والتعبير)، ص ١١٦

والله لن يرجعنا إلى المدينة ليخرج الأعرسها لأدب، وكان يثير إلى نفسه بأنه هو الأعرس، وإلى الرسول ﷺ حاشاه بأنه الأدب، وعندما بلغ هذا الشأ، وهو الصحابي الكبير عبد الله بن عبد الله بن أبي حذاف إلى الرسول ﷺ وقال له (يا رسول الله، إنه يلعبني أنك تريد قتل أبي) (عبد الله بن أبي) في بعثك معه، فإن كنت فاعلا فمري به هأنأ تحمل إليك رأسه، هو الله لقد عثمت المخرج ما كان من رجل أبر موالد مني، وذي أحشى أب تأمر به عيري فيقتله فلا يدعي بمسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمنا بكافر، فدخل السر، فقال له الرسول ﷺ «بل تفرق به ونحسن صحته ما بقي معنا»، ثم إن عبد الله ﷺ وقف لأنه عبد الله بن أبي بن سوس عبد مصيق المدينة قائلا: والله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله ﷺ في ذلك، فلما جاء رسول الله ﷺ استأذنه في ذلك، فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة (٩).

وهكذا، كاتب إنسانية الرسول ﷺ وأحلاقياته العالية في مواجهة الأعداء، إكراماً لدويهم المحلصين

(٩)

وقد هذمت موقعه الخندق التي وقعت في شوال من السنة الخامسة للهجرة كثر من المواقف الإنسانية الرائعة فقد انتصرت فيها الشورى، وانتصر في الشورى رأي العبد السابق (سليمان الفارسي) الذي اقترح إنشاء (الخندق) في مواجهة أحراب يصر عددهم إلى عشرة آلاف مقاتل سوف يهاجمون المدينة استماده من الأساليب الحربية للفرس الذين كان ينتمي إليهم.

وبه لموقف إنساني رائع كذلك أن شترك ثلاثة آلاف مسلم في حفر الخندق يقودهم لرسول ﷺ نفسه، يتحمل حصة من لعمل مثلما يتحملون، ويتحمل معهم الخوع أكثر مما يحمدون، ويقودهم إلى الأمل والتنازل في ظل هذه الظلمة المحيطة بهم، والتي رلزل فيها بعض المؤمنين ربر لا كبيرا وظهر أمر بعض المنافقين

وقد كانت حصة كل رجل القيام بحفر طول ذراع من الخندق في عمق لا يستطيع الذي يسقط فيه أن يخرج منه مع فرسه، وقام بتوزيع العاملين عشرة عشرة، وقام بينهم

(١) محمد فتح الله كولن، الرسول قائد (التنظيم والتطبيق)، ص ١١٧ - ١١٨

التنافس لكريم في احد والتحمل، وكان الرسول ﷺ وهو يعمل معهم ويدفعهم إلى
التنافس بسري عهم - بإسائته المشرقة الوضاعة - ويشدو وهم يشدون معه -

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاضر اللهم للأنصار والمهاجرة

وأبصار كان الصحابة يشدون

نحن الدين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبدأ

وكانوا مع الرسول ﷺ يشدون أيضاً

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلبنا

فأرلن سكية علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأولى قد دعوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

وكان ﷺ يرفع صوته أيب أبيا^(١)

وما أن تحيل، وأن تحاول أن ترسم في دهسا من وراء حجب التاريخ هذه
المقطعة الرائعة التي يجمع فيها ثلاثة آلاف مسلم على الحب وولاء نبيهم وقائدهم
وهم يعمدون شيء من التنافس على لشوات العظم، ولا نسي منظر اسائد النبي
الأعظم ﷺ الذي يعمل بيهم ويكسر الأحجار كي يكسرون، ويحملها كما يحملون،
ويشتركو في الأكل إن وحدوا طعاما وفي الجوع إن لم يجدوا، ويُشيد معهم الأسانيد
المؤكدة بشكر الله الذي هداهم للإيمان، واثقة سلمي في عبور الامتحان

وثقة كبيرة لا يمكن أن تتأني - وسط هذا الامتحان - إلا من نبي معصوم ملهم
يصرّب أمامهم حجراً قوياً لم يستطيعوا كسره، قائلاً «باسم الله»، فيلمع بريق تحت
الصرّة فيقول «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها لخم إن
شاء الله»، ثم يصرّب صرّة ثانية فيدمع بريق من صرّته فيقول «الله أكبر أعطيت
مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض» ثم يصرّب الثالثة فيبرق أبصار
بريق تحت الصرّة فيقول: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب

(١) البحاري، باب مفاتيح الأنصار، مسلم باب الجهاد

صنعاء من مكاني الساعة^(١)

بها لقطه من أعظم لقطات التاريخ الإنساني حين يعمل ويأكل ويجمع أعظم رحل
وسي عرفته الإنسانية يعمل مع العبيد ومع الأحرار أبيضهم وأسودهم، عبيد
وفقرهم . والأكثر من ذلك أنه يُشَدُّ معهم أناشييد الإيمان، ويفتح لهم آفاق الأمل في
حل هذا الحصار الشديد. عليه الصلاة والسلام

يقول علامة العصر الداعية التركي الشيخ فتح الله كولي

(لقد احتفظ الرسول ﷺ بالعبادة في يده على الدوام، ولم يترك جهة القتال
طوال أيام الحصار ساعة واحدة . تصرف كأي فرد منهم، وشارك حسنه في جمع
مشاكله وساعات صيقه، وهذا يؤكد كيف أن قوته كانت في الدروة على الدوام)^(٢)
وفي ختام هذا الحصار قال الرسول ﷺ لأصحابه «الآن بغزوهم ولا يغزونا»^(٣)،
وقد صدقت الأيام قوله هذا كما صدقت كل أقواله ﷺ

(١٠)

وفي السنة السادسة للهجرة - وبعد الانتهاء من الخندق وبني فريضة وقيام الخروح
بقبل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق الذي كان من أكتار محرمي اليهود الذين وقفوا مع
الأحزاب وأعانواهم ضد المسلمين - ومع إحرام هذا الرحل فقد هب الرسول ﷺ عن
قتل النساء والصبيان . ولذلك قتلوه في بيته ولم يمستوا أحداً سواه بأمر لرسول
الكريم ﷺ

وبعد الانتهاء من هذه السرايا والعرايات بقف عند حدثين مهمين تجلت فيهما
إنسانية الرسول ﷺ وإثارته بسلام والعفو والرحمة . وهم صلح الحديبية، وفتح مكة

(١١)

صلح الحديبية وفتح مكة من أقوى الأدلة على الطيبة الأخلاقية لحروب الرسول
كان الرسول ﷺ قد وعد المسلمين بأن فريضة لن تعرفهم في المدينة بعد الخندق

(١) السيرة النبوية لأسر هشام ٢٣٠ / ٣، تاريخ الأمم وسرورها بطبري ١٦٧ / ٣، ١٦٨، والكامل في
التاريخ لابن الأثير ١٧٩ / ٢

(٢) فتح الله كولي، الرسول قائدنا (التطهير والتطهير)، ص ١٣٤

(٣) المعاري المصاري ٢٩، والمسنود للإمام أحمد ٢٦٢ / ٤

وقد كنت مشاعر المسلمين - لاسيما المهاجرين - قد تأججت شهوا لزيارة مكة البلد
الحرام . وطن المهاجرين الذين طالت غربتهم واشتد حنينهم

بهم يعيشون مد سب سواب على هذا الأمل ، وبعضهم ربما يرح من الحشنة
إلى المدينة مباشرة ، دون أن يرى بلده مكة ، فطالب غيبه أكثر . ولهذا كان الرسول ﷺ
يرزع فيهم لأمل وبعدهم نهرح قريب ، بعد أن استندت قريش كل طائفت . .
وحانت كل جهودها وصاغت كل أحلامها وانتصرت القلة الخوامة المظلومة .

يروى ابن إسحاق أنه في السنة السادسة لهجرة وعد رسول الله ﷺ أصحابه
بالعمرة وهذا حرح الرسول ﷺ في ألف وأربعمائة من أصحابه إلى مكة ليس معهم
إلا السيوف في القرب . . .

وقد وصل الرسول ﷺ إلى الحديبية ، وهي مكان يعد عن مكة ما بين ٥٠ و ٦٠ كم
تقريباً

وقد عمد الرسول ﷺ إلى التحدث كل السبل ليوقع أهل مكة أنه جاء معمرًا ولم
يأت محاربًا ، ومع ذلك فقد رفضوا تركه ومن معه من المسلمين يعتمر ون ، وبدحوا
المسجد الحرام ومع ذلك حافظ الرسول ﷺ على الصبر ، والأحد بأسباب السلام ما
أمكن

لقد اضطر لرسول ﷺ إلى التوقف في الحديبية وأمر أصحابه بالتوقف ، على الرغم
من إيذنه بنفسه وشجاعه أصحابه ، كان يعلم أنه لو التجأ إلى الله تعالى وتوكل عليه
وقائدهم فسيعلبهم ، غير أنه لم يفعل وفصل الانتظار ، وعندما وصل المنع والعرقنة
مرحلة معينة تباع مع أصحابه تباع على القتال حتى الموت في سبيل الإسلام .
هذه البيعة لي باركها الله تعالى من فوق سبع سموات

﴿ لَقَدْ رَمَى اللَّهُ غِي الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ نَحْت الشَّحَرِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ
الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ وَأَتَتْهُمْ مَّتَمًا قَرِيبًا ﴿١٦﴾ وَمَعْلَمَ كَثِيرَةً يُأْخِذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا ﴾ [فتح]

والخليفة أن قريشًا التي كذب نطهر أنها تملك لكعة اضطرب إلى قبول الأمر
الواقع في معاهدة الصلح التي وقعت عليها ك وقع عليها الرسول ﷺ إذ قال

لِلرَّسُولِ ﷺ (وَبِئْسَ تَرْجِعُ عَمَلُكَ هَذَا فَلَا تُحِلِّ عِلِّيَّ الْكَعْبَةَ، وَإِنَّهُ إِذَا كَانَ عَامَ قَاسٍ حَرَّحَ عَنْهَا فَدَحَلَهَا بِأَصْحَابِكَ فَأَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا مَعَكَ سِلَاحَ الرَّائِبِ، السُّيُوفُ فِي الْقُرْبِ لَا تَدَحِلُهَا بغيرِهَا)، وَمَعَى هَذَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ شَرَكُوا فِي الْكَعْبَةِ أَيْضًا، وَأَنَّ لِهَيْمَ دِينًا حَقِيقًا عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، بَيْسًا كَانَ الْمَقْهُومُ الْمَسَائِدُ أَمْدَاكَ أَنَّ مَكَّةَ وَالْكَعْبَةَ مِلْكٌ لِلْمُشْرِكِينَ لَا سِيَّمَا لِقُرَيْشٍ، وَأَقْبَعُوا الْجَمِيعَ هَذَا، وَكَانَ عَلَى الْجَمِيعِ لَا يَنْقُصُ إِلَى الشُّعَائِرِ الَّتِي وَصَعَهَا الْمُشْرِكُونَ، وَمَا كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَضَعَ شُعَائِرَ حَاصَّةً وَغَضَّةً، بَيْسًا كَانَ مِنْ صَمْنٍ شَرْوَطٍ مَعَاهِدَةِ الْحُدُودِ حَرِيَّةً لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَدَاءِ الْحَجِّ وَالطَّوَافِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ شُعَائِرَهُمْ الْخَاصَّةَ بِهِمْ^(١)

وَبَعْدَ مَعَاوِصَاتٍ ظَهَرَتْ فِيهَا إِسَاءَاتٌ مِنْ رِسْلِ قُرَيْشٍ، وَآخَرُهُمْ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو، وَغَضِبَ لَهَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَتَعَاَصَى عَنْهُ الرِّسُولُ ﷺ إِثَارًا لِلْإِسْلَامِ عَلَى الْخَرْبِ، وَقَعَتْ اِتِّفَاقِيَّةُ الْهُدنةِ وَالسَّلَامِ بَدَا عَشْرَ سِرَاتٍ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ.

وَمِنْ عَدَمِ مَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُثَارَ الرِّسُولُ ﷺ لِلْإِسْلَامِ كَانَ حَيْرٌ وَبُرْكَهٌ وَفَتْحٌ مَبِينٌ

لَقَدْ كَانَ الْمَفَاوِضُ مِنْ قِلِّ قُرَيْشٍ (سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو) يَغْزُو كُلَّ تَارِلٍ يَقْتَطِعُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَصْرًا كَبِيرًا لَهُ؛ لَدَا فَإِنَّهُ كَانَ يَمْتَرِضُ حَتَّى عَلَى أَصْعَرِ الْمَسَائِلِ، فَمَثَلًا عِنْدَمَا دَعَا الرِّسُولَ ﷺ عَيْنًا لِيَكْتُبَ مَعَاهِدَةَ الصَّلَاحِ مَعَ قُرَيْشٍ، قَالَ لَهُ: كُتِبَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). فَقَالَ سَهِيلُ: (اكَتُبْ بِاسْمِكَ لِيهِمْ) فَكَتَبَهَا، ثُمَّ قَالَ اكَتُبْ (هَذَا مَا صَالِحٌ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو)، فَقَالَ سَهِيلُ: لَوْ شَهِدْتُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَقَاتِلْكَ، وَلَكِنْ اكَتُبْ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ، فَأَشَارَ الرِّسُولُ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَمْحُو كَلِمَةَ (رَسُولُ اللَّهِ) أَيْ كَلِمَةَ قَدْ كُتِبَتْ، وَبَرَّدَ عَلِيٌّ ﷺ، إِذْ صَعِبَ عَلَيْهِ عَمَلُ كَلِمَةِ (رَسُولُ اللَّهِ) فَحَمَّ السَّيِّئُ ﷺ يَمْحُو تِلْكَ الْكَلِمَةَ بِنَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ دَنَى عَلَى مَكَانِهَا عَلِيٌّ، وَقَالَ: (اكَتُبْ هَذَا مَا صَالِحٌ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو)، وَاصْطَلَحَا عَلَى وَصْعِ الْخَرْبِ عَنِ السَّاسِ عَشْرَ سَنِينَ يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ، وَيَكْفَى بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ إِدْنِ وَتِهِ رَأَى عَلَيْهِمْ، وَمِنْ جَاءَ قُرَيْشًا مَعَهُ مُحَمَّدٌ لَمْ يَرِدْهُ عَلَيْهِ

(١) فَتَحَ اللَّهُ كَوْنَهُ، الرِّسُولُ نَائِدًا (الْمُنْظَرُ وَالْمُطَبَّبُ)، ص ١٤٢-١٤٤

وقد قال النبي ﷺ هذه الشريطة الحائرة لحكمة رآها على الرعم من ترم بعض الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم.

* * *

وهكذا يربط صبح الحديبية - بملايساته وشره وطه - امدى الذي وصل إليه إخراج الرسول ﷺ على طلب اسلام؛ لأن ظروف الأمر والاسلام هي المباح الملائم لدعوه الاسلام التي يراد بها الدخول إلى القلوب والعقول، ومن انديهي أن مباح الحروب والقمار لا مكان فيه لتصح العقول والقلوب على الحق ولا على الحوار الإيجابي. وفي أثنت التاريخ، فقد كان هذا الصبح - على ما فيه من إجحاف - فتحاً ميباً وفيه برل قوله تعالى ﴿لَمَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح].

* * *

(١٢)

أما فتح مكة في الثالث والعشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة، فهو الآية العظمى على مدى الأخلاقية السوية الإنسانية التي التزم بها الرسول ﷺ مقدماً أرفع نموذج للتسامح و لتواضع واسمو عرفته البشرية عبر تاريخها. إلا لا يجب هنا رصد تطور الأحداث بعد الحديبية، فموضع ذلك هو الدرس التاريخي وكتب الحديث والسيرة، لكن الذي يعينا هنا هو الوقوف عند الخلق الحربي الذي طقّه النبي ﷺ (الفتح للمكة)، مع التدكير في الساسة بكل ما عاينه الرسول ﷺ من أهل مكة خلال أكثر من عشرين عاماً، منها ثلاثة عشر عاماً أمضاها وصحبته تحت مطرقة لتعذب والأدى والتشرد في الأرض بحثاً عن مدجاً آمن وعندهما حار بوحق ورصدت الأموال الطائلة لمن يعتاله، بعد أن فشلت مؤامره قتله في فاحل مكة ثم - أخيراً - الأعوام الثمانية التي قصدها الرسول ﷺ في مكة، وهم يلاحقونه ويتربصون بكر أصحابه، ولا تمر الأيام أو الأسابيع إلا وهم متآمرون عليه مع اليهود أو المنافقين، أو مؤجرون النائل مترويعه في المدينة والسطو على مسرح الحسبين التي ترح فيها دواهم، أو مقاتلون له مباشرة طوراً ثالثاً وما هي لسنوات لظول قد مصت، وما هو أسل الناس وأركى الناس (الذي حورب واضطهد) يعود فائحاً لبلده..

أهل مكة التي أخرج منها وهو يعرف لأمع ويقول: (والله بك لأحب بلاد الله لي، ولولا أن أهلك أخرجني منك ما خرجت)

إنها ذكريات ألجمة كل لأم شعة كل الشاعة . وبأ أفضل الدس في مواجعتها هو الذي يلتزم (لعدن) على الأكثر فيقتصر لنفسه ولأصحابه، ويسترد ما اعتصب منه ومهم، وهو كثير، ويطلب العويض الكافي عن الاعترااب والملاحقة طيلة هذه المدة الطويلة .

وعن قل ما فصل ويعتمر هذا العاقل أن يدخل بلده شامخاً رافع رأسه بمجده الذي وصل إليه، ويحققه الذي انتزع .

لكن الرسول ﷺ الأخلاقي الذي وصفه ربه بالخلق العظيم ﴿وَأَنَّكَ لَفِي حُجِّ عَظِيمٍ﴾ [النجم] . لم يكن مثل أفضل الناس؛ بل إنه - لولا بشرته التي يؤمن بها، وعبوديته التي كان يعدها وسامه الأربع . .

لولا البشريه والعبودية - نقلنا إيه م يكن من الدس، وهو يدخل مكة لقد كان ملاكاً طاهرًا ارفع عن أكرمدى تستطيع أن تربو إليه الشرية أو أن تطمح في الوصول إليه .

ونظر إلى آلاف الوجوه التي فعلت به الأفعيل طيلة عتدين من ارماد، بعد أن دخل مكة من أعلاه، من كداء، وهو يصع رأسه وهو راكب على دابة نكد تلامس رأسه ظهر الدابة تحشع وحشوعاً لله، وقراراً بأه صاحب الفصل في تدوين الأيام، وفي إعرار الأدلاء، ونقد كانت رأسه تلمس واسطة الرحل من شدة الانحاء وهو - مع ذلك - مشغول عن نفسه، وعن أية نظرات ترقبه وهو داخل دخول السي المختصر، ولبس دخول (المندك) كما قل أبو صفيد للعباس لقد أصبح مثلك امرأ أحب عظيم فصيح له العباس، وقال له إنها السوء . إيه مشغول عن الناس بقراءة سورة الفتح، يسي يحقق قلبه بأروع المشاعر، لأنه في طريقه إلى المسجد الحرام والكعبة، وقد فعل ما أراد واستلم الحجر الأسود، وطاف بالست، وم يكن محرمًا (اسجاري كتب المعاري) ثم حمل يعض الأصنام حول الكعبة وهو يقرأ قوله تعالى ﴿وَقُلْ جَاءَ الْهَقُّ وَهُوَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهُوْقًا﴾ [الإسراء]، ثم دخل إلى حوف الكعبة، فأذا بالآثار الوثنيه من داخلها كما أراها من خارجها، ثم دار في البيت يؤخذ الله ويكره .

وكل ذلك، وهم يطرون إليه بهم في وإذ يعبد الله، إنه في الأحرار، في الأمل
 الأعلى، أم هم فيمكرون - هلمين - فيما يتطرحهم متذكرون ماضيهم الأسود معه
 ونظر إليهم وهم ينتظرون القضاء العادل لكنهم مع ذلك كانوا يعرفون
 أن محمداً هو محمد رسول الرحمة إنه لن يعاسيهم بالعدل. فلو عاينهم بالعدل
 لاسهى كل شيء ثم فاجأهم النبي الأعظم بالسؤال
 - يا معشر قريش ما يظنون أي فاعل بكم؟ وكأنها كان السؤال نفسه طوق بجاء
 هم. . . فسرعان ما أجابوه قائلين حيزاً أح كريم، وإس أح كريم فإن «إني أقول
 لكم كما قال يوسف لإخوته. لا تشرب عليكم اليوم، اندهسوا فأنتم الطلقاء لوجه الله
 تعالى. ١١»

لقد ولدوا من جديد، وديت في أوصالهم الحية، وما كانوا يحيلون أن ينقدوا.
 هكذا - في دقيقة واحدة، وبمارة واحدة، اندهسوا فأنتم الطلقاء، لكة سمو محمد
 ﷺ في حرته، سموه في عموه، سموه في إكرام من ظمروه وفي تأليف قلوبهم. فإن
 أكرم ما بهم كسبي أعظم أن يدخل إلى قلوبهم إنه لا يريد الطاعة كملك وإنما
 يريد الطاعة مع الحب كسي بعنه الله رحمة للعالمين وقد تحقق له ما أراد!!
 ثم نوال آيات عظمته، فيرفض أحد ممانيح الكعبة من عشان من أبي طلحة
 ويعطيها للعاس أو علي (بعض بني هاشم قومه)، وقال، اليوم يوم نر ووفاء.. فإلي
 الأعظم لا يعرف الانتقام

و عندما كنت أخبوش الإسلاميه ترحف على مكة في ظل أو امر صدمة بعدم إافة
 الدماء إلا في حدود الدفاع عن النفس. أخطأ أحد القادة، وهو الرجل العظيم سعد
 بن عباد فقال: اليوم يوم الملحمة اليوم يدل الله قريشاً وانتزعت منه الرؤية بأمر
 الرسول ﷺ وأعطيت لأمه قيس وصصح الرسول ﷺ العساة حتى لا تذهب إلى
 الناس وتروّعهم قائللاً اليوم يوم الرحمة. اليوم يبر الله قريشاً وقد صدق قولاه
 ولولا دخول مكة في الإسلام لما كانت لمكة قيمة، وما كان لقريش قيمة بداً!!

أمر آخر لا يجوز أن يهمل، وهو عموه ﷺ عن جريمة لا نعلمها كل لقويين
 الدولية وهي حانة عظمى بكر المقاييس لكنها للأسف مسقطه رجل عظيم له
 ماص عظم في الدفاع عن الرسول ﷺ في أحد وأيضاً في حمله شهامة رساله لرسول

إلى (المفوقس عظيم القط في مصر سنة ٦هـ)^(١) لقد أرسل حاطب رسالة مع امرأة يجر فيها أهل مكة بقدم الرسول ﷺ إليهم وقد أحر الرحي الرسول بها كان من حاطب، فأمر عتي بن أبي طالب، والمقداد بن عمرو والربير أس العوام (رضي الله عنهم) بالانطلاق إلى المرأة استأجرة لحمل الرسالة في موضع يقال له (روضة حاح) في الطريق إلى مكة فأمسكوا بها في المكان اندي حده الرسول ﷺ وعدوا بها . فسأل الرسول ﷺ حاطباً عن فعلته الشعاء هذه، فأعذر عنها بعد قبله الرسول ﷺ - مع أنه لا يهل في كل الأعرف الدولية - وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رمى حاطب بالعاق واستأذن في قتله: «وما بدرك لعل الله طلع على أهل سدر فكان اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»

وما بطل أن أية خدمات يقدمها الإنسان لوطنه تشفع له في الأمر الحربي الذي يصل إلى الخيانة العظمى، فيحرج منه بعمو كامل، لكن مقاييس الدين - لاسيما الإسلام - غير مقاييس القوانين الوضعية، فكيف إذا كان المنطق لهذه المقاييس إيمان المتقين، رحمة الله للعالمين، الإنسان الأعلى في تسامحه وعفوه وبله وإسنتيه في الحرب والسلم على السواء.

(١٢)

كان بعض العجلين يعيب على الكذب الكفر (عاس العقاد) إطلاقه مصطلح (العصبة) على رسول الله محمد ﷺ، وقد ظنوا أن إطلاق هذا المصطلح بشتم منه رائحة هي السوء، وقد أكرمني الله فرددت عن هذا الطر في كتابي الصغير عن (شخصية الرسول أمام المقاييس الإنسانية) . فالأنبياء بعامة يفترض فيهم بداهة أن يكونوا في القمة من الدكاء والقمة من الدكاء تلتصص العصرية بل إن من الشروط الأربع المطلوبة تراها ضرورية في جميع الأنبياء (المطانة) إلى جانب (الصدق)، و(الأمانة)، و(التليخ)...

لكن تنجلي عبقرية الرسول ﷺ في أنها (عصرية إنسانية أخلاقية) تطلع القمة في الدكاء ولخطيظ للمعارك والخروب . لكنها - في الوقت نفسه - تطلع القمة في الحفاظ

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ١، ٢٦، وابن حجر العسقلاني، الإصباح، دار الخيل بجرب، ٩٩٢ .

على المستوى الأخلاقي، مهما تكر الصروف الصاعقة لاستثائية التي تبيح (العافرة) العاديين المجردين من المستوى الإنساني والأخلاقي الربيع - أن يستحووا ما لا يباح، وأن يتحدهوا القيم والأخلاقيات، وأن يطقوا الهدأ البيكيا فيلبي (الإنساني) (المعاليه تدرر الوسيلة) .

لكن سيرة محمد ﷺ الحربية، سواء في نطاق التعامل مع جسوده وأصحابه، أم في نطاق التعامل مع أعدائه، سعى آية عظمى دالة على سوره وأخلاقياته التي امتدحها الله في القرآن ﴿وَبَلَدَكَ لَقَدْ خَلَقْنا عَظِيمًا﴾ [القم]

لقد اشترك الرسول ﷺ في نحو عشرين عروة وانصر فيها بأشياء ما وقع في (الومضة الأخيرة) في أحد وبامتناء ما وقع في (الومضة الأولى) في حنين .. حين جمعت ثقيف وهوازن أكثر من عشرين ألفا ضد الرسول ﷺ نُعيد فتح مكة، وقد ثبت الرسول ﷺ في المعركتين ثباتاً م يشبه أحد من الأبطال الذين معه، وكان ثباته على هذا النحو مظهراً لعنبريته العسكرية، ومعروف أنه في أحد وقع ما وقع سائر معركة الرماة لأوامره، فالمستوليه عليهم، لكنه استطاع مع هذا أن يتحمل أدنى شديداً، وأن يُهدد المسلمين بعد أن دفع النمل عات، وفي حُنين عندما ظهرت بوادر انهزمه على إثر إمطار ثقيف للمسلمين بالنبال والسهام من الكمان التي كمن فيها الأعداء وبدأت بوادر الهزيمة تظهر لكن الرسول الأعظم ﷺ بشجاعته التي تظهر مألقة في أصعب المواقف وأحرجها، وبمطته المطرية الكبيرة: استطاع أن يشت في وجه الأعداء منادياً بأعلى صوته: «أما البي لا كذب، أنا ابنُ عبد المطلب»، وأمر عمه العباس أن يُسدي في الناس باسم رسول الله، وسرعان ما أجابوه بـ «يَا لَيْلَ» وعادوا مسرعين إليه وسيوفهم في أيديهم بعد أن أربل مذاقه وبداء عمه العباس الدهول والتراجع القصير الذي كان قد سيطر عليهم وتحقق النصر للمسلمين في حُنين بفضل هذه الوقعة الشجاعة من رسول الله ﷺ .

والدرس الإنساني المستند لها أناس سمع أنه ﷺ حاسب أصحابه، أو أحدهم شيء من اللوم والعصب، وقد ظهرت من بعض حديثي الإسلام بعض الأخطاء . لكنه عليه الصلاة والسلام مجاور عها، وتألف قلوبهم، وأعطاهم من العائم أكثر مما أعطى المهاجرين والأنصار، حتى غصب الأنصار من ذلك، فجمعهم عليه

الصلاة والسلام - وخطب فيهم، وقال لهم: «يا معشر الأنصار... تألفتُ بهذه الغنائم قلوبَ أهل مكة ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رجالكم... فوالذي نفس محمد بيده، لو لا الفجرة لكنتُ أمراً من الأنصار... اللهم ارحم الأنصار.. الحياة تحياكم والمماتُ مماتُكم.. فبكى القوم حتى أخضلوا لحائهم... وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً. ثم انصرف رسول الله وتفرقوا^(١)!!

وهكذا عالج الرسول ﷺ بسموه الإنساني موقفاً من توابع الحرب كان من الممكن أن يؤدي إلى فتنة كبيرة!!

* * *

(١٤)

ومن أخلاقه الحربية التي لا يمكن إغفالها احترامه لجميع جنوده وأصحابه، واستشارتهم واحترام رأيهم في أدق الأمور... ففي بدر استجاب لرأي (الحباب بن المنذر) وغير موقع وقوف الجيش، وكان قبيل المعركة قد استشار المهاجرين والأنصار فتكلم أبو بكر الصديق والمقداد بن عمرو وسعد بن معاذ مؤيدين دخول معركة (بدر)، فاتخذ قراره بالحرب قائلاً لهم: «سيروا وأبشروا.. فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم» (متفق عليه).

ثم استشار في شأن الأسرى كما هو معروف.. وقد استشار في (أحد) أيضاً، واستجاب لرأي الأكثرية وهو رأي كان يختلف مع رأيه... واستشار يوم الأحزاب واستجاب لاقتراح سلمان الفارسي بحفر الخندق، واستشار سعد بن معاذ، وسعد ابن عباد، وغيرهما حين جاءه الحارس الفقاري يعرض عليه الخروج من الأحزاب شريطة أن يعطوه شطراً من المدينة فرفضوا، فاستجاب لرأيهم، ورجع عن رأيه الذي كان يميل إليه... واستشار المرأة العظيمة (السيدة أم سلمة) بعد إقرار صلح الحديبية وغضب الصحابة فأشارت عليه بأن يقوم وينحردون أن يكلم الصحابة، فلما فعل ذلك قاموا يفعلون مثله وانتهت أزمته النفسية بسبب مشورة (أم سلمة) أم المؤمنين رضي الله عنها...

(١) البداية والنهاية لابن كثير، حوادث سنة ٥٨هـ، ونظر مختصر مسيرة ابن هشام، ٢٥٦هـ، لمحمد الزعبي وعبد الحميد الأحمد، نشر دار الوفاء، ص ١٩٨٢/٢.

وهكذا كانت قيادته الحربية أخلاقية مع أصحابه أيضًا... يحترم عقولهم وإنسانيتهم ويخضع لأرائهم ليعلمهم قيمة الشورى في أدق الأمور المصيرية وأصعبها، فالإنسانية والأخلاق لا يقلان التجزئة!!

(١٥)

يقولون: إن القائد السوي المثالي يجب أن يكون إنسانًا هادئًا منسجمًا مستقرًا من الناحية النفسية، لا يتأثر ولا يغير وضعه ولا أخلاقه تحت تأثير الحواجز المختلفة.. فلا يغيره أروع النجاحات، ولا تغيره أكبر الانتصارات.. وهكذا.. كان الرسول ﷺ القمة في ذلك.

ويقولون: إن القائد الناجح هو الشخص الذي بعد عن وضاعة النفس، واستمر على نهج حياة بسيطة متقشفة، يعيش حياته بتناغم موسيقي هادئ، وتنتهي حياته بمستوى أعلى من البداية التي بدأها.. وهكذا كان الرسول القائد والنبي الإنسان في حياته، فكلها ملك الدنيا ودخل الناس في دين الله، وامتدت رقعة الإسلام، وازداد عدد المسلمين - ازداد تواضعًا وانسجامًا وكأن الدنيا تحت قدميه، لا يعنيه انخفاضها أو ارتفاعها، وحسبك موقفه وهو يدخل مكة خاشعًا لله، تكاد رأسه تلامس ظهر راحلته. ويقولون: إن القائد الناجح هو الذي يحب رعيته بحيث إن كل فرد منهم يشعر أنه أقرب إلى قلبه من الآخرين، وهو - أيضًا - الشخص الذي تقابله رعيته بالحب، كما أن ثقته في الرعية وثقة رعيته فيه كاملة تامة^(١)... وهكذا كان القائد العبقري والنبي الإنسان الأعظم... ولعل حب صحابته له لا يشبهه حب في التاريخ... وأما هو فقد وزع الأوسمة على صحابته حبًا وإجلالاً... فهذا (صديق) وذاك (فاروق)، وثالث (أمين الأمة)، ورابع (تستحي منه الملائكة)، وخامس (سيف الله)، وسادس (حواريه)، وسابع (شهيد يشي على الأرض).. وأما (علي) - عليه السلام - فمولاه وآخره.. وهكذا...

ويقول الشيخ المجاهد المعاصر العلامة الكبير / فتح الله كولن (التركي نزيل أمريكا)^(٢): لقد حفل التاريخ الإنساني بالعديد من القادة العظام، ولكن لا يوجد أي

(١) فتح الله كولن، الرسول قائد (التنظير والتطبيق)، ص ١٦٢، ١٦٤ بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٥.

قائد جمع في نفسه كل الصفات التي اجتمعت في محمد القائد، والإنسان العبقري، والنبى الرحيم، أما القادة الذين جمعوا بعض هذه الصفات فقلة أيضًا...

لنتذكر (الإسكندر الأكبر)، و(هنبعل)، و(نابليون)، و(هتلر)، و(محمد الفاتح) و(السلطان سليم الأول)، و(السلطان بايزيد) (الملقب بالصاعقة)، و(جلال الدين خوارزم شاه)، و(صلاح الدين الأيوبي)، و(طارق بن زياد)، و(الشيخ شامل) الذي حارب الروس أربعين عامًا.. لاشك أن هؤلاء كانوا قادة عظامًا، غير أننا إذا قمنا بتقسيمهم من زاوية الصفات التي تحدثنا فيها عن النبى الأعظم، لوجدنا أنه لا يمكن مقارنتهم أبدًا بقائد القادة محمد ﷺ...

أجل، هناك شخص واحد فقط في العالم كله، استطاع أن يجمع جميع صفات القيادة الناجحة، دون أي نقص؛ بل في أعلى الذرى وهو محمد ﷺ... ذلك لأنه كان رسول الله، وكان تحت رعاية الله وتأييده وتوفيقه في جميع الأعمال التي قام بها طوال حياته... ثم كانت أخلاقياته وإنسانيته ورحمته جزءًا لا يتجزأ من نسيج فكره وحياته.. فما أرسله الله إلا رحمة للعالمين... وبرحمة من الله لأن قلبه لكل من حوله، وكان حريصًا عليهم.. بالمؤمنين رءوف رحيم... يذب الناس عن الدنيا حتى لا يتساقطوا عليها تساقط الفراش.. ويسأل الله لأعدائه الهداية، وهم يحيطون به باذلين جهلهم لقتله قاتلاً: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».. ثم يرفض عرضًا ملائكيًا بالانتقام الجماعي منهم قاتلاً: «لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحده ويعبده».

فعلى محمد النبى الإنسان - في سلمه وحربه - أفضل الصلوات، وأزكى التحيات المباركات.



الفهرس

الموضوع	الصفحة
- المقدمة	٥
* القسم الأول: الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل	٧
- حضارة الإسلام: التجربة الفريدة وخمائر المستقبل	٩
- مستقبل الإسلام في ضوء التحديات الراهنة	٣٧
- الانبعاث الحضاري الإسلامي ومستقبل العالم	٦٣
- خصائص التفسير الإسلامي للتاريخ	٧٥
- حول نهاية التاريخ وسقوط الإيديولوجيات	٧٩
* القسم الثاني: الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس	٨٣
- على بوابة المستقبل... وقفة صريحة ومراجعة ضرورية	٨٥
- الخطاب الديني ومبدأ الحوار الإسلامي	١٣٠
- الوسطية والسلام الفكري	١٦٦
- القيم الإنسانية والحضارية في حروب النبي ﷺ	١٨٥
- الفهرس	٢٢٣

* * *